



<http://www.masaha.org>

الأغاني

الجزء التاسع

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة



<http://www.masaha.org>

الجزء التاسع

تتمة التراجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* <الجزء التاسع من كتاب الأغاني>

1- ذكر أخبار كثير و نسبه

نسبه:

هو، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد[1] بن سعيد بن سبيع[2] بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو و هو[3] خزاعة بن ربيعة و هو يحيى بن حارثة بن عمرو و هو مزيقيا بن عامر و هو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول[بن مازن][4] بن الأزد و هو درء[5]- و قيل دراء ممدودا- بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

و أخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزعرار الخزاعي عن أمه ليلي بنت كثير قالت: /هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مخلد بن سبيع بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. و أمه جمعة بنت الأشيم بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رياح بن سيالة بن عامر بن جعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. و كانت كنية الأشيم جدّه أبي أمّه أبا جمعة، و لذلك قيل له ابن أبي جمعة.

و كان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى و أربعين و مائة و لا ولد له.

و مات كثير سنة خمس و مائة في ولاية يزيد بن عبد الملك. و ليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلي. و ليلي بنته ابن يكنى أبا سلمة شاعر، و هو الذي يقول:

صوت

و كان عزيزا أن تبيتي و بيننا # حجاب فقد أمسيت مّي على شهر
ففي القرب تعذيب و في النأي حسرة # فيا ويح نفسي كيف أصنع بالدهر

[1] كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان و «تجريد الأغاني»، و سيأتي في النسب الذي يذكره عن ليلي بنت كثير: «... بن عامر بن مخلد بن

سبيع... » . و في الأصول هنا: «عويمر بن مخارق بن سعيد... » .

[2] كذا ورد هذا الاسم في الأصول و في «وفيات الأعيان» و «تجريد الأغاني» و «السيرة» لابن هشام في نسب أمية بنت خلف. و قال أبو ذر بن مسعود الخشني في كتابه على السيرة (ج 1 ص 80 طبع مطبعة هدية) صوابه: «يثيع» بالياء المثناة و الثاء المثلثة.

[3] في الأصول: «مليح بن عمرو بن خزاعة... » و هو تحريف. (راجع في «القاموس» و «شرحه» مادة ملح و النسب الآتي الذي روي عن ليلي ابنته) .

[4] زيادة من «وفيات الأعيان و تجريد الأغاني» .

[5] في الأصول: «درى» . و التصويب عن «القاموس» .

في هذين البيتين غناء لمقاسة. و لحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حبس.

كنيته و طبقة في الشعراء و نحلته:

و يكنى كثيرٌ أبا صخر. و هو من فحول شعراء الإسلام، و جعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم و قرن به جريرا و الفرزدق و الأخطل و الراعي. و كان غالبا في التشيع يذهب مذهب الكيسانية [1]، و يقول بالرجعة و التناسخ، و كان محمقا مشهورا بذلك. و كان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيرون ذلك لجلالته في أعينهم و لطف محله في أنفسهم و عندهم. و كان من أتبه الناس و أذهبهم بنفسه على كل أحد.

الحديث عنه و على شعره:

أخبرني به [2] أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال حدثني سليمان بن فليح قال: سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصد القصيد و لانت الملوك مثل كثير.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لكثير ثلاثين قصيدة لو رقي بها/مجنون لأفاق.

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال:

كنا نأتي إبراهيم بن سعد و هو خبيث [3] النفس، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه و يحدثنا.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي [4] عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره. قال الزبير قال المؤملي: و كان ابن أبي عبيدة يملئ شعر كثير بثلاثين ديناراً. قال و سئل عمي مصعب: من أشعر الناس؟ فقال: كثير بن أبي جمعة، و قال: هو أشعر من جرير و الفرزدق و الراعي و عامتهم (يعني الشعراء)، و لم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثير.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: كان كثير شاعر أهل الحجاز، و هو شاعر فحل، و لكنه

منقوص حظّه بالعراق.

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال سمعت يونس النحويّ يقول:

كثير أشعر أهل الإسلام. قال ابن سلام: و سمعت ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جدًّا، و يقول: كان يستقصي المديح، و كان فيه مع جودة شعره خلل و عجب.

[1] الكيسانية: فرقة من الشيعة الإمامية، و هم أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب. (انظر الحاشية رقم 3 في ج 7 ص 231 من هذه الطبعة) .

[2] وردت هذه الكلمة «به» في جميع الأصول.

[3] المراد بخبث النفس: غثيانها.

[4] كذا في ح. و في سائر الأصول: «الموصلي». (انظر الحاشية رقم 1 ص 123 من الجزء الرابع من هذه الطبعة، و «المشتبه» ص 300 طبع أوربا) .

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال: سمعت المسور بن عبد الملك يقول: ما ضرّ من يروي شعر كثير وجميل ألا تكون عنده مغنيتان مطربتان.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوفاصيّ قال: رأيت كثيرا يطوف بالبيت، فمن حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبّه؛ و كان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طأطئ رأسك لا يصبه السقف.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ، و عن ابن حبيب عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه عبد العزيز و أمّه جمعة بنت كثير قال: قال [جرير[1]] لكثير: أيّ رجل أنت لو لا دمامتك! فقال كثير:

إن أك قصدا[2] في الرجال فإني # إذا حلّ أمر ساحتني لطويل

ما كان بينه و بين الحزين الديلي:

أخبرني حبيب بن نصر و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوفاصيّ قال، و أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الديليين قال: التقى كثير و الحزين[3] الديليّ بالمدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم، فضمّهما المجلس. فقال كثير للحزين: ما أنت شاعر يا حزين، إنما توصل الشيء إلى الشيء. فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوك؟ قال نعم.

و كان كثير قال قبل ذلك و هو ينتسب إلى بني الصلّت[4] بن النضر بن كنانة: أ ليس أبي بالنضر أ و ليس إخوتي # بكل هجان من بني الصلّت أزهرأ

فإن لم تكونوا من بني الصلّت فاتركوا # أراكا بأذيال الخمائل[5] أخضرا

قال: فلما أذن كثير للحزين أن يهجوّه قال الحزين:

/

لقد علقت زبّ الدباب كثيرا # أساود[6] لا يطنينه و أراقم

[1]التكلمة من «تجريد الأغاني» :

[2]في الأصول: «قصيرا» و التصويب عن «تجريد الأغاني» . و القصد:
الربعة من الرجال.

[3]اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك، و الحزين لقبه، من شعراء
الدولة الأموية، حجازي مطبوع ليس من فحول طبقتة. و كان هجاء خبيث
اللسان ساقطا يرضيه اليسير و يتكسب بالشعر و هجاء الناس. (انظر
ترجمته في ج 14 ص 76 من «الأغاني» طبع بولاق) .

[4]الصلت بن النضر: أبو خزاعة.

[5]كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و الخميعة:
المنهبط الغامض من الرمل، و هي مكرمة للنبات. و في الأصول:
«الحمائل» بالحاء المهملة.

[6]الأساود: الحيات. و لا يطنينه: لا ييقين عليه؛ يقال: رماه الله بأفعى
لا تطنى أي لا يفلت لديغها. و الأرقم: أخبث الحيات و أطلبها للناس.

قصير القميص فاحش عند بيته # يعضُّ القراد باسته و هو قائم
و ما أنتم متًا و لكنكم لنا # عبيد العصا ما ابتلَّ في البحر عائم
و قد علم الأقبام أن بني استها # خزاعة أذنان و أتا القوام
/و و الله لو لا الله ثم ضرابنا # بأسيافنا دارت عليها المقاسم
و لو لا بنو بكر لذلت و أهلكت # بطعن و أفتتها السيوف الصوارم

تهدده أبو الطفيل و استوهبه خندف الأسدي:

قال: فقام كثير فحمل عليه فلكره. و كان الحزين طويلًا أيديًا. فقال له
الحزين. أنت عن هذا أعجز، و احتمله فكان في يده مثل الكرة، فضرب به
الأرض، فخلصه منه الأزهريون. فبلغ ذلك [أبا1] الطفيل عامر بن واثلة و هو
بالكوفة، فأقسم لئن ملأ عينيه من كثير ليضربته بالسيف أو ليطعننه بالرمح.
و كان خندف الأسدي صديقًا لأبي الطفيل، فطلب إلى أبي الطفيل في كثير
و استوهبه إياه فوهبه له. و التقيا بمكة و جلسا جميعًا مع عمر بن علي بن
أبي طالب، فقال: أما و الله لو لا ما أعطيت خندفا من العهد لوفيت لك.
فذلك قول كثير في قصيدته التي يرثي فيها خندفا: ينال رجالا نفعه و هو
منهم # بعيد كعيقوق [2] الثريا المحلق

أنكر على الأحوص ضراعه في الاستجداء:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري و حبيب بن نصر المهلب قال
حدَّثنا عمر بن شبة قال: قال كثير: في أيِّ شعر أعطى هؤلاء الأحوص
عشرة آلاف دينار؟ قالوا: في قوله فيهم: و ما كان مالي طارفا من تجارة #
و ما كان ميراثا من المال متلدا

و لكن عطايا من إمام مبارك # ملا الأرض معروفًا و جودًا و سوددا

فقال كثير: إنه لضرع قبحه الله! أ لا قال كما قلت:

صوت

دع عنك سلمى إذ فات مطلبها # و اذكر خليليك [3] من بني الحكم

ما أعطيانني و لا سألتهما # إلا و إني لحاجزي كرمني

إني متى لا يكن نوالهما # عندي مما قد فعلت احتشم

مبدي الرضا عنهما و منصرف # عن بعض ما لو فعلت لم ألم

[1] التكملة عن ترجمته في «الأغاني» (ج 13 ص 166 طبع بولاق) و
«شرح القاموس» (مادة طفل) « . و هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن

عمرو بن جابر بن خميس، له صحبة برسول الله صلى الله عليه و سلم، و عمر بعده طويلا، كان مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و روي عنه و كان من وجوه شيعته.

[2]العيوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال، و يطلع قبل الجوزاء.

[3]في الأصول: «خليلك» و يعني بهما عبد الملك و عبد العزيز ابني مروان بن الحكم.

لا أنزر النائل الخليل إذا # ما اعتلّ نزر الطنور لم ترم [1]

عروضه من المنسرح. غنى في هذا الشعر يونس ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و غنى فيه الغريض ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه. و فيه لحن من الثقيل الأول ينسب إلى معبد، و ليس بصحيح له. قال الزبير بن بكار في تفسير قوله: «لا أنزر النائل الخليل» يقول: لا ألح عليه بالمسألة، يقال: نزرته أنزره إذا ألحت عليه. و الطنور: المتعطفة على [غير 2] أولادها.

حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضا له:

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا المؤملي عن أبي عبيدة، و أخبرنا أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر قالا حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: /دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال: يا أمير المؤمنين، إن أرضا لك يقال لها غرب [3] ربما أتيتها و خرجت إليها بولدي و عيالي فأصبنا من رطبها و تمرها بشراء/مرة و طعمة مرة. فإن رأى أمير المؤمنين أن يعمرنيها [4] فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لك. فنذمه الناس و قالوا له: أنت شاعر الخليفة و لك عنده منزلة، فهلا سألت الأرض قطيعة! فأتى الوليد فقال: إن لي إلى أمير المؤمنين حاجة فأجلسني قريبا من البرذون. فلما استوى عليه عبد الملك قال له: إيه! و علم أن له إليه حاجة. فقال كثير: جزتك الجوازي عن صديقك نصره # و أدناك ربي في الرفيق المقرّب

فإنك لا يعطى عليك ظلامة # عدو و لا تنأى عن المتقرّب

و إنك ما تمنع فإنك مانع # بحق، و ما أعطيت لم تتعقب

فقال له: أ ترغب غربا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: اكتبوها له، ففعلوا.

هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق:

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: كان الحزين الكناني قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر، منهم ابن أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف-قال: و كثير مع ابن أبي عتيق-فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال الحزين لابن أبي عتيق: من هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثير بن أبي جمعة-قال: و كان قصيرا دميما-فقال له الحزين: أ

تأذن لي أن أهجوه بيت من شعر؟ قال: لا! العمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، و لكني أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين و دعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لا بدّ من هجائه بيت. قال: أو أشتري/ذلك منك بدرهمين آخرين، و دعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أو أشتري/ذلك منك بدرهمين. فقال له [1]ترم: تحن و تعطف. و أصله «ترأم» سهلت الهمزة ثم حذفت لالتقاء الساكنين؛ فإن آخر الفعل ساكن بالجازم و حرك بالكسر للقافية.

[2]التكملة عن «معجم اللغة» .

[3]غرب: ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير. و غرب أيضا: جبل دون الشام في ديار بني كلب و عنده عين ماء تسمى غربة. هذا ما ورد في «معجم البلدان» لياقوت. لعله يعني هنا موضعاً آخر.

[4]يقال: عمر فلان فلانا كذا إذا جعله له طول عمره.

كثير: ائذن له، ما عسى أن يقول في بيت! فأذن له ابن أبي عتيق.
فقال:

قصير القميص فاحش عند بيته # يعصّ الفراد باسته و هو قائم

قال: فوثب كثير إليه فلكره، فسقط هو و الحمار، و خلص ابن أبي عتيق بينهما، و قال لكثير قبحك الله! أتأذن له و تسفه عليه! فقال كثير: أو أنا ظننته أن يبلغ بي هذا كله في بيت واحدا!

ادّعى أنه قرشي فرده الشعراء و سبه الكوفيون:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة و لم يتجاوزوه، و أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الرحمن بن الخضر الخزاعيّ عن ولد جمعة بنت كثير أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثير: أن عبد الملك بن مروان قال له: ويحك! الحق بقومك من خزاعة، فأخبر أنه من كنانة قريش، و أنشد كثير قوله: أ ليس أبي بالصلّت أم ليس إخوتي # بكل هجان من بني النضر أزهرًا

فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا # أراكا بأذنان الفوابل[1]أخضرا

أبيت التي قد سمتني و نكرتها # و لو سمتها قبلي قبضة[2]أنكرا

لبسنا ثياب العصب[3]فاختلط السدى # بنا و بهم و الحضرميّ المخضرا

/فقال له عبد الملك: لا بدّ أن تنشده هذا الشعر على منبري الكوفة و البصرة، و حملة و كتب/به إلى[4]العراق في أمره. قال عمر بن شبة في خبره خاصّة: فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك. و قال فيه الأحوص-و يقال: بل قاله سراقة البارقيّ-: لعمرى لقد جاء العراق كثير # بأحدوثة من وحيه المتكذب

أ يزعم أنّي من كنانة أولى # و ما لي من أمّ هناك و لا أب

فإن كنت حرّاً أو تخاف معرّة # فخذ ما أخذت من أميرك و اذهب

فقال كثير يجيبه-و في خبر الزبير: قال هذا لأبي علقمة الخزاعي:-

أيا خبت أكرم كنانة إنهم # مواليك إن أمر سما بك معلق

-و في رواية الزبير: «أبا علقم» .

[1]تقدمت فيه رواية أخرى: «بأذيال الخمائل» . (راجع الحاشية رقم 3 ص 7 من هذه الترجمة) .

[2] هو قيصة بن ذؤيب الخزاعي الكعبي أبو سعيد و أبو إسحاق، ولد في حياة النبي صلى الله عليه و سلم. و توفي سنة 86 (عن «شرح القاموس» مادة قبص) .

[3] كذا في كتاب «السيرة» لابن هشام (ج 1 ص 61 طبع أوربا) و «الروض الأنف» للسهيلي. و العصب: برود يمنية يعصب غزلها (أي يجمع و يشد) ثم يصغ و ينسج فيأتي موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صغ. قال السهيلي في كتابه «الروض الأنف» في معنى هذا البيت: «يريد أن قدودنا من قدودهم، فسدي أثوابنا مختلط بسدي أثوابهم. و الحضرمي: النعال المخرصة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين» .

[4] وردت هذه العبارة في ج: «و كتب في أمره» . و في سائر الأصول: «و كتب به إلى العراق في أمره» .

بنو النَّضر ترمي من ورائك بالحصى # أولو حسب فيهم وفاء و مصدق
يفيدونك المال الكثير و لم تجد # لملكهم شيها لو ائك تصدق
إذا ركبوا ثارت عليك عجاجة # و في الأرض من وقع الأسنّة أولق[1]
فأجابه الأحوص بقوله:

دع القوم ما حلّوا بيطن قراضم[2] # و حيث تفسّى[3] بيضه المتفلّق
فإنك لو قاربت أو قلت شبهة # لذي الحقّ فيها و المخاصم معلق
عذرنك أو قلنا صدقت و إنما # يصدّق بالأقوال من كان يصدق
سناىى بنو عمرو عليك و ينتمي # لهم حسب في جذم[4] غسّان معرق
فإنك لا عمرا أباك حفظته # و لا النَّضر إن ضيّعت شيخك تلحق
/ و لم تدرك القوم الذين طلبتهم # فكنت كما كان السقاء المعلّق
بجذمة[5] ساق ليس منه لحاؤها[6] # و لم يك عنها قلبه يتعلّق
فأصبحت كالمهريق فضلة مائه # لبادي سراب بالملا[7] يترقرق

قال: فخرج كثير فأتى الكوفة، فرمي به إلى مسجد بارق. فقالوا له:
أنت من أهل الحجاز؟ قال نعم. قالوا: فأخبرنا عن رجل شاعر ولد زنا يدعى
كثيراً. قال سبحان الله! أمّا تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان! قالوا: هو
ما قاله لنفسه. فانسَلَّ منهم و جاء إلى والي الكوفة حسّان بن كيسان،
فطيره على البريد. و قال عمر بن شبة في خبره: إنَّ سراقه البارقيّ هو
المخاطب له بهذه الشتيمة و إنه عرفه و قال له: إن قلت هذا على المنبر
قتلتك قحطان و أنا أولهم، فانصرف إلى منزله و لم يعد إلى عبد الملك.

نبذة عن سراقه البارقي و قصته مع المختار حين أسر:

و كان سراقه هذا شاعراً ظريفاً. فأخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ
عن النَّضر بن عمر[8] عن الهيثم بن عديّ عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان
سراقه البارقيّ من ظرفاء أهل العراق، فأسره المختار يوم جبّانة[9] السّبيع،
و كانت للمختار فيها وقعة [1]الأولق: الجنون.

[2]قراضم: موضع بالمدينة.

[3]كذا في «معجم ياقوت» في الكلام على قراضم. و في الأصول:
«تغشى» بالغين المعجمة.

[4]الجذم: الأصل.

[5] كذا في ج: و الجذمة: القطعة. و في سائر الأصول: «بخدمة ساق» . و يتعلق: لعل صوابه «يتفلق» . أي و لم يكن قلبه منشقا عنها.

[6] اللحاء: قشر الشجرة.

[7] الملا: الصحراء.

[8] في ح هنا: «عمرو» .

[9] جبانة السبيع: محلة بالكوفة مضافة إلى السبيع و هي قبيلة؛ و كانت وقعة المختار بن أبي عبيد الثقفي بها حين خرج للثأر من قتلة الحسن بن علي بن أبي طالب. الطبري (ق 2 ج 2) .

منكرة، ف جاء به الذي أسره إلى المختار فقال له: إني أسرت هذا. فقال له سراقة: كذب! ما هو الذي أسرني، إنما أسرني غلام أسود على برزون أبلق عليه ثياب خضر، ما أراه في عسيكرك الآن، و سلمني إليه. فقال المختار: أمّا إنَّ الرجل قد عاين/الملائكة! خلوا سبيله فخلوه، فهرب فأنشأ يقول: /

ألا أبلغ أبا إسحاق أتي # رأيت البلق دهما مصمتات [1]
أري عيني ما لم تبصراه # كلانا عالم بالترهات
كفرت بدينكم و جعلت نذرا # عليّ قتالكم حتى الممات

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت و كان ذلك رأي السيد:
أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال أخبرنا عمرو [2] و محمد بن الصّحاح قالا: كان كثير يتشيع تشيعاً قبيحاً، يزعم أنّ محمد بن الحنفية لم يمت. قال: و كان ذلك رأي السيد، و قد قال فيه (يعني السيد) شعراً كثيراً، منه: ألا قل للوصي فدتك نفسي # أطلت بذلك الجبل المقاماً

أضّر بمعشر والوك مئاً # و سمّوك الخليفة و الإماما
و عادوا فيك أهل الأرض طراً # مقامك عنهم سئين عاما
و ما ذاق ابن خولة [3] طعم موت # و لا وارت له أرض عظاما
لقد أوفى بمورق شعب رضوى # تراجع الملائكة الكلاما
و إنّ له به لمقيل صدق # و أندية تحدّثه كراما
هدانا الله إذ جرتم لأمر # به ولديه نلتمس التماما
تمام مودة المهدي حتّى # تروا راياتنا تترى نظاما

و قال كثير في ذلك:

ألا إنّ الأئمة من قريش # ولاة الحق أربعة سواء
عليّ و الثلاثة من بنيه # هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان و برّ # و سبط غيبتة كربلاء
و سبط لا تراه العين حتّى # يقود الخيل يقدمها [4] اللّواء
تغيّب لا يرى عنهم زمانا # برضوى عنده غسل و ماء

[1] كذا في الطبري (ق 2 ص 665) و به يستقيم الروي. و في الأصول «... عني أن البلق دهم مصمتات». و مصمت: لا يخالط لونه لون آخر. أي

أن دهمتها خالصة لا يشوبها لون آخر.

[2] في حـ: «عمر» .

[3] خولة: اسم أم محمد بن الحنفية.

[4] كذا فيما تقدم (ج 7 ص 276 من هذه الطبعة) . و في الأصول هنا:
«يتبعها» .

شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم:
 أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال: كان عبد الله بن الزبير قد أغري بني هاشم يتبعهم بكل مكروه و يغري بهم و يخطب بهم على المنابر و يصرّح و يعرّض بذكرهم. فربما عارضه ابن عبّاس و غيره منهم. ثم بدا له فيهم فحبس ابن الحنفية في سجن عارم[1]، ثم جمعه و سائر من كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في محبس و ملأه حطبا و أضرم فيه النار. و قد كان بلغه أنّ أبا[2] عبد الله الجدليّ و سائر شيعة ابن الحنفية قد وافوا لنصرته و محاربة ابن الزبير، فكان ذلك سبب إيقاعه به. و بلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها و استنقذهم، و أخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير منذ يومئذ. فأنشدنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثير يذكر ابن الحنفية و قد حبسه[3] ابن الزبير في سجن يقال له سجن عارم: من ير هذا الشيخ بالخيف من منّي # من الناس يعلم أنّه غير ظالم

/سميّ النبيّ المصطفى و ابن عمّه # و فكّك أغلال و نّفاع غارم
 أبي فهو لا يشري هدى بضلالة # و لا يتّقي في الله لومة لائم
 و نحن بحمد الله نتلو كتابه # حلولا بهذا الخيف خيف المحارم
 بحيث الحمام آمن الرّوع ساكن # و حيث العدو كالصديق المسالم
 /فما فرح الدّنيا بباق لأهله # و لا شدّة البلوى بضربة لازم
 تخبر[4] من لاقيت أنك عائد # بل العائد المظلوم في سجن عارم

أنشد عليّ بن عبد الله شعرا له في ابن الحنفية و حديثه معه:
 حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال حَدَّثَنَا يحيى بن الحسن العلويّ قال حَدَّثَنَا الزبير بن بكار، و أخبرني الحرميّ قال حَدَّثَنَا الزبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن سعيد عن عقبة الجهنيّ عن أبيه قال: سمعت كثيرا ينشد عليّ بن عبد الله بن جعفر قوله في محمد بن الحنفية: أقرّ الله عيني إذ دعاني # أمين الله يلطف في السّؤال

و أثنى في هواي عليّ خيرا # و ساءل عن بنيّ و كيف حالي
 و كيف ذكرت حال أبي خبيب # و زلّة فعله عند السّؤال
 هو المهديّ خبرناه كعب[5] # أخو الأبحار في الحقب الخوالي

[1]سجن بمكة.

[2] هو أبو عبد الله الجدلي عبدة بن عبد، أرسله المختار بن أبي عبيد نجة لبني هاشم لما حبسهم ابن الزبير، كما هو ظاهر في القعدة.
(انظر الطبري ق 2 ص 693-695) .

[3] في الأصول: «و قد حبسهم» .

[4] يريد عبد الله بن الزبير، و كان يدّعي أنه عائد بالبيت فلا يحل قتاله.

[5] هو كعب الأحبار بن ماتع و يكنى أبا إسحاق، و هو من حمير من آل ذي رعين، و كان على دين يهود فأسلم و قدم المدينة ثم خرج إلى

فقال له عليّ بن عبد الله: يا أبا صخر، ما يثني عليك في هواك خيرا إلا من كان على مثل مذهبك. قال: أجل بأبي أنت و أمي!. قال: و كان كثير كيسانيا[1] يري الرجعة. قال الزبير: أبو خبيب عبد الله بن الزبير، كناه بابنه خبيب و هو أكبر ولده، و كان كثير سيئ الرأي فيه. قال الزبير: فأخبرني عمي قال: لما قال كثير:

هو المهديّ خبرناه كعب # أخو الأخبار في الحقب الخوالي

/فقيل له: ألقيت كعبا؟ قال: لا. قيل: فلم قلت «خبرناه كعب»؟ قال: بالتوهم.

غلوه في التشيع و القول بالرجعة و أخبار له في ذلك:
قال: و كان كثير شيعيا غالبا يزعم أن الأرواح تتناسخ، و يحتج بقول الله تعالى: **فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** و يقول: أ لا ترى أنه حوله من صورة[2] في صورة!.

قال: فحدّثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: خندق الأسدّي الذي أدخل كثيرا في الخشيّة.

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني إبراهيم بن المنذر الحزاميّ عن محمد ابن معن الغفاريّ قال:

كنا بالسيّالة[3] في مشيخة نتحدّث، إذا بكثير قد طلع علينا متكئا على عصا.

فقال: كنا بببداء[4] بأشراف السيّالة و بهذه الناحية، فما بقي موضع[5] بببداء إلا و قد جنّته، فإذا هو على حاله ما تغير و ما تغيرت الجبال و لا الموضع الذي كنا نطوف فيه، و هذا يكون حتى نرجع إليه. و كان يؤمن بالرجعة.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني يحيى بن محمد قال:

دخل عبد الله بن حسن على كثير يعود في مرضه الذي مات فيه. فقال له كثير: أبشر! فكأنتك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق. فقال له عبد الله بن حسن: مالك عليك لعنة الله! فوالله لئن مت لا أشهدك و لا أعودك و لا أكلمك أبدا.

كان أبو هاشم يتجسس أخباره:

/أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الرّبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسبه عن ابن الماجشون قال:

/و كان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن عليّ قد وضع الأرصاد على كثير فلا يزال يؤتّى بالخبر من خبره، فيقول له إذا لقيه: كنت في كذا و كنت في كذا، إلى أن جرى بين كثير و بين رجل كلام فأتي به أبو هاشم. فأقبل به على -الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين و ثلاثين في خلافة عثمان بن عفان. (انظر «طبقات ابن سعد» ج 7 ق 2 ص 156 طبع أوروبا)

[1] في ج: «خشيبا» . و الخشبية: قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم و إن القرآن مخلوق. و قال ابن الأثير: هم أصحاب المختار بن أبي عبيد، و يقال: هم ضرب من الشيعة. و في سبب تسميتهم بالخشبية خلاف ذكره شارح «القاموس» في مادة خشب.

[2] لعله: «إلى صورة» .

[3] السيادة: بجوار المدينة، قيل: هي أوّل مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا

مكة.

[4] ببداء: يريد بها موضعا بعينه.

[5] في الأصول: «فما بقي موضع ببداء فيه إلّا و قد جئته... إلخ» . و

ظاهر أن كلمة «فيه» مقحمة من الناسخ. -

أدراجه[1]، فقال له أبو هاشم: كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا و كذا و قال لك كذا و كذا. فقال له كثير: أشهد أنك رسول الله.

كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار:

أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد، و أخبرنا! الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسب قال: نظر كثير إلى بني حسن بن حسن و هم صغار فقال: بأبي أنتم! هؤلاء الأنبياء الصغار. و كان يرى الرجعة.

و روى علي[2] بن بشر بن سعيد الرازي عن محمد بن حميد عن أبي زهير عبد الرحمن بن مغراء الدوسي عن محمد بن عمارة قال: مر كثير بمعاوية بن عبد الله بن جعفر و هو في المكتب، فأكب عليه يقبله و قال: أنت من الأنبياء الصغار و رب الكعبة!

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قعنب بن المحرز قال حدثني إبراهيم بن داثة قال: كان كثير شيعيا، و كان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم و يقول: و بأبي الأنبياء الصغار! و كان يؤمن بالرجعة. فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، و هو أخوهم لأهمهم، : يا عم هب لي، فيقول: لا! لست من الشجرة.

كان عمرو بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بني هاشم و فسادهم:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبيد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز: إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسادهم بحب كثير: من أحبه منهم فهو فاسد، و من أبغضه فهو صالح، لأنه كان خشيبا يقول بالرجعة.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدراوردي[3] عن أبي لهيعة عن رجاء بن حيوة قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: إن مما أعتبر به صلاح بني هاشم و فسادهم حب كثير، ثم ذكر مثله.

قال لعتمه إنه يونس بن متى:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن ابن دأب قال:

كان كثير يدخل على عمّه له ببرزة[4] فتكرمه و تطرح له و سادة يجلس عليها. فقال لها يوما: لا و الله ما تعرفيني [1]لعله «فأقبل على أدراجه» يريد أنه حضر لوقته لم يلو على شيء؛ فتكون كلمة «به» من زيادة النساخ.

[2] في جـ: «علي بن سعيد بن بشر الرازي» .

[3] الدراوردي: نسبة شاذة إلى دارابجرد (يقال: درابجرد) : بلد بفارس و محلة بنيسابور أيضا. (راجع «لب اللباب في تحرير الأنساب» للسيوطي) .

[4] البرزة: المرأة الكهلة التي لا تحتجب احتجاب الثواب و هي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس إلى الناس و تحدثهم.

و لا تكرميني حقّ كرامتي! قالت: بلى و الله إنني لأعرفك. قال: فمن أنا؟ قالت: ابن فلان و ابن فلانة، و جعلت تمدح أباه و أمّه. فقال: قد عرفت أنك لا تعرفيني. قالت: فمن أنت؟ قال: أنا يونس بن متى.

كان عاقا لأبيه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني أبي قال:

كان كثير عاقا لأبيه [1]، و كان أبوه قد أصابته قرحة في إصبع من أصابع يده. فقال له كثير: أ تدرى لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري قال: مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة.

ضافه مزني و ذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغفاريّ عن أبيه و غيره قال حدّثني رجل من مزينة قال: ضفت كثيرا ليلة و بيّ عنده ثم تحدّثنا و نمنا. فلما طلع الفجر تضرّور [2]، ثم قمت/ فتوضّأت و صلّيت و كثير راقد في لحافه. فلما طلع قرن الشمس تضرّور ثم قال: يا جارية اسجري لي ماء. قال قلت: تبا لك سائر اليوم! أ و هذه الساعة هذا! و ركبت راحلتي و تركته. قال الزبير: أسخني لي ماء.

كان يهزأ به و يصدق ما يسمع عن نفسه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبيد الله قال: ما رأيت قطّ أحقق من كثير. دخلت عليه يوما في نفر من قريش و كنا كثيرا ما نتهزأ به، و كان يتشبع تشبعا قبيحا. فقلت له: كيف تجدك يا أبا صخر؟ و هو مريض، فقال: أجدني ذاهبا. فقلت: كلا! فقال: هل سمعتم الناس يقولون شيئا؟ فقلت: نعم! يتحدّثون أنك الدجال. قال: أما لئن قلت ذلك إني لأجد في عيني ضعفا منذ أيام.

كان تياها و يستحمقه فتيان المدينة لذلك:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران: أن ناسا من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثير فيقولون و هو يسمع: إن كثيرا لا يلتفت من تيهه. فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر و يمضي في قميص.

سأله عبد الملك عن شيء و حلفه بأبي تراب:

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال:

بلغني أن كثيرًا دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال وحقّ عليّ بن أبي طالب إنه [1] في الأصول: «بأبيه» .
[2]التضوّر: التلوّي.

كما ذكرت؟ قال كثير: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقك لصدقتك. قال: لا أسألك إلا بحق أبي تراب [1]. فحلف له به فرضي.

تمثل عبد الملك بشعر له حين منعه عاتكة من الخروج لحرب مصعب و حديثه معه عن هذه الحرب:

أخبرنا الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، و أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرّد قال، و أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري و حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدثنا عمر بن شبة، و أخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا المؤملي عن ابن أبي عبيدة، قالوا جميعا.

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية و هي أم ابنه يزيد، و قالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنة لحرب مصعب، فإن آل الزبير ذكروا خروجك، و ابعث إليه الجيوش، و بكت و بكى جواربها معها. و جلس و قال: قاتل الله ابن أبي جمعة! فأين قوله:

صوت

إذا ما أراد الغزو لم تن همّه # حصان عليها عقد درّ يزينا

نهته فلما لم تر التهي عاقه # بكت فبكى مما شجاها قطينها [2]

-عنه ابن سريح ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق-و الله لكأنه/يراني و يراك يا عاتكة، ثم خرج.

قال محمد بن جعفر النحويّ في خبره- و وافقه عليه عمر بن شبة:- فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثير في ناحية عسكره يسير مطرقا، فدعا به و قال: لأعلم ما أسكتك و ألقى عليك بئك، فإن أخبرتك عنه أصدقني؟ قال نعم! قال:

قل و حقّ أبي تراب لتصدقني، قال: و الله لأصدقك. قال: لا أو تحلف به، فحلف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقي أحدهما صاحبه فيحاربه، القاتل و المقتول في النار، فما معنى سيرى مع أحدهما إلى الآخر و لا آمن سهما عائرا لعله أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما! قال: و الله يا أمير المؤمنين/ما أخطأت. قال: فارجع من قريب، و أمر له بجائزة.

بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد و ضحك منه:

أخبرنا وكيع قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثنا أبو تمام الطائي حبيب بن أوس قال حدّثني العطاء بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دمشق قال حدّثني حفص الأمويّ قال:

كنت أختلف إلى كثير أتروى شعره. قال: فو الله إني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال: قتل آل المهلب [1]أبو تراب: لقب عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، لقبه بذلك النبي صلى الله عليه و سلم، و ذلك أن علياً دخل على فاطمة رضي الله عنهما ثم خرج فاضطجع في المسجد. فقال النبي صلى الله عليه و سلم: أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد. فخرج إليه صلى الله عليه و سلم فوجد رداءه قد سقط عن ظهره و خلص التراب إلى ظهره؛ فجعل عليه الصلاة و السلام يمسح التراب عن ظهره و يقول له: أجلس يا أبا تراب (مرتين) . (عن «شرح القسطلاني على صحيح البخاري» ج 6 ص 138) .

[2]القطين: الخدم و الأتباع و الحشم.

بالعقر [1]. فقال: ما أجلّ الخطب! ضحّى آل أبي سفيان بالدين [2] يوم الطّف، وضحّى بنو مروان بالكرم يوم العقر! ثم انتضحت عيناه باكيا. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنة الله! أترابية [3] و عصبية! و جعل يضحك منه.

سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الرّبير قال حدّثني محمد عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مروان لكثير: من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر؟ قال: من يروي أمير المؤمنين شعره. فقال عبد الملك: أما إنّك لمنهم.

جواب عبد الملك له و قد سأله عن شعره:

أخبرنا وكيع قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزبّات قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن ابن أبي [4] عوف عن عوانة قال: قال كثير لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال أراه يسبق السحر، و يغلب الشعر.

كان عبد الملك يروي أولاده شعره:

أخبرنا عمّي عن الكرانيّ عن النّضر بن عمر قال:

كان عبد الملك بن مروان يخرج شعر كثير إلى مؤدّب ولده مختوما يروّيهم إياه و يرده.

نزل مرعي لإبله فضيق عليه أهله فدم جوارهم:

أخبرنا الحرميّ قال أخبرنا الرّبير قال حدّثنا عبد الله بن خالد الجهنيّ: أن كثيرا شبّ في حجر عمّ له صالح، فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسفه، و كان غير جيّد الرأي و لا حسن النظر في عواقب الأمور. فاشترى له عمّه قطيعا من الإبل و أنزله فرش [5] ملل فكان به، ثم ارتفع فنزل فرع المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف من جبل جهينة الأصغر، و كان قبل المسور لبني مالك بن أفضى، فضيّقوا على كثير و أساءوا جواره، فانتقل عنهم و قال: [1] هو عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبي صفرة سنة 102، و كان خلع طاعة بني مروان و دعا إلى نفسه و أطاعه أهل البصرة و الأهواز و واسط و خرج في مائة و عشرين ألفا. فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فوافقه بالعقر من أرض بابل فأجلت الحرب عن قتله. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

[2] كذا في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج 1 ص 618) . و في الأصول: «بالدمن» و هو تحريف. و الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه.

[3] يعني أنه من شيعة أبي تراب، و هو لقب علي بن أبي طالب كما أسلفنا.

[4] في ج: «عن أبي عوف عن عوانة» .

[5] في الأصول: «فرش مالك» . و التصويب عن «القاموس» و «شرحه» . و فرش ملل: واد بين عميس الحمائم و صخيرات الثمامة بالقرب من ملل قرب المدينة، يقال له الفرش و فرش ملل، أضيف إلى ملل لقربه منه. و هذه كلها مواضع نزلها رسول الله صلى الله عليه و سلم حين مسيره إلى بدر. راجع «القاموس و شرحه» مادة فرش و «معجم البلدان» لياقوت في الكلام عن فرش) .

أبت إبلي ماء الرّداة[1] و شقّها # بنو العمّ يحمون النّضح[2]المبرّدا
 و ما يمنعون الماء إلاّ ضنّانة # بأصلاّب عسرى[3]شوكها قد تحدّدا
 فعادت فلم تجهد على فضل مائه # رياحا و لا سقيا ابن طلق بن أسعدا
 قال: و يروى أنّه أوّل شعر قاله.

روايته عن بدء قوله الشعر:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الرّبير قال حدّثني عمّي قال: قال كثير: ما
 قلت الشعر حتى قولته. قيل له: و كيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوما نصف النهار
 أسير على بعير لي بالغميم[4]أو بقاع حمدان[5]، إذا راكب قد دنا منّي حتى
 صار إلى جنبي، فتأمّلته فإذا هو من صفر[6]و هو يجزّ نفسه في الأرض جرا.
 فقال لي: قل الشعر و ألقاه عليّ. قلت: من أنت؟ قال: أنا قرينك من الجنّ.
 فقلت الشعر.

عزة عشيقته و أول عشقه لها:

و نسب كثير لكثرة تشبيهه بعزّة الصّمرية إليها، و عرف بها
 فقيل[7]كثير عزّة. و هي عزّة بنت حميل[8]بن وقّاص. أخبرني الحرميّ بن
 أبي العلاء قال حدّثنا الرّبير قال حدّثني محمد بن الحسن قال: أبو
 بصرة[8]الغفاريّ المحدث و اسمه حميل بن وقّاص هو أبو عزّة التي كان
 ينسب بها كثير. و كان ابتداء عشقه إيّاها-على أنه قد قيل: إنه كان في ذلك/
 كاذبا و لم يكن بعاشق، و ذلك يذكر بعد خبره معها-فيما أخبرني به الحرميّ
 قال حدّثنا الرّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم/السعديّ قال
 حدّثني إبراهيم بن يعقوب بن جميع الخزاعيّ: أنه كان أوّل عشق كثير عزّة
 أن كثيرا مرّ بنسوة من بني ضمرة و معه جلب غنم، فأرسلن إليه عزّة و هي
 صغيرة، فقالت: يقلن[9]لك النسوة: بعنا كبشا من هذه الغنم و أنسننا بثمانه
 إلى أن ترجع، فأعطاها كبشا و أعجبتة. فلما رجع جاءته امرأة منهم
 بدراهمه، فقال: و أين الصبيّة التي أخذت منّي الكبش؟ قالت: و ما تصنع بها!
 هذه دراهمك. قال: لا آخذ دراهمي إلاّ ممن دفعت الكبش إليها. و خرج و هو
 يقول: قضى كلّ ذي دين فوقى غريمه # و عزّة ممطول معنى غريمها

قال: فكان أوّل لقائه إيّاها.

[1]الرّداة: الصخرة.

[2]النضیح: الحوض. و في الأصول: «النصیح» بالصاد المهملة و هو تصحیف.

[3]العسرى (بفتح العين و ضمها) : البقلة إذا بیست. و رواية «لسان العرب» (مادة عسر) : «بأطراف عسرى» .

[4]الغمیم: موضع قرب المدينة بين رايع و الجحفة.

[5]ظاهر أنه موضع بعينه.

[6]الصفرة: النحاس.

[7]عبارة أ، م: «و نسب كثير إلى عزة لكثرة تشبيهه بعزة الضمرية و غزله فيها فقیل... إلخ» .

[8]اختلف في اسم أبي بصره هذا فقیل: هو حمیل (بالحاء المهملة مصغرا) و قيل حمیل (بالجیم) و كل ذلك مضبوط محفوظ. و هو أبو بصره حمیل (أو جمیل) بن بصره بن وقاص بن حبيب بن غفار؛ له صحبة برسول الله صلى الله عليه و سلم و روي عنه أبو هريرة. في الأصول: «حمید بن وقاص» و هو تحریف. (راجع «الاستیعاب في معرفة الأنساب») .

[9]إثبات نون النسوة هنا لغة ضعيفة.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن الخضر [1] بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي جندل [2] عن أبيه عبد العزيز الخزاعيّ - و أمّه جمعة بنت كثير - عن أمه جمعة عن أبيها كثير: أنّ أوّل علاقته بعزّة أنه خرج من منزله يسوق خلف [3] غنم إلى الجار [4]، فلما كان بالخبث وقف على نسوة من بني ضمرة فسألهنّ عن الماء، فقلن لعزّة وهي جارية/حين كعب ثديها: أرشديه إلى الماء، فأرشدته وأعجبتته.

فبينما هو يسقى غنمه إذ جاءتة عزّة بدراهم، فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا بهذه الدراهم كبشا من ضأنك: فأمر الغلام فدفع إليها كبشا، و قال: ردّي الدراهم و قولي لهنّ: إذا رحت بكرّ اقتضيت حقي. فلما راح مرّ بهنّ، فقلن له: هذا حقك فخذ. فقال: عزّة غريمي [5]، و لست أقتضي حقي إلاّ منها. فمزحن معه و قلن: ويحك! عزّة جارية صغيرة و ليس فيها وفاء لحقك فأحله على إحداها فإنها أملاً به منها و أسرع له أداء. فقال: ما أنا بمحيل حقي عنها. و مضى لوجهه، ثم رجع إليهنّ حين فرغ من بيع جلبيه فأنشدهنّ فيها:

نظرت إليها نظرة و هي عاتق # على حين أن شبّيت و بان نهودها

و قد درّعوها و هي ذات مؤصّد # مجوب و لمّا يلبس الدرع ريدها [6]

من الخفرات البيض و دّ جليساها # إذا ما انقضت أحوثة لو تعيدها

في هذا البيت و أبيات آخر معه غناء يذكر بعد تمام هذا الخبر و ما يضاف إليه من جنسه. و أنشدهنّ أيضا: قضى كلّ ذي دين فوقّي غريمه # و عزّة ممطول معنى غريمها

فقلن له: أبيت إلاّ عزّة! و أبرزنها إليه و هي كارهة. ثم أحبّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبّه إيّاها. قال الزبير: فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخزاعيّ المعروف بأبي جندل عن هذا الحديث، فعرفه و حدّثني عن أبيه عن جدّه عبد العزيز بن أبي جندل عن أمه جمعة بنت كثير عن أبيها.

سؤال عبد الملك لعزّة عن كثير و سبب إعجابها بها:

و أخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدّثني محمد بن سعد الكرانيّ قال حدّثنا الثّضر بن عمرو قال حدّثني عمر بن عبد الله بن خالد المعيطيّ، و أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نعيم قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق الطّليحيّ، و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا/الزبير قال حدّثني يعقوب بن عبد الله الأسديّ و

غيره، قال الزبير و حدّثني محمد بن صالح الأسلميّ قال: [1]لعله: «عن أبي بكر بن عبد العزيز» إلخ.

[2]في الأصول: «عبد الرحمن بن جندل». و قد أصلحناه مما يأتي في الصفحة التالية.

[3]يحتمل أن يكون: «يسوق جلب غنم» .

[4]الجار: موضع على ثلاث مراحل من المدينة بساحل البحر. و الخبث في الأصل: المطمئن من الأرض فيه رمل، أو هو الوادي العميق الوطيء ينبت ضروب العضاء، و اسم لعدة مواضع.

[5]في الأصول: «غريمتي». و فعيل بمعنى مفعول إذا ذكر موصوفه يستوي فيه المذكر و المؤنث.

[6]المؤصد: صدار تلبسه الجارية (الفتاة الصغيرة) فإذا أدركت درّعت. و المجوب: الذي جعل له جيب. وريدها: تربها و ندها. و الأصل في «الرئد» بالهمز.

دخلت عرّة على عبد الملك بن مروان و قد عجزت، فقال لها أنت عرّة كثير! فقالت: أبا عرّة بنت حميل.

قال: أنت التي يقول لك كثير:

لعرّة نار ما تبوخ[1] كأنها # إذا ما رمقناها من البعد كوكب

فما الذي أعجبه منك؟ قالت: كلاً يا أمير المؤمنين! فو الله لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرّة. و في حديث محمد بن صالح الأسلمي: فقالت له: أعجبه منّي ما أعجب المسلمين منك حين صيّروك خليفة. قال: و كانت له سنّ سوداء يخفيها، فضحك حتى بدت. فقالت له: هذا الذي أردت أن أبعده. فقال لها: هل تروين قول كثير فيك: و قد زعمت أنّي تغيّرت بعدها # و من ذا الذي يا عرّ لا يتغيّر

تغيّر جسمي و الخليفة كالتي # عهدت و لم يخبر بسرّك مخبر

قالت [لا[2]!] و لكني أروي قوله:

كأني أنادي صخرة حين أعرضت # من الصّم لو تمشي بها العصم زلت

صفوحا[3] فما تلقاك إلا بخيلة # فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت

فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد- و في غير هذه الرواية: أنها أدخلت على أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان- فقالت لها: أ رأيت قول كثير: /

قضى كلّ ذي دين فوقى غريمه # و عرّة ممطول معنى غريمها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبله وعدته إياها. قالت: أنجزتها و عليّ إثمها.

قصة غلام له مع عرّة و إعتاقه بسبب ذلك:

أخبرنا الحسن بن الطيّب البجليّ الشّجاعيّ و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبة قال روى ابن جعدبة عن أشياخه، و أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكار قال حدّثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جعدبة عن أبيه.

أنّ كثيرًا كان له غلام تاجر، فباع من عرّة بعض سلعه و مطلته مدّة و هو لا يعرفها. فقال لها يوما: أنت و الله كما قال مولاي: قضى كلّ ذي دين فوقى غريمه # و عرّة ممطول معنى غريمها

فانصرف عنه خجلة. فقالت له امرأة: أتعرف عزة؟ قال: لا والله!.
قالت: فهذه والله عزة. فقال: لا جرم والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا
أقتضيها. ورجع إلى كثير فأخبره بذلك، فأعتقه و وهب له المال الذي كان
في يده.

[1]تبوخ: تسكن.

[2]هذه الكلمة ساقطة من ب، س.

[3]صفوحا: معرضة صادة.

لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها:

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حكيم السلمي عن قسيمة بنت عياض بن سعيد الأسلمية، وكنيتها أم البنين، قالت: سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع و جهينة، فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجنناها فرأينا امرأة حلوة حمراء [1] نظيفة، فتضاءلنا لها، و معها نسوة كلهن لها عليهن فضل من الجمال و الخلق، إلى أن تحدت ساعة فإذا هي أبرع الناس و أحلاهم حديثا، فما فارقتها إلا و لها علينا الفضل/في أعيننا، و ما نرى في الدنيا امرأة تروقها [2] جمالا و حسنا و حلاوة.

سأل عبد الملك كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها إذ أمرها بشتمه:

أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر (شيخ له) عن الهيثم بن عدي: أن عبد الملك سأل كثيرا عن أعجب خبر له مع عزة، فقال: حججت سنة من السنين و حج زوج عزة بها، و لم يعلم أحد منا بصاحبه. فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياح سمن تصلح به طعاما لأهل رفقته، فجعلت تدور الخيام [3] خيمة خيمة حتى دخلت إلي و هي لا تعلم أنها خيمتي، و كنت أبري أسهما لي. فلما رأيتها جعلت أبري و أنا أنظر إليها و لا أعلم حتى بريت عظامي مرّات و لا أشعر به و الدم يجري. فلما تبينت ذلك دخلت إلي فأمسكت يدي و جعلت تمسح الدم عنها بثوبها، و كان عندي نحي [4] من سمن، فحلفت لتأخذته، فأخذته و جاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته، حتى حلف لتصدقته فصدقته، فضربها و حلف لتشتمني في وجهي. فوقف علي و هو معها فقالت لي: يا ابن الزانية و هي تبكي، ثم انصرفا. فذلك حين أقول: يكلفها الخنزير شتمي و ما بها # هواني و لكن للمليك استذلت

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء:

صوت

خليلي هذا رسم [5] عزة فاعقلا # قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
و ما كنت أدري قبل عزة ما البكا # و لا موجعات القلب [6] حتى تولت
/ فليت قلوصي عند عزة قيّدت # بحيل ضعيف بان منها فضلت
و أصبح في القوم المقيمين رحلها # و كان لها باغ سواي فبلت [7]

[1] أي بيضاء. و العرب يقولون الأحمر و الحمراء في نعت آدميين و يريدون الأبيض و البيضاء.

[2] لعله: «تفوقها» .

[3] نصب «الخيام» إما على حذف حرف الجر، و إما على تضمين «تدور» معنى تجوز المتعدّي.

[4] النحي: زق للسمن.

[5] في «كتاب الشعر و الشعراء» : «ربع عزة» .

[6] في ج و «كتاب الشعر و الشعراء» : «موجعات الحزن» .

[7] يقال: بلت مطيته على وجهها إذا ذهبت في الأرض ضالة.

فقلت لها يا عزّ كلّ مصيبة # إذا وطّنت يوما لها النفس ذلّت
 أسيئي بنا أو أحسنني، لا ملومة # لدينا و لا مقلّبة إن تقلّت [1]
 هنيئا مريئا غير داء مخامر # لعزّة من أعراضنا ما استحلّت
 تمنّيها حتّى إذا ما رأيتها # رأيت المنايا شرّعا قد أطلّت
 كأني أنادي صخرة حين أعرضت # من الصّم لو تمشي بها العصم زلّت
 صفوحا فما تلقاك إلاّ بخيلة # فمن ملّ منها ذلك الوصل ملّت
 أصاب الرّدى أن كان يهوى لك الرّدى # و جنّ اللواتي قلن عزّة جنّت

عروضه من الطويل. غنّى معبد في الخمسة الأول ثقيلًا أوّل بالوسطى. و غنى إبراهيم في الثالث و الرابع ثقيلًا أوّل بالبنصر عن عمرو، و غنّى في «هنيئا مريئا» و الذي بعده خفيف رمل بالوسطى. و غنّى إبراهيم في الخامس و ما بعده ثاني ثقيل. و ذكر الهشاميّ أنّ لابن سريج في «هنيئا مريئا» و ما بعده ثاني ثقيل بالبنصر. و ذكر أحمد بن المكيّ أنّ لإبراهيم في «كأني أنادي» و الذي بعده و في «أسيئي بنا أو أحسنني» هزجا بالسبابة في مجرى البنصر، و لإسحاق فيه هزج آخر به [2]. و لعريب في «كأني أنادي» أيضا رمل. و لإسحاق في «و ما كنت/أدري» ثقيل أوّل. و له في «أصاب الردى» ثقيل أوّل آخر، و قيل: إنّ لإبراهيم في «فقلت لها يا عزّ» خفيف ثقيل ينسب إلى دحمان و إلى سياط.

اجتمعا ذات ليلة و وصف ذلك صديق له:

أخبرني الحرميّ و حبيب بن نصر قالّا حدّثنا الرّبير قال حدّثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجهنيّ عن أبيه قال: سارت علينا عزّة في جماعة من قومها، فنزلت حيالنا. فجاءني كثير ذات يوم فقال لي: أريد أن أكون عندك اليوم فأذهب إلى عزّة، فصرت به إلى منزلي. فأقام عندي حتى كان العشاء، ثم أرسلني إليها و أعطاني خاتمه و قال: إذا سلّمت فستخرج إليك جارية، فادفع إليها خاتمي و أعلمها مكاني. فجئت بيتها فسلمت فخرجت إليّ الجارية فأعطيتها الخاتم. فقالت: أين الموعد؟ قلت: صخرات أبي عبيد الليلة، فواعدتها هناك، فرجعت إليه فأعلمته.

فلما أمسى قال لي: انهض بنا، فنهضنا [3] فجلسنا هناك نتحدّث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدّثنا فأطالا، فذهبت لأقوم. فقال لي: إلى أين تذهب؟ فقلت: أخليكما ساعة لعلكما تتحدّثان ببعض ما تكتمان. قال لي: اجلس! فوالله ما كان بيننا شيء قط. فجلست و هما يتحدّثان و إنّ بينهما

لثمامة[4]عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحرنا، ثم قامت فانصرفت،
وقمت أنا و هو، فظلُّ عندي حتى أمسى ثم انطلق.

سامته سكينه بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم:

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الرّبير قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد
الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي قال: [1]تقلّى: تبغض. أي لا هي
ملومة لدينا و لا مقلية إن تقلت أي تبغضت. خاطبها أوّلا ثم غائب أي ذكرها
بضمير الغيبة.

[2]لعله: «بها» أي بالسبابة في مجرى البنصر.

[3]في جـ: «فمضينا» .

[4]كذا في «تجريد الأغاني» و الثمام: نبت ضعيف شبيه بالخص. و
في الأصول: «لهامة» و هو تحريف. -

خرج كثير في الحاجّ بجمال له يبيعه، فمرّ بسكينة بنت الحسين و معها عزة و هو لا يعرفها. فقالت سكينة: هذا كثير فسوموه بالجمال، فساموه فاستام مائتي درهم فقالت: ضع عنا فأبي. فدعت له بتمر و زبد فأكل، ثم قالت له: ضع عنا كذا و كذا (لشيء يسير) فأبي. فقالوا: قد أكلت يا كثير بأكثر مما نسالك! فقال: /ما أنا بواضع شيئاً. فقالت سكينة: اكشفوا، فكشفوا عنها و عن عزة. فلما رأهما استحيا و انصرف و هو يقول: هو لكم هو لكم!.

قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقاً في عشقه:

من ذكر أن كثيراً كان يكذب في عشقه:

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال:

كان كثير مدّعياً و لم يكن عاشقاً، و كان جميل صادق الصّابة و العشق.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلبيّ قالَا حدثنا عمر بن شبة قال [1] زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عبيدة يقول: كان جميل يصدق في حبه، و كان كثير يكذب.

و مما وجدناه في أخباره و لم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يوم و هي منتقبة تميمس في مشيتها، فلم يعرفها كثير، فأبغها و قال: يا سيّدتى! قفى حتّى أكلمك فأني لم أر مثلك قط، فمن أنت ويحك؟ قالت: ويحك! و هل تركت عزة فيك بقيّة لأحد؟ قال: بأبي أنت! و الله لو أنّ عزة أمة لي لوهبته لك.

قالت: فهل لك في المخاللة؟ قال: و كيف لي بذلك؟ قالت: أتّي و كيف بما قلت في عزة؟ قال: أقلبه فأحوّله إليك. فسفرت عن وجهها ثم قالت: أ غدرا يا فاسق و إنك لهكذا! فأبلس [2] و لم ينطق و بهت. فلما مضت أنشأ يقول: ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي # من السمّ جدحات [3] بماء الدّراح

فمّت و لم تعلم عليّ خيانة # و كم طالب للريح ليس براح

/أبوء بذنبي إنني قد ظلمتها # و إنني بباقي سرّها غير بائع

لقي عزة في طريقه إلى مصر و تعابا:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبيّ عن أبي المقوم قال أخبرني سائب راوية كثير قال: خرجت

معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عزة فإذا هي في خباء، فسلمنا جميعاً، فقالت عزة: و عليك السلام يا سائب. ثم أقبلت على كثير فقالت: ويحك! لا تتقي الله! رأيت قولك: بأية ما أتيتك أم عمرو # فقامت لحاجتي و البيت خالي

[1] في جـ: «زعم لي إسحاق بن إبراهيم... إلخ» .

[2] أبلس: سكت و تحير.

[3] في ب، س: «بخضاض» . و في سائر الأصول: «بخدخاد» . و التصويب عن «تجريد الأغاني» . و الجدحة اللثة؛ يقال: جدح السويق: إذالته. و الذراح: دوبيات أعظم من الذباب شيئاً مجزعة مبرقشة بحمرة و سواد و صفرة لها أجنحة تطير بها و هي سم قاتل.

أ خلوت معك في بيت أو غير بيت قطاً؟! قال. لم أقله، و لكنني قلت:
فأقسم لو أتيت البحر يوماً # لأشرب ما سقتني من بلال

و أقسم إنَّ حبَّك أمَّ عمرو # لداء عند[1] منقطع السعال

قالت: أمّا هذا فنعم. فأتينا عبد العزيز[2] ثم عدنا، فقال كثير: عليك
السلام يا عزة قالت: عليك السلام يا جمل.
فقال كثير.

صوت

حينك عزة بعد الهجر فانصرفت # فحيّ وحيك من حيّك يا جمل
لو كنت حييتها ما زلت ذا مقة[3] # عندي و ما مسك الإدلاج و العمل
ليت التحيّة كانت لي فأشكرها # مكان يا جمل حييت يا رجل

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات غناء لمعبد. و ذكر الهشامي أنّ فيها
لبثينة خفيف رمل بالبنصر. و ذكر حبش أنّ فيها للغريص خفيف ثقيل أوّل
بالوسطى، و لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

قصته مع أم الحويرث الخزاعية و حديث عشقه لها:

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني عليّ بن
محمد البرمكيّ قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال: قدم عليّ هشام بن
محمد الكلبيّ فسألته عن العشاق يوماً فحدّثني قال: تعشّق كثير امرأة من
خزاعة يقال لها أمّ الحويرث فنسب بها، و كرهت أن يسمّع بها و يفضحها
كما سمّع بعزة، فقالت له: إنك رجل فقير لا مال لك، فابتغ ما لا
يعقّي[4] عليك ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام. قال: فاحلفي لي و
وتقي أنّك لا تتزوّجين حتى أقدم عليك، فحلفت و ووّقت له. فمدح عبد
الرحمن بن إبريق[5] الأزديّ، فخرج إليه، فلقيته طباء سوانج و لقي غرابا
يفحص التراب بوجهه، فتطير من ذلك حتى قدم على حيّ من لهب[6] فقال:
أبكم يزجر؟ فقالوا: كلنا، فمن تريد؟ قال: أعلمكم بذاك. قالوا: ذاك الشيخ
المنحني الصّلب. فأتاه فقصّ عليه القصة، فكره ذلك له و قال له: قد توقّيت
أو تزوجت رجلا من بني عمّها. فأنشأ يقول:

صوت

تيممت لها أبتغي العلم عندهم # و قد ردّ علم العائفين إلى لهب

[1] كذا في «تجريد الأغاني» . و يعني بمنقطع السعال: الصدر. و قد ورد هذا الشعر في كتاب «الشعر و الشعراء» هكذا: «لدى جنبي و منقطع السعال» . و في الأصول: «لداء عند منقطع السؤال» و هو تحريف.

[2] يريد عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان.

[3] المقمة: المحبة.

[4] أي يصلحك و يحل الغنى منك محل الفقر.

[5] في «تجريد الأغاني» : «عبد الرحمن بن الأبرش الأزدي» .

[6] لهب: قبيلة من اليمن معروفة بالعيافة و زجر الطير.

تيمّمت شيخا منهم ذا بجالة[1] # بصيرا بزجر الطير منحنى الصّلب
 فقلت له ما ذا ترى في سوانح # و صوت غراب يفحص الوجه بالثّرب
 /فقال جرى الطير السّنيح بينها # و قال غراب جدّ منهمر السّكب
 فالّا تكن ماتت فقد حال دونها # سواك خليل باطن من بني كعب

-عُتاه مالك من رواية يونس و لم يجنّسه-قال: فمدح الرجل الأزديّ ثم
 أتاه فأصاب منه خيرا كثيرا، ثم قدم عليها فوجدها قد تزوجت رجلا من بني
 كعب، /فأخذه الهلاس[2]، فكشح[3] جنباه بالنار. فلما اندمل[4] من علته
 وضع يده على ظهره فإذا هو برقمتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: إنه أخذك
 الهلاس و زعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا الكشح بالنار فكشحت بالنار. فأنشأ
 يقول:

صوت

عفا الله عن أمّ الحويرث ذنبا # علام تعيّني و تكمي[5]دوائيا
 فلو آذوني[6]قبل أن يرقموا بها # لقلت لهم أمّ الحويرث دائيا

-في هذين البيتين لمالك ثقيل أوّل بالوسطى. و لابن سريج رمل
 بالبنصر كلاهما عن عمرو و الهشاميّ. و قيل: إن فيهما لمعبد لحنا- و قد
 أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر المهلبيّ قالَا حدّثنا
 عمر بن شبة و لم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا و قال فيه: إنه قصد ابن
 الأزرق بن حفص بن المغيرة المخزوميّ الذي كان باليمن، و إنه فعل ذلك
 بعد موت عرّة. و سائر الخبر متقارب.

سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابهُ:

و أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل
 الجعفريّ عن محمد بن سليمان بن فليح أو فليح بن سليمان-أنا شككت-عن
 أبيه عن جدّه قال: جاء كثير إلى عبد الله بن جعفر و قد نحل و تغيّر. فقال
 له عبد الله: ما لي أراك متغيرا يا أبا صخر؟ قال: هذا ما عملت بي أمّ
 الحويرث، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القشّ و إذا به آثار من كيّ،
 ثم أنشده: عفا الله عن أمّ الحويرث ذنبا

الآيات.

[1]ذا بجالة: يبجله الناس و يعظمونه.

[2]الهلاس: داء يهزل الجسم أو هو السل.

[3]الكشح: الكيِّ بالنار.

[4]أي تماثل و تراجع للبراء.

[5]تكمي: تستر.

[6]كذا في «تجريد الأغاني» : و في الأصول: «و لو لا ذنوبي» و هو تحريف.

أغرّت عزة به بثينة لتبين حاله:

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أبيّ قال حدّثني الحزاميّ عن حدّثه من أهل قديد[1]: أنّ عزة قالت لبثينة: تصدّي لكثير و أطمعني في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به. فأقبلت إليه و عزة تمشي وراءها مختفية، فعرضت عليه الوصل، فقاربها ثم قال: رمتني على عمد بثينة بعد ما # تولى شبابي و ارججن[2] شبابها

و ذكر أبياتا[3] آخر سقط من الكتاب ذكرها. فكشفت عزة عن وجهها، فبادرها الكلام ثم قال: و لكنّما ترمين نفسا مريضة # لعزة منها صفوها و لبابها

فضحكت ثم قالت: أولى لك بها قد نجوت، و انصرفتا تتضحكان.

قال لأهله إذ بكوا في مرضه سأرجع بعد أيام:

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال: بكى بعض أهل كثير عليه حين نزل به الموت. فقال له كثير: لا بتك، فكأنتك بي بعد أربعين ليلة تسمع خشفة[4] نعلی من تلك الشّعبة راجعا إليكم.

مات هو و عكرمة في يوم واحد سنة 105:

أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلام قال حدّثني ابن جعدة و أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: مات كثير و عكرمة مولى ابن عبّاس في يوم واحد، فاجتمعت قريش في جنازة كثير، و لم يوجد لعكرمة من يحملة.

/أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمر بن مصعب قال/ حدّثني الواقديّ قال حدّثني خالد بن القاسم البياضيّ قال: مات عكرمة مولى ابن عبّاس و كثير بن عبد الرحمن الخزاعيّ صاحب عزة في يوم واحد في سنة خمس و مائة، فرأيتهما جميعا صلي عليهما في يوم واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس و أشعر الناس.

ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر و زينب بنت معيقب:

و قال ابن أبي سعد الورّاق حدّثني رجاء بن سهل أبو نصر الصاغانيّ قال حدّثنا يحيى بن غيلان قال حدّثني المفضل بن فضالة عن يزيد بن عروة قال: [1] قديد: اسم موضع قرب مكة.

- [2] أرجن شبابها: يريد اهتز نضارة و حسنا.
- [3] في جـ: «و ذكر بيتا آخر سقط من الكتاب» .
- [4] خشفة النعل: صوتها.

مات عكرمة و كثير عزة في يوم واحد، فأخرجت جنازتهما، فما علمت تخلفت امرأة بالمدينة و لا رجل عن جنازتهما. قال: و قيل مات اليوم أشعر الناس و أعلم الناس. قال: و غلب النساء على جنازة كثير بيكينه و يذكرن عزة في نديتهن له. قال: فقال أبو جعفر محمد [1] بن علي: افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها. قال: فجعلنا ندفع عنها النساء و جعل يضربهن محمد بن علي بكمه و يقول: تنحّين يا صواحبات يوسف. فانتدبت له امرأة منهم فقالت: يا ابن رسول الله لقد صدقت، إنّنا لصواحبات يوسف و قد كنّا له خيرا منكم له. قال: فقال أبو جعفر لبعض مواليه: احتفظ بها حتى تجيئي بها إذا انصرفنا. قال: فلما انصرف أتت بتلك المرأة كأنها شرارة النار. فقال لها محمد بن علي: أنت القائلة إنك ليوسف خير منّا؟ قال: نعم! تؤمنني غضبك يا ابن رسول الله؟ قال: أنت آمنة من غضبي فأبيني. قالت: نحن يا ابن رسول الله دعوانه إلى اللذات من المطعم/و المشرب و التمتع و التنعّم، و أنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجبّ و بعتموه بأخس الأثمان و حبستموه في السجن. فأئنا كان عليه أحنى و به [2] أرأف؟! فقال محمد: لله درك! و لن تغالب امرأة إلا غلبت. ثم قال لها: أ لك بعل؟ قالت: لي من الرجال من أنا بعله. قال: فقال أبو جعفر: صدقت، مثلك من تملك بعلاها و لا يملكها. قال: فلما انصرفت قال رجل من القوم: هذه زينب بنت معيقب [3].

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء:

صوت

نظرت إليها نظرة و هي عاتق # على حين أن شئت و بان نهودها

نظرت إليها نظرة ما يسرني # بها حمر أنعام البلاد و سودها

و كنت إذا ما جئت سعدى بأرضها # أرى الأرض تطوى لي و يدنو بعيدها

من الخفرات البيض وّ جليساها # إذا ما انقضت أحوثة لو تعيدها

عروضه من الطويل. البيت الأول لكثير، و الثاني و الثالث لنصيب من قصيدته التي أولها: لقد هجرت سعدى و طال صدودها غنى في البيت الثاني و الثالث جدر الراعي خفيف رمل بالنصر. و غنى فيهما الهذلي رملا بالوسطى. و غنى في الثالث و الرابع دعامة ثقيلة أول بالنصر.

عمر الوادي يأخذ صوتا عن راعي غنم في شعر له:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال عمر الوادي، و أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني مكي

العذريّ قال: /سمعت عمر الواديّ يقول: بينا أنا أسير بين الرّوحاء و العرج إذ سمعت إنسانا يغنيّ غناء لم أسمع/قطّ مثله في بيتي كثير: [1]هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو جعفر المدني المعروف بالباقر توفي سنة 114 هـ.

[2]في الأصول: «فأينا كان به أحنى و عليه أرأف» . و التصويب عن «تجريد الأغاني» .

[3]في ج: «معقيب» .

و كنت إذا ما جئت سعدى بأرضها # أرى الأرض تطوى لي و يدنو بعبيدها

من الخفريات البيض و دّ جليساها # إذا ما انقضت أحوثة لو تعيدها

قال: فكدت أسقط عن راحلتي طربا، و قلت: و الله لألتمسنّ الوصول إلى هذا الصوت و لو بذهاب عضو من أعضائي، فتيّممت سمته [1] فإذا راع في غنم، فسألته إعادته عليّ. قال: نعم! و لو حضرني قرى أقرئك ما أعدته، و لكنّي أجعله قراك، فربما ترنّمت به و أنا غرثان فأشبع، و عطشان فأروى، و مستوحش فأنس، و كسلان فأنشط.

قال: فأعادهما عليّ حتى أخذتهما، فما كان زادي حتى و لجت المدينة غيرهما.

[1] سمته: ناحيته و جهته.

2- أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

كان عالماً و مغنياً و نسب غناؤه لجاريته شاجي ترفعا:

هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، و يكنى أبا أحمد. و له محلٌّ من الأدب و التصرّف في فنونه و رواية الشعر و قوله و العلم باللغة و أيام الناس و علوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى و الهندسة و غير ذلك مما يجلُّ عن الوصف و يكثر ذكره. و له صنعة في الغناء حسنة متقنة عجيبة تدلُّ على ما ذكرناه ها هنا من توصله إلى ما عجز عنه الأوائل من جمع التغم كلها في صوت واحد تتبَّعه هو و أتى به على فضله فيها و طلبه لها. و كان المعتضد بالله، رحمة الله عليه، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء و بحضرته أكابر المغنِّين مثل القاسم بن زرور و أحمد بن المكيّ و من دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء و طبقتهم، فيعدل عنهم إليه فيصنع فيها أحسن صنعة، و يترقّع عن إظهار نفسه بذلك، و يومئ إلى أنه من صنعة جاريته شاجي [1]، و كانت إحدى المحسنات المبرّزات المقدمات؛ و ذلك بتخريجه و تأديبه، و كان بها معجبا و لها مقدّما.

كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله و طلب منه جاريته ليعلم غناها فأرسلها له:

فأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: لما اختلت حال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان المعتضد يتفقده بالصلّات الفينة بعد الفينة. و اتفق يوما كان فيه مصطبحا أن غنّي بصوت الصنعة فيه لشاجي جارية عبيد الله؛ فكتب إليه كتابا يقسم أن يأمرها بزيارته ففعل. قال: فحدّثني من حضر من المغنّيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت: دخلت إلينا و ما منّا إلا من يرفل في الحلبيّ و الحلل و هي في أثواب ليست كثيابنا، فاحتقرناها؛ فلما غنّت احتقرنا أنفسنا. و لم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجبل و صرنا كلا شيء. قال: و لما انصرفت أمر لها /المعتضد بمال و كسوة. و دخلت إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها و ما رأت مما استظرفت و سمعت مما استغربت. فقالت: ما استحسننت هناك شيئا و لا استغربته من غناء و لا غيره إلا عودا من عود محفور [2] فإتي استظرفته. قال جحظة: فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمدّ عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عودا!.

كانت شاجي جاريته تلحن للمعتضد بعض الشعر:

قال محمد بن الحسن الكاتب و حدّثني التوشجانيّ قال:

كان المعتضد إذا استحسن شعرا بعث به إلى شاجي جارية عبيد الله بن طاهر فتغنّي فيه. قال: و كانت صنعتها تسمّى في عصره غناء الدار.

[1] في «نهاية الأرب» (ج 5 ص 66) : «ساجي» بالسين المهملة.
[2] كذا في أ، م و «نهاية الأرب» . و في سائر الأصول: «مفحور» و هو
تحريف.

ماتت شاجي فرناها:

قال محمد بن الحسن: و ماتت شاجي في حياة/عبيد الله بن عبد الله بن طاهر و كان عليلا، فقال يرثيها-و له فيه صنعة من خفيف الثَّقيل الأوَّل بالوسطى-: يمينا يقينا لو بليت بفقدها # و بي نبض عرق للحياة أو التَّكس

لأوشكت قتل النفس قبل فراقها # و لكنها ماتت و قد ذهبت نفسي

له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء:

و من نادر صنعة عبيد الله و جيّد شعره قوله-و له فيه لحنان ثقيل أوَّل و هزج، و الثَّقيل الأوَّل أجودهما-: أنفق إذا أيسرت غير مقتر # و أنفق على ما خيلت حين تعسر

غير الجود يفنى المال و المال مقبل[1] # و لا البخل يبقي المال و الجدّ مدير

و أشعاره كثيرة جيّدة كثيرة النادر و المختار. و كتابه في النغم و علل الأغاني المسمّى «كتاب الآداب الرفيعة» كتاب مشهور جليل الفائدة دالّ على فضل مؤلّفه.

قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها و أمر له بمال:

أخبرني جحظة قال حدّثني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني موسى بن هارون، فيما أرى، قال: /كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر و قد جاءه الزبير بن بكار فأعلمه أن المتوكّل أو المعتزّ- و أراه المعتزّ- بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره و تقليده القضاء. فقال له الزبير بن بكار: قد بلغت هذه السنّ و أتولى القضاء! و بعد ما رويت أنّ من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكّين! فقال له: فتلحق بأمر المؤمنين بسرّ من رأى، فقال له: أفعل. فأمر له بمال ينفقه، و بظهر يحمله و يحمل ثقله. ثم قال له: إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئا قبل أن نفترق! قال: نعم! انصرفت من عمرة المحرّم؛ فبينما أنا بأثاية[2] العرج، إذا أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم و إذا رجل كان يقنص الأطباء و قد وقع ظبي في حبالته فذبحه، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشب القرن فيه فمات. و أقبلت فتاة كأنها المهابة، فلما رأّت زوجها ميّتا شهقت ثم قالت: يا حسن لو بطل لكنّه أجل # على الأثاية ما أودى به البطل

يا حسن جمّع أحشائي و أقلقها # و ذاك يا حسن لو لا غيره جلل

أضحت فتاة نهد علانية # و بعلاها بين أيدي القوم محتمل

قال: ثم شهقت فماتت. فما رأيت أعجب من الثلاثة: الطيبي مذبوح، و
الرجل جريح ميت، و الفتاة ميتة [حرّى] [3].

[1] الرواية المشهورة: «و الجد مقبل» .

[2] الأثاية: موضع في طريق الجحفة بينه و بين المدينة خمسة و
عشرون فرسخا و هو بين الرويثة و العرج، مر به النبي صلى الله عليه و
سلم في خرجة له إلى مكة و هو محرم. و رواه بعضهم «أثائة» بقاء مثلثة
أخرى كما ورد في الأصول، و رواه آخرون «أثانة» بالنون. و كلاهما خطأ.
راجع «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري.

[3] زيادة عن ج.

فأمر له عبيد الله بمال آخر. ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج الزبير فقال: أما إن الذي أخذناه من الفائدة في خبر حسن و في قولها[1]: أضحت فتاة بني نهد علانية

/- تريد ظاهرة-أكثر عندي مما أعطيناها من الحياء و الصلّة. و قد أخبرني الحسين بن عليّ عن الدمشقيّ عن الزبير بخبر حسن فقط، و لم يذكر فيه من خبر عبيد الله شيئاً.

و من الأصوات التي تجمع النغم العشر

:

صوت

لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر:

/و هو يجمع النغم العشر كلها على غير توال:

و إنك إذا أطمعتني منك بالرّضا # و أياستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كفّ حالب # و دافقة من بعد ذلك ما حلب

عروضه من الطويل. الشعر لإبراهيم بن عليّ بن هرمة. و الغناء في هذا اللحن الجامع للنغم لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها و عليها ابتداء الصوت.

أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة و شعر لجريز:

و قال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثني بعض أصحابنا عن أبي نواس أنه قال: شاعران قالا بيتين وضا التشبيه فيهما في غير موضعه. فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر، و أخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لصار متّفقا معنى و تشبيها. فقلت له: أئى ذلك؟ فقال: قول جريز للفرزدق: فإنك إذ تهجو تميما و ترتشى # تباين[2] قيس أو سحوق العمائم

كمهريق ماء بالفلاة و غرّه # سراب أذاعته رياح السّمائم

و قول ابن هرمة:

و إنّي و تركي ندى الأكرمين # و قدحي بكفّي زندا[3]شحا

/كتاركة بيضها بالعراء # و ملبسة بيض أخرى جناحا

فلو قال جريز:

فإنك إذ تهجو تميما و ترتشي # تباين قيس أو سحوق العمائم

[1] في الأصول: «و في قوله» . و التصويب عن «تجريد الأغاني» .

[2] التباين: جمع تبان و هو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين. و السحوق: جمع سحق، و هو الثوب الخلق البالي.

[3] كذا في «أكثر الأصول و اللسان» مادة شح. و زند شحاح: لا يورى. و في ب، س، هنا و فيما سيأتي في جميع الأصول: «زنادا شحاحا» .

كتاركة بيضها بالعراء # و ملبسة بيض أخرى جناحا

لكان أشبه منه بيته. و لو قال ابن هرمة مع بيته:

و إني و تركي ندى الأكرمين # و قدحي بكفّي زندا شحاحا

كمهريق ماء بالفلاة و غرّه # سراب أذاعته رياح السمائم

كان أشبه به. ثم قال: و لكن ابن هرمة قد تلافى ذلك بعد فقال:

و إنك إذ أطمعتني منك بالرضا # و أياستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كفّ حالب # و دافقة من بعد ذلك ما حلب

و قد أتى عبيد الله بن عبد الله بهذا الكلام بعينه في «الآداب الرفيعة» [1]. و إنما أخذه من أبي نواس على ما روي عنه.

و مما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب:
و وجدت في كتاب مؤلف في النغم غير مسمّى الصانع: أن من الأصوات التي تجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر المكيّ في شعر نصيب و هو:

صوت

ألا أيّها الرّبع المقيم بعنّيب [2] # سقتك السّوافي من مراح و معزب

بذي هيدب أمّا الرّبي تحت ودقه # فتروى و أمّا كلّ واد فيزعب [3]

/عروضه من الطويل. و يروى «الربع الخلاء بعنّيب» أي الخالي. و عنّيب: موضع، و يروى «سقتك الغوادي من مراد». و المراد. الموضع الذي يرتاد فيرعى فيه الكلاً. و المراح: الموضع/الذي تروح إليه المواشي و تبيت فيه [4].

و في الحديث أنه رخص في الصلاة في مراح الغنم و نهى عنها في أعطان الإبل. و المعزب: الموضع الذي يعزب فيه الرجل عن البيوت و المنازل. و أصل العزوب: البعد يقال عزب عنه رأيه و حلمه أي بعد، و العزب مأخوذ من ذلك.

و هيدب السماء أطراف [5] تراها في أذناها كأنه معلّق به. قال أوس [6] ابن حجر: دان مسفّ فوق الأرض هيدبه # يكاد يدفعه من قام بالراح

و يزعب: يطفح، يقال: زعبه السيل إذا ملأه[7]. الشعر لنصيب يقوله في عبد العزيز بن مروان.

[1] في الأصول هنا: «الآداب التسعة» و هو تحريف، و قد تقدّم اسم هذا الكتاب.

[2] عنيب (بضم العين و سكون النون و ضم الباء الأولى كما رواه السكري، و في أمثلة سيوبه أنه بفتح الباء) : موضع.

[3]أورد صاحب «اللسان» هذا البيت في مادة «رعب» بالراء المهملة. و رعب و زعب بمعنى، يستعملان لازمين فيقال رعب الوادي أو زعب إذا تملأ، و متعديين فيقال رعب السيل الوادي أو زعبه إذا ملأه. و روي في البيت أيضا «فيروي» بضم الياء و كسر الواو، و بنصب «كل» على أن تكون «الربى» «و كل واد» مفعولين مقدمين. (راجع «اللسان» في مادة رعب) .

[4]هذا المعنى للمراح بضم الميم. و أما بفتحها فهو الموضع الذي يروح إليه القوم أو يروحون منه كالمغدي للموضع الذي يغدي منه أو إليه.

[5]كذا في الأصول. و لعل صوابه: «أطراف تراها في أذنا به كأنها معلقة به» . و المراد بالسماء السحاب.

[6]لقد ورد في «اللسان» في مادتي «هدب و سف» أن هذا البيت يروي أيضا لعبيد بن الأبرص.

[7]في الأصول: «إذا علاه» و التصويب عن «معاجم اللغة» . و قول المؤلف «يطفح» تفسير لمعنى الفعل لازما. و قوله بعد ذلك: «يقال زعبه السيل إذا ملأه» تفسير لمعناه متعديا. فكان ينبغي أن يكون «و يقال... إلخ» بالواو للدلالة على أنه لازم و متعد.

وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان و مدحه فأجازه:

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جميع بن علي التميمي عن عبد الله بن عبد العزيز بن محجن بن النصيب، قال الزبير و كتب إلي بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النصيب قالت: وفد أبي على عبد العزيز بن مروان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يؤذن له. فأرسل إليه حاجبه فقال: استنشه، فإن كان شعره رديئا فارده، و إن كان جيّدا/فأدخله. فقال نصيب: قد جلبنا شيئا للأمير، فإن قبله نشرناه عليه و إلا طويناه و رجعنا به. فقال عبد العزيز: إنّ هذا لكلام رجل ذهن، فأدخله. فلما واجهه أنشده قصيدته التي يقول فيها: ألا هل أتى الصقر بن مروان أنني # أردّ لدي الأبواب عنه و أحجب

و أنني ثويت اليوم و أمس قبله # على الباب حتى كادت الشمس تغرب

و أنني إذا رمت الدخول تردني # مهابة قيس و الرّجاج المصنّب [1]

قال: و كان حاجب عبد العزيز يسمى قيسا. قال: و تشييب هذه القصيدة: ألا أيها الرّبع المقيم بعنّب # سقتك السّواقى من مراح و معزب
قال: فلما دخل على عبد العزيز أعجب بشعره و أوجهه [2]، و قال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حسن إلا من لغته. قال: هذا و الله أشعر منك!. قال: و قال نصيب فيها أيضا: و أهلي بأرض نازحون و ما لهم # كاسب غيري و لا متقلب

فهل تلحقّيهم بعبل [3] مواشك # على الأين من نجب ابن مروان أصهب

أبو بكرات إن أردت افتحاله # و ذو ثبات بالزّديفين متعب

فقال له عبد العزيز: أدخل على المهاري [4] فخذ منها ما شئت، فلو كنت سألت غيره لأعطيته. فدخل فرده الجمال.

فقال عبد العزيز: دعه فإنما يأخذ الذي نعت، فأخذه.

/قال الزبير و حدثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال: نزل عبد العزيز بن عبد الوهّاب على المهدي بعنّب من وادي السّراة الذي عنى نصيب بقوله: ألا أيها الرّبع الخلاء بعنّب

و المهدي [5] هو الذي يقول فيه الشاعر:

اسلمي يا دار من هند # بالسّويقات إلى المهدي

[1] رتاج مضرب: مجعولة له ضبة.

[2] أوجهه: جعله وجيها و شرفه.

[3] العبل: الضخم. و المواشك: السريع. و الأين: الإعياء و التعب. و في هذا البيت إقواء.

[4] المهرية: إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان و هو أبو قبيلة.

[5] الظاهر أنه اسم موضع و لم نقف عليه. (و سويقة) : اسم لمواضع كثيرة. و لعل «السويقات» موضع بعينه.

صوت له يجمع ثماني نغم و قد مدحه إسحاق صوت

و هو يجمع من النغم ثمانيا:

يا من لقلب مقصر # ترك المنى لفواتها
/و تظلف النفس التي # قد كان من حاجاتها
و طلابك الحاجات من # سلمى و من جاراتها
كتطرّد العنس الدّمّو # ل[1]الفضل من مثناتها

قوله: «يا من لقلب مقصر» تأسّف على شبابه، و يدلّ على ذلك قوله:
و تظلف النفس التي # قد كان من حاجاتها

يقال: اظلف نفسك عن كذا أي أمنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه. و هو مأخوذ من ظلف الأرض و هو المكان[2]الذي لا أثر فيه. قال عوف بن الأحوص: أ لم أظلف[3]عن الشعراء عرضي # كما ظلف الوسيقة بالكرع /الوسيقة: الجماعة من الإبل. يعني أنها تساق فلا يوجد لها أثر في الكراع، و هو منقطع الجبل. قال الشاعر: أمست كراع الغميم[4]موحشة # بعد الذي قد خلا، من العجب

و قوله:

كتطرّد العنس الدّمّو # ل الفضل من مثناتها

يقول: طلابك هذه الحاجات ضلال و تتابع كتطرّد العنس (و هي الناقة المذكورة الخلق) الفضل من مثناتها. و التطرّد: التتبّع، و مثله قول الشاعر:

خبطت الصّبا خبط البعير خطامه # فلم أنتبه للشّيب حتى علانيا

الشعر لمسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس. و الغناء لابن محرز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. و هذا الصوت يجمع من النغم ثمانيا، و كذلك ذكر إسحاق و وصف أنه لم يجمع شيء من الغناء قديمه و حديثه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت، و وصف أنه لو تلتطف متلطف لأن يجمع النغم العشر في صوت واحد لأمكنه ذلك، بعد أن يكون فهما بالصناعة طويل المعاناة لها و بعد أن يتعب نفسه في ذلك حتى يصحّ له. فلم يقدر على ذلك سوى عبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا.

[1]ناقة ذمول: تسير سيرا سريعا لينا. و المثناة الجبل.

[2] أي المكان الصلب الذي لا يبقى فيه أثر للمشي.

[3] أي عميت عليهم أثري. و قوله: «كما ظلف الوسيقة بالكراع» قال ابن الأعرابي: هذا رجل سل إبلا فأخذ في كراع من الأرض لئلا تستبين آثارها فتتبع. (عن «لسان العرب» مادة ظلف).

[4] كراع الغميم: موضع بين مكة و المدينة.

3- ذكر مسافر و نسبه

نسبه و هو أحد السادات المعروفين بأزواد الركب: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، و يكنى أبا أمية. و قد تقدّم نسبه و أنساب أهله. و أمّه أمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، و هي أمّ أبي معيط أبان بن عمرو بن أمية. و أبو معيط و مسافر أخوان لأب و أمّ، و هما أخوا عمومتها أبي العاصي و أخويه من بني أمية الذين أمّهم أمنة، لأنّ أبا عمرو تزوجها بعد أبيه. و كان سيّدا جوادا، و هو أحد أزواد[1]الركب، و إنما سمّوا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريبا و لا ماّر طريق و لا محتاجا يجتاز بهم إلا أنزلوه و تكفلوا به حتى يظعن.

مناقضاته عمارة بن الوليد:

و هو أحد شعراء قريش، و كان يناقض عمارة[2]بن الوليد الذي أمر النّجاشيّ السّواحر فسحرتة. فمن ذلك قول عمارة: خلق البيض الحسان لنا # و جياذ الرّبط و الأزّر

كابرا كئا أحقّ به # حين صيغ الشمس و القمر

/و قال مسافر يرّد عليه:

أعمار بن الوليد و قد # يذكر الشّاعر من ذكره

هل أخو كأس محققها # و موقّ صحبه سكره

و محيبيهم إذا شربوا # و مقلّ فيهم هذره

/خلق البيض الحسان لنا # و جياذ الرّبط و الحبره

كابرا كئا أحقّ به # كلّ حيّ تابع أثره

خطب هندنا بنت عتبة و لما تزوجت أبا سفيان مرض و اعتل حتى مات:

و له شعر ليس بالكثير. و الأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، و كان يهواها. فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه بن المغيرة، فلم ترض ثروته و ماله. فوفد على النّعمان يستعينه على أمره [1]أزواد الركب: ثلاثة نفر من قريش: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، و زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، و أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. سموا بذلك لأنه لم يكن يتزوّد معهم أحد في سفره و كانوا يطعمون كل من يصحبهم و يكفونه الزاد. و كان ذلك خلقا من أخلاق قريش؛ و لكن لم يسم بهذا الاسم إلا هؤلاء الثلاثة. (راجع «ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه») .

[2]سيأتي الكلام عنه في هذه الترجمة.

ثم عاد، فكان أوّل من لقيه أبو سفيان، فأعلمه بتزويجه من هند. فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني ابن أبي سلمة عن هشام، قال ابن عمّار و قد حدّثناه ابن أبي سعد عن عليّ بن الصّباح عن هشام، قال ابن عمّار و حدّثنيه عليّ بن محمد بن سليمان التّوفليّ عن أبيه-دخل حديث بعضهم في بعض-: أنّ مسافر بن أبي عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جمالا و شعرا و سخاء. قالوا: فعشّق هنداً بنت عتبة بن ربيعة و عشقته، فأثّهم بها و حملت منه. قال بعض الرواة: فقال معروف بن خربوذ: فلما بان حملها أو كاد قالت له: اخرج، فخرج حتى أتى الحيرة، فأتى عمرو بن هند فكان ينادمه. و أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقي مسافرا، فسأله عن حال قريش و الناس، فأخبره و قال له فيما يقول: و تزوّجت هنداً بنت عتبة.

فدخله من ذلك ما اعتلّ معه حتى استسقى [1]بطنه. قال ابن خربوذ: قال مسافر في ذلك: ألا إنّ هنداً أصبحت منك محرما # و أصبحت من أدنى حموتها حما

و أصبحت كالمقمور جفن سلاحه # يقلّب بالكفّين قوسا و أسهما

فدعا له عمرو بن هند الأطباء، فقالوا: لا دواء له إلاّ الكيّ. فقال له: ما ترى؟ قال: افعل. فدعا له الذي يعالجه فأحمى مكأويه، فلما صارت كالنار قال: ادع/أقواما يمسكونه. فقال لهم مسافر: لست أحتاج إلى ذلك. فجعل يضع المكأوي عليه. فلما رأى صبره شرط الطبيب، فقال مسافر: قد يضطر العير و المكواة في النار

لما مات رثاه أبو طالب:

-فجرت مثلا- فلم يزد إلاّ ثقلا. فخرج يريد مكة. فلما انتهى إلى موضع يقال له هبالة [2]مات فدفن بها، و نعي إلى قريش. فقال أبو طالب بن عبد المطلب يرثيه: ليت شعري مسافر بن أبي عم # رو و ليت يقولها المحزون

رجع الركب سالمين جميعا # و خليلي في مرمس [3]مدفون

بورك الميّت الغريب كما بو # رك نصر [4]الرّيحان و الزيتون

بيت صدق على هبالة قدحا # لت فياف من دونه و حزون

/مدره يدفع الخصوم بأيد # و بوجه يزينه العرين

[1] استسقى بطنه: اجتمع فيه ماء أسفر. و هو المعروف بمرض الاستسقاء.

[2] قال البكري في «معجم ما استعجم»: إن هباله: موضع لبني عقيل. و قال ياقوت في كتابه «معجم البلدان» بعد كلام: و قال أبو زياد: هباله و هبيل من مياه بني نمير. ثم ذكر موت مسافر بن أبي عمرو بها و رثاه أبي طالب بن عبد المطلب له.

[3] المرمس: القبر.

[4] كذا في «معجم ياقوت»: و في الأصول: «نضح الرمان» . و النضح: «البلل. و لعله يعني به العصير.

صوت

كم خليل رزته و ابن عمّ # و حميم قضت عليه المنون
فتعزّيت بالتأسي و بالصب # ر و إئي بصاحبي لضنين

غنى في هذين البيتين يحيى المكّي ثاني ثقيل بالوسطى من رواية ابنه
و الهشاميّ.

و أنشدنا الحرميّ قال أنشدنا الزبير لأبي طالب بن عبد المطلّب في
مسافر بن أبي عمرو: ألا إنّ خير الناس غير مدافع # بسرو سحيم [1] غيّته
المقابر

/تبكي أباه أم وهب و قد نأى # و ريسان [2] أمسى دونه و يحابر
على خير حاف من معدّ و ناعل # إذا الخير يرجى أو إذا الشترّ حاضر
تنادوا و لا أبو أمية فيهم # لقد بلغت كظّ النفوس الحناجر [3]

قال و قال التّوفليّ: إنّ البيتين:

ألا إنّ هندا أصبحت منك محرما

و الذي بعده لهشام بن المغيرة، و كانت عنده أسماء بنت مخرمة
التّهشليّة، فولدت له أبا جهل و أخاه الحارث، ثم غضب عليها فجعلها مثل
ظهر أمّه- و كان أوّل ظهار كان- فجعلته قريش طلاقا. فأرادت أسماء
الانصراف إلى أهلها، فقال لها هشام: و أين الموعد؟ قالت: الموسم. فقال
لها ابناها: أقيمي معنا فأقامت معهما. فقال المغيرة بن عبد الله و هو أبو
زوجها: أما و الله لأزوجنك غلاما ليس بدون هشام، فزوّجها أبا ربيعة ولده
الآخر، فولدت له عيّاشا و عبد الله. فذلك قول هشام: تحدّثنا أسماء أن
سوف نلتقي # أحاديث طسم [4]، إنّما أنت حالم

و قوله:

ألا أصبحت أسماء حجرا محرّما # و أصبحت من أدنى حموتها حما

قال التّوفليّ في خبره و حدّثني أبي: أنه إنّما كان مسافر خرج إلى
التّعمان بن المنذر يتعرّض لإصابة مال ينكح به هندا، فأكرمه النعمان و
استظرفه و نادمه و ضرب عليه قبّة من آدم حمراء. و كان الملك إذا فعل
ذلك برجل عرف قدره منه و مكانه عنده. و قدم أبو سفيان بن حرب في
بعض تجاراته، فسأله مسافر عن حال الناس بمكة، /فذكر له أنه تزوّج هندا!

فاضطرب مسافر حتى مات. و قال بعض الناس: إنه استسقى بطنه فكوي فمات بهذا السبب. قال التّوڤليّ: فهو أحد من قتله العشق.

[1] كذا في ج: و نسخه الشنقيطي مصححة بقلمه. و سرو سحيم: موضع. و في سائر الأصول: «بسرولنجم» و هو تحريف.

[2] في م: «ديسان» . و يحابر: اسم قبيلة.

[3] يريد لقد بلغت القلوب الحناجر لكظ النفوس أي لكرها و امتلائها بالهم و الحزن.

[4] طسم: إحدى القبائل العربية القديمة البائدة.

خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة:

فأما خبر هند و طلاق الفاكه بن المغيرة إياها، فأخبرني به أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني أبو السّكين زكريّا بن يحيى بن عمرو بن حصن بن حميد بن حارثة الطائيّ قال حدّثني عمّي زحر[1] بن حصن عن جدّه حميد بن حارثة قال: كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة، و كان الفاكه من فتيان قريش، و كان له بيت للضيافة بارز من البيوت يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيت ذات يوم، فاضطجع هو و هند فيه ثم نهض لبعض حاجته. و أقبل رجل ممّن كان يغشى البيت فولجه، فلما رآها رجع هاربا، و أبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله/و قال: من هذا الذي خرج من عندك؟! قالت: ما رأيت أحدا و لا انتبهت حتى أنبهتني. فقال لها: ارجعي إلى أمك. و تكلم الناس فيها، و قال لها أبوها: يا بنية! إنّ الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقا دسست عليه من يقتله فتقطع عنك المقالة، و إن يك كذبا حاكمته إلى بعض كهّان اليمن. فقالت: لا و الله ما هو عليّ بصادق. فقال له: يا فاكه، إنك قد رميت بنتي بأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهّان اليمن. فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم و خرج عتبة في جماعة من عبد مناف و معهم هند و نسوة. فلما شارفوا البلاد و قالوا غدا نرد على الرجل تنكّرت حال هند. فقال لها عتبة: إني أرى ما حلّ بك من تنكر الحال، و ما ذاك إلا لمكروه عندك.

قالت: لا و الله يا أبتاه ما ذاك لمكروه، و لكّني أعرف أنكم تأتون بشرا يخطئ و يصيب، و لا آمنه أن يسمني ميسما يكون عليّ سيّة. فقال/لها: إني سوف أختبره لك، فصفر بفرسه حتى أدلى[2]، ثم أدخل في إحليله حبة برّ و أوكأ عليها بسير. فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم و نحر لهم. فلما قعدوا قال له عتبة: جئناك في أمر و قد خبأت لك خبئا أختبرك به فانظر ما هو؟ قال: ثمرة في كمرّة[3]. قال: إني أريد أبين من هذا. قال: حبة برّ في إحليل مهر. قال: صدقت، أنظر في أمر هؤلاء النسوة. فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها و يقول: انهضي، حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء[4] و لا زانية، و لتلدنّ ملكا يقال له معاوية. فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فنشرت يدها من يده و قالت: إليك عني! فوالله لأحرص أن يكون ذلك من غيرك، فتزوجها أبو سفيان.

و قد قيل: إنّ بيتي مسافر بن أبي عمرو أعني: ألا إنّ هندا أصبحت
منك محرما

لابن عجلان[5].

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني عبد الله بن عليّ بن الحسن
عن أبي نصر عن الأصمعيّ عن عبد الله بن أبي سلمة عن أيّوب عن ابن
سيرين قال: [1] في الأصول: «أبو زحر» و هو خطأ. (راجع شرح
«القاموس» مادة زحر) .

[2] أدلى الفرس و غيره: أخرج جردانه ليبول أو يضرب.

[3] الكمرة: رأس الذكر.

[4] الرسح: خفة العجيزة و لصوقها.

[5] هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب، شاعر
جاهلي و هو أحد المتيمين من الشعراء و من قتله الحب منهم. و كان له
زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك، فتزوجت زوجها غيره فمات
أسفا عليها. (انظر ترجمته في «الأغاني» ج 19 ص 102 طبعة بولاق) .

خرج عبد الله بن العجلان في الجاهليّة فقال:

ألا إنّ هندا أصبحت منك محرما # وأصبحت من أدنى حموتها حما
فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه # يقَلَّب بالكفّين قوسا و أسهما

/شعر لمسافر في الفخر:

ثم مدّ بهما صوته فمات. قال ابن سيرين: فما سمعت أن أحدا مات
عشقا غير هذا. و مما يغني فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو و هو من جيّد
شعره قوله يفتخر:

صوت

أ لم نسق الحجيج و ند # حر المذلاقة[1]الزّفا
و زمزم من أرومتنا # و نفقا عين من حسدا
و إنّ مناقب الخيرا # ت لم نسبق بها عددا
فإن نهلك فلم نملك # و هل من خالد خلدا

غناه ابن سريج رملا بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. و فيه
لسائب خائر لحن من خفيف الثقل الأول بالوسطى من رواية حمّاد. و فيه
للزّف ثقيل بالوسطى.

فأما خبر عمارة بن الوليد و السبب الذي من أجله أمر النّجاشيّ السواحر فسحرتة

ما كان بين عمرو و عمارة لدى النّجاشيّ:

فإن الواقديّ ذكره عن عبد الله بن جعفر بن أبي عون قال: كان عمارة
بن الوليد المخزوميّ بعد ما مشت[2]قريش بعمارة إلى أبي طالب خرج هو
و عمرو بن العاص بن وائل السّهميّ، و كانا كلاهما تاجرين، إلى النّجاشيّ، و
كانت/أرض الحبشة لقريش متجرا و وجهها، و كلاهما مشرك شاعر فاتك و
هما في جاهليّتهما، و كان عمارة معجبا بالنساء صاحب محادثة[3]؛ فركبا
في السفينة ليالي فأصابا من خمر معهما. فلما انتشى عمارة قال لامرأة
عمرو بن العاص: قبّليني. فقال لها عمرو: قبّلي ابن عمك فقبّلته. و حذر
عمرو على زوجته فرصدها و رصدته، فجعل إذا شرب معه أقلّ عمرو من
الشراب و أرقّ لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغليه عمارة على أهله. و
جعل عمارة يراودها على نفسها فامتنعت منه. ثم إنّ عمرا جلس إلى ناحية
السفينة يبول، [1]كذا في «اللسان» (مادتي ذلق و رقد) . و المذلاقة: يريد

بها النوق السريعة السير و في الأصول: «الدلافة» و هو تحريف. و الردف: جمع رفود و هي التي تملأ الردف (و هو بالفتح و الكسر القدح الضخم) من النوق في حلبة واحدة.

[2] قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه و سلم و إسلامه و إجماعه لفراقهم في ذلك و عداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغني: «يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش و أجمله. فخذة فلك عقله و نصره و اتخذه ولدا فهو لك و أسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك و دين آبائك و فرّق جماعة قومك و سفه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجل كرجل. فقال: و الله لبئس ما تسومونني! أعطونني ابنكم أغذوه لكم و أعطيكم ابني تقتلونه! هذا و الله ما لا يكون أبدا». («سيرة ابن هشام» ج 1 ص 169).

[3] يحتتمل أن تكون: «صاحب مخادنة» . و الرجل يوصف بأنه حدث نساء كما يوصف بأنه خدنهن.

فدفعه عمارة في البحر. فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بالقلس[1] فارتفع فظهر على السفينة. فقال له عمارة: أما والله لو علمت يا عمرو أنك تحسن السباحة ما فعلت. فاضطغنها عمرو و علم أنه أراد قتله. فمضينا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة و نزلاها. و كتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أن اخلعني و تبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة و جميع بني مخزوم. و ذلك أنه خشى على أبيه أن يتبع بجريرته و هو يرصد لعمارة ما يرصد. فلما ورد الكتاب على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نبيه و منبه ابنا الحجاج[2] إلى بني المغيرة و غيرهم من بني مخزوم فقال: إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، و كلاهما فاتك صاحب شر، و هما غير مأمونين على أنفسهما و لا ندري ما يكون. و إني أبرأ إليكما من عمرو و من جريرته و قد خلعتهم. فقالت بنو المغيرة و بنو مخزوم:

أنت تخاف عمرا على عمارة! و قد خلعنا نحن عمارة و تبرأنا كل قوم من صاحبهم و مما جرّ عليهم، فبعثوا مناديا ينادي بمكة بذلك. فقال الأسود بن المطلب: بطل و الله دم عمارة بن الوليد آخر الدهر! فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة أن دبّ لامرأة النجاشي فأدخلته فاختلف إليها. فجعل إذا رجع من مدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره. فجعل عمرو يقول: ما أصدّقك أنك قدرت على هذا الشأن، إن المرأة أرفع من ذلك.

فلما أكثر على عمرو مما كان يخبره، و قد كان صدّقه و لكن أحبّ التثبت، و كان عمارة يغيب عنه حتى يأتيه في السحر، و كان في منزل واحد معه، و جعل عمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو و يقول: إن هذا يشغلك عن مدخلك، و كان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفعه إلى النجاشي. فقال له في بعض ما يذكر له من أمرها: إن كنت صادقاً فقل لها تدهنك من دهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره فإني أعرفه، لو أتيتني به لصدّقتك. ففعل عمارة[فجاء[4]] بقارورة من دهنه، فلما شمّه عرفه. فقال له عمرو عند ذلك: أنت صادق! لقد أصبت شيئاً ما أصاب/أحد مثله قط من العرب و نلت من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا-و كانوا أهل جاهليّة-ثم سكت عنه، حتى إذا اطمأنّ دخل على النجاشي فقال: أيها الملك! إن ابن عمي سفيه، و قد خشيت أن يعرّني[5] عندك أمره، و قد أردت أن أعلمك شأنه. [و لم أفعل[6]] حتى استثبت أنه[7] قد دخل على بعض نساءك فأكثر. و هذا من دهنك قد أعطيه و دهني منه. فلما شمّ

النجاشيِّ الدَّهن قال: صدقت، هذا دهني الذي لا يكون إلاّ عند نسائي. ثم دعا بعمارة/و دعا بالسواحر، فجردوه من ثيابه فنفخن في إحليله، ثم خلى سبيله فخرج هاربا[8].

فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطّاب. فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة-و كان اسمه قبل أن [1]القلس: جبل غليظ من جبال السفن.

[2]هما نبيه و منبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، كانا من أشرف قريش، ماتا على الشرك في غزوة بدر؛ قتل الأوّل حمزة بن المطلب، و الثاني أبو اليسر أخو بني سلمة. («السيرة» ج 1 ص 324، 436، 475، 510).

[3]السهميون: قوم عمرو بن العاص، و بنو سهم من هصيص بن كعب بن لؤي.

[4]زيادة عن «تجريد الأغاني» .

[5]عره: لطحه بعيب.

[6]التكملة عن «تجريد الأغاني» .

[7]في الأصول: «حتى استثبت و أنه...» بزيادة الواو.

[8]في «تجريد الأغاني» «فخرج هاربا هائما على وجهه مع الوحش. و متى رأى الإنس هرب منهم و طلع له شعر غطى جميع بدنه.

و لم يزل كذلك مدّة أيام النبيّ صلى الله عليه و سلم و أيام أبي بكر رضي الله عنه و صدرا من خلافة عمر رضي الله عنه، فخرج إليه... إلخ» .

يسلم بحيرا فسمّاه رسول الله صلى الله عليه و سلم عبد الله-فرصده على ماء بأرض الحبشة، و كان يرده مع الوحش، فورد، فلما وجد ريح الإنس هرب، حتّى إذا أجهده العطش ورد فشرب حتى تملأ[1]، و خرجوا في طلبه. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: فسعيت إليه فالتزمته، فجعل يقول لي: يا بحير أرسلني! يا بحير أرسلني! إني أموت إن أمسكتموني. قال عبد الله: و ضغطته[2] فمات في يدي مكانه. فواراه ثم انصرف. و كان شعره قد غطى على كل شيء منه.

قال الواقديّ عن ابن أبي الزناد: و قال عمرو لعمارة: يا فائد، إن كنت تحبّ أن أصدّقك بهذا أو أقبله منك فأتني بثوبين أصفرين. فلما رأى النجاشيّ الثوبين قال له عمرو: أ تعرف الثوبين؟ قال نعم.

و قال الواقديّ عن ابن أبي الزناد عن أبيه، قال النجاشيّ لعمارة: إني أكره أن أقتل قرشيًا، و لو قتلت قرشيًا لقتلتك، فدعا بالسواحر.

شعر عمرو بن العاص في عمارة:

فقال عمرو بن العاص يذكر عمارة و ما صنع به-قال الواقديّ أخبرني ابن أبي الزناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو يذكره لحدّه:- /

تعلمّ عمار أنّ من شرّ شيمة # لمثلك أن يدعى ابن عمّ له ابنا
و إن كنت ذا بردين أحوى مرّجلاً # فليست براع[3] لابن عمّك محرما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبّه # و لم ينه قلبا غاويا حيث يمّما
قضى وطرا منه يسيرا و أصبحت # إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما
فليس الفتى و لو أتمّت[4] عروقه # بذى كرم إلا بأن يتكرّما
صحت من الأمر الرفيق طريقه # و وليت غيّ الأمر من قد تلّوما
من الآن فانزع عن مطاعم جمّة # و عالج أمور المجد لا تننّما

شعر خولة بنت ثابت في عمارة:

قال إسحاق و حدّثني الأصمعيّ: أنّ خولة بنت ثابت أخت حسّان قالت في عمارة لَمّا سحر: يا ليلتي[5] لم أنم و لم أكد # أقطعها بالبكاء و السّهد

أبكي على فتية رزئتهم # كانوا جبالي فأوهنوا عضدي
كانوا جمالي و نصرتي و بهم # أمنع ضيمي و كلّ مضطهد
فبعدهم أرقب النجوم و أذ # ري الدمع و الحزن والّج كبدي

[1] كذا في «تجريد الأغاني» . و تملأ الرجل من الطعام و الشراب:
امتلاً. و في الأصول: «ملاً» .

[2] كذا في أ، م و في سائر الأصول: «و ضبطته» .

[3] كذا في «تجريد الأغاني» . و في الأصول: «براء» .

[4] أتمت عروقه: بلغت تمامها في الكرم.

[5] في الأصول: «يا ليتني» و هو تحريف.

قال الأصمعيّ و اجتاز ابن سريج بطويس و معه فتية من قريش و هو يغنيهم في هذا/الصوت، فوقف حتى سمعه، ثم أقبل عليهم فقال: هذا و الله سيّد من غناه.

هذه الأصوات التي ذكرتها الجامعة للنغم العشر و الثماني النغم [1]منها هي المشهورة المعروفة عند الرّواة و في روايات الرّواة و عند المغنّين.

كان عبید الله يرأسل المعتضد على لسان جواریه:

و كان عبید الله بن عبد الله بن طاهر يرأسل المعتضد بالله إذا استنّار جواریه على ألسنتهم و مع ذوي الأنس عنده من رسله: مع أحمد بن الطيّب و ثابت بن قرّة/الطائي، يذكر النغم و تفصيل مجاريها و معانيها حتى فهم ذلك.

فصنع لحنا فجمع النغم العشر في قول دريد بن الصّمّة:

يا ليتني فيها جذع # أحبّ فيها و أضع

كان المكتفي يرأسله في الغناء:

و صنع صنعة متقنة جيّدة، منها ما سمعناه من المحسنين و المحسنات و منها ما لم نسمعه، يكون مبلغها نحو خمسين صوتا. و قد ذكرت من ذلك ما صلح في أغاني الخلفاء. ثم صنع مثل ذلك للمكتفي [2]بالله لرغبته في هذه الصناعة.

فوجدت رقعة بخطه كتب بها إلى المكتفي نسختها: «قال إسحاق بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العباس عبد الله بن طاهر بأمره لحنه في: يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد # د تليع [3]تزينه الأطواق

و شتيت كالأقحوان جلاه الطلّ فيه عذوبة و اتساق إنني نظرت مع إبراهيم و تصفّحت غناء العرب كله، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتا أطول إيقاعا من: عادك الهمّ ليلة الإيجاف [4] # من غزال مخصّب الأطراف

و لحنه خفيف ثقيل لابن محرز؛ فإن إيقاعه ستة و خمسون دورا. ثم لحن معبد: هريرة ودّعها و إن لام لائم # غداة غد أم أنت للبين واجم

و هو أحد سبعته [5]. و لحنه خفيف ثقيل، و دور إيقاعه ستة و خمسون دورا، إلا أن صوت ابن محرز سداسيّ في العروض من الخفيف، و صوت معبد ثماني من الطويل؛ فصوت ابن محرز أعجب لأنه أقصر. و ما زلنا حتى تهيا لنا شعر رباعيّ في سيّدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، دور إيقاعه

سِتَّة و خمسون دورا، و هو يجمع من النَّغم/العشر ثمانيا؛ و هذا ظريف جدًّا بديع لم يكن مثله. و أمَّا الصوت الذي في تهنئة التُّوروز فلأنفسنا عملناه؛ إذ لم يكن لنا من [1] في الأصول: «الثمانى نغم» بدون أداة التعريف في المضاف إليه.

[2] في الأصول: «بالمكتفى» و هو تحريف.

[3] تليع: طويل.

[4] الإيجاف: سرعة السير.

[5] أي أحد أصواته السبعة و هي مدنه المعروفة. و في الأصول: «أحد سبعاته» .

يدبر مثل هذا معه غيره. و قد كتبنا شعره و شعر الآخر، و إيقاع كل واحد منهما خفيف ثقيل، و الصنعة فيهما تستظرف: جمع الخلائف [1] كلهم لجمع [2] ما # بلغوا و أعطوا في الإمام المكتفي

و له الهدايا ألف نوروز و هـ # ذا الشعر منها لحنه لم يعرف

و الآخر:

دولة المكتفي الخليد # فة تفنى مدى الدول

يوم عيد و يوم عر # س فما بعدها أمل

الصنعة في البيت الأول خاصّة تدور على ستة و خمسين إيقاعا .

هكذا وجدت في الرقعة بخط عبيد الله. و ما سمعت أحدا يغني هذين الصوتين. و قد عرضتهما على غير واحد من المتقدمين/و من مغنيّات القصور فما عرفهما أحد منهن. و ذكرتهما في الكتاب لأنّ شريطته توجب ذكرهما.

الأرمال الثلاثة المختارة

الأرمال المختارة و الكلام عنها:

أخبرني يحيى بن عليّ و محمد بن خلف و كيع و الحسين بن يحيى قالوا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي، قال أبو أحمد رحمه الله و أخبرني أبي أيضا عن إسحاق، و أخبرنا عليّ بن عبد العزيز قال حدّثنا عبيد الله بن خرداذبه قال قال إسحاق: أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رمل غني رمل: فلم أر كالتّجمير منظر ناظر

ثم رمل:

أ فاطم مهلا بعض هذا التدلّل

و لو عاش ابن سريج حتى يسمع لحن الرمل: لعلك إن طالت حياتك أن ترى

لاستحيا أن يصنع بعده شيئا. و في روايتي وكيع و عليّ بن يحيى «و لعلم [3] أني نعم الشاهد له» .

[1] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «الخلائق» بالقاف.

[2] كذا في الأصول: و لعله: «بجمع» .

[3] لعل الواو من زيادات النساخ.

نسبة الأصوات و أخبارها:

صوت

الصوت الأوّل من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة:

فلم أر كالتّجمير منظر ناظر # و لا كليالي الحجّ أفلتن ذا هوى
فكم من قتيل ما يباء[1] به دم # و من غلق رهنا إذا لقه منى
و من مالى عينيه من شيء غيره # إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
يسخّبن أذيال المروط بأسوق[2] # خدال و أعجاز مآكمها[3] روا

عروضه من الطويل: الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لابن سريج
رمل بالبصرة. و قد كان علوبه فيما بلغنا صنع فيه رملا، و في «أ فاطم مهلا»
خفيف رمل، و في «لعلك إن طالت حياتك» رملا آخر، و لم يصنع شيئا و
سقطت ألحانه فيها فما تكاد تعرف. و هذه الأبيات يقولها عمر بن أبي ربيعة
في بنت مروان بن الحكم.

ابن أبي ربيعة و أم عمرو بنت مروان:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا ابن
كناسة عن أبي بكر بن عيّاش قال: حجّت أمّ عمرو بنت مروان، فلما قضت
نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة و قد أخفت نفسها في نساء معها، فحادثته ثم
انصرفت، و عادت إليه منصرفها من عرفات و قد أثبتها. فقالت له: لا
تذكرني في شعرك، و بعثت إليه بألف دينار. فقبلها و اشترى بها ثيابا من
ثياب اليمن و طيبا فأهداه إليها فردّته. فقال: إذا و الله أنهبه الناس فيكون
مشهورا؛ فقبلته. و قال فيها: أيها الرائح المجدّ ابتكارا # قد قضى من تهامة
الأوطارا

من يكن قلبه الغداة خليّا # ففؤادي بالخيف أمسى مطارا
ليت ذا الدهر كان حتما علينا # كلّ يومين حجّة و اعتمارا

قال ابن كناسة قال ابن عيّاش: فلما وجّهت منصرفه قال فيها:

فكم من قتيل ما يباء به دم # و من غلق رهنا إذا لقه منى

/قال: و يروى «و من غلق رهن» كأنه قال و من رهن غلق؛ لا يجعل
من نعت الرهن. كأنه جعل الإنسان غلقا و جعله رهنا؛ كما يقال: كم من
عاشق مدنف، و من كلف صبّ.

قال الزبير و حدّثني مسلم بن عبد الله بن مسلم بن جندب عن أبيه قال: أنشده ابن أبي عتيق فقال: إن في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمال.

[1]أباء فلان القتل بالقاتل: قتله به. يريد: كم من قتيل يطل دمه و لا يؤخذ له بثأر. و غلق الرهن في يد المرتهن يغلق غلقا. لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط. يريد: كم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها.

[2]الأسوق: جمع ساق. و الخدال: الممتلئة.

[3]المأكمة: العجيزة.

قال: و قال عبد الله بن عمر، و قد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعره هذا: يا ابن أخي! ما اتقيت الله حيث تقول: ليت ذا الدهر كان حتما علينا # كل يومين حجة و اعتمارا

فقال له عمر بن أبي ربيعة: بأبي أنت و أمي! إني وضعت ليتا حيث لا تغنى.

أمر عمر بن عبد العزيز بنفیه ثم خلاه لما تاب:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، و أخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق، و أخبرني ببعض هذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مصعب بن عثمان: أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي ربيعة و الأحوص. فكتب إلى عامله على المدينة: «قد عرفت عمر و الأحوص بالخبث و الشر. فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما و احملهما إلي». فلما أتاه الكتاب حملهما إليه. فأقبل على عمر فقال له هيه!

فلم أر كالتجمير منظر ناظر # و لا كليالي الحج أفلتن ذا هوى

و كم مالى عينيه من شيء غيره # إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون! أما و الله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك! ثم أمر بنفیه. فقال: يا أمير المؤمنين، أو خير من ذلك؟ قال: و ما هو؟ قال: أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر و لا أذكر النساء في شعر أبدا و أجدد توبة على يدك. قال: أو تفعل؟ قال نعم. فعاهد الله على توبة و خلاه. ثم دعا بالأحوص فقال هيه!

نفى الأحوص و لم يطلقه إلا يزيد بن عبد الملك:

الله بيني و بين قيمها # يهرب مني بها و أتبع

با الله بين قيمها و بينك! ثم أمر بنفیه إلى بيش[1]، و قيل إلى دهلك و هو الصحيح، فنفي إليها، فلم يزل بها. فرحل إلى عمر عدّة من الأنصار فكلّموه في أمره و سألوه أن يقدمه و قالوا له: قد عرفت نسبه و قدمه و موضعه و قد أخرج إلى بلاد/الشرك، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم و دار قومه. فقال لهم عمر: من الذي يقول: فما هو إلا أن أراها فجاءة # فأبهت حتى ما أكاد أحيّر

-و في رواية الزبير «أجيب» مكان «أخير» -قالوا: الأحوص[2]. قال: فمن الذي يقول: أدور و لو لا أن أرى أمّ جعفر # بأبياتكم ما درت حيث أدور

و ما كنت زوّارا و لكنّ ذا الهوى # إذا لم يزر لا بدّ أن سيزور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

[1]بيش: من بلاد اليمن قرب دهلك. و دهلك جزيرة في بحر اليمن، مرسى بين بلاد اليمن و الحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة و هي تجاه مصوع. و كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. (عن «معجم البلدان» لياقوت).

[2]نسب هذا البيت لعروة بن حزام. (انظره في ترجمته ج 20 ص 156 من «الأغاني» طبع بلاق).

كأنّ لبني صبير[1] غادية # أو دمية زينت بها البيع

اللّه بيني و بين قيمها # يهرب منّي بها و أتبع

/قالوا: الأحوص. قال: إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول، و اللّه لا أرده ما كان لي سلطان. فمكث هناك بعد ولاية عمر صادرا من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاه.

قال: و كتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه-قال الزبير: أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات:- أيا راكبا إمّا عرضت فبلغن # هديت أمير المؤمنين رسائلي

و قل لأبي حفص إذا ما لقيته # لقد كنت نفاعا قليل الغوائل

أ في اللّه أن تدنوا ابن حزم[2] و تقطعوا # قوى حرمت بيننا و وصائل[3]

/فكيف ترى للعيش طيبا و لذة # و خالك أمسى موثقا في الحبائل

و ما طمع الحزمي في الجاه قبلها # إلى أحد من آل مروان عادل

وشى و أطاعوه بنا و أعانه # على أمرنا من ليس عتّا بغافل

و كنت أرى أنّ القرابة لم تدع # و لا الحرمت في العصور الأوائل

إلى أحد من آل مروان ذي حجّي[4] # بأمر كرهناه مقالا لقائل

يسرّ بما أنهى العدوّ و إنه # كنافلة لي من خيار النوافل

فهل ينقصني القوم أن كنت مسلما # بريئا بلائي في ليال قلائل

ألا ربّ مسرور بنا سيغيظه # لدي غبّ أمر عصّه بالأنامل

رجا الصلح منّي آل حزم بن فرتنى # على دينهم جهلا و لست بفاعل

ألا قد يرّجون الهوان فإنهم # بنو حبق[5] ناء عن الخير فائل

على حين حلّ القول بي و تنظّرت # عقوبتهم منّي رءوس القبائل

فمن يك أمسى سائلا بشماتة # بما حلّ بي أو شامتا غير سائل

فقد عجمت منّي العواجم ما جدا # صبورا على عصّات تلك التلائل[6]

إذا نال لم يفرح و ليس لنكبة # إذا حدثت بالخاضع المتضائل

قال الزبير: و قال الأحوص أيضا:

[1]الصبير: السحابة البيضاء.

[2] يريد به أبا بكر بن محمد عمرو بن حزم والي المدينة لعمر بن عبد العزيز.

[3] في ح: «و وسائل» و الوصائل: جمع وصيلة، و هي ما يوصل به الشيء.

[4] كذا في ح: و في سائر الأصول: «ذي حمى» .

[5] الحبق، الضراط.

[6] التلاتل: الشدائد.

هل أنت أمير المؤمنين فإني # بوّك من وّد العباد لقانع
 متمّم أجر قد مضى و صنّعة # لكم عندنا أو ما تعدّ الصنائع
 فكم من عدوّ سائل ذي كشاحة # و منتظر بالغيب ما أنت صانع

فلم يغن عنه ذلك و لم يخل سبيل عمر، حتى ولي يزيد بن عبد الملك
 فأقدمه و قد غنّته حباة بصوت في شعره.

/أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة قال قال هشام بن
 حسان: كان السبب في ردّ يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنّته يوماً:

كريم قريش حين ينسب و الذي # أقرت له بالملك كهلا و أمردا

فطرب يزيد و قال: ويحك! من كريم قريش هذا؟ قالت: أنت يا أمير
 المؤمنين، و من عسى أن يكون ذلك غيرك! قال: و من قائل هذا الشعر
 فيّ؟ قالت: الأحوص و هو منفيّ. فكتب برده/ و حملة إليه و أنفذ إليه صلات
 سنّية. فلمّا قدم إليه أدناه و قرّبه و أكرمه. و قال له يوماً في مجلس حافل:
 و الله لو لم تمت إلينا بحقّ و لا صهر و لا رحم إلّا بقولك: و إني لأستحييكم
 أن يقودني # إلى غيركم من سائر الناس مطمع

لكفّك ذلك عندنا. قال: و لم يزل ينادمه و ينافس به حتى مات. و أخبار
 الأحوص في هذا السبب و غيره قد مضت مشروحة في أوّل ما مضى من
 ذكره و أخباره؛ لأن الغرض هاهنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في
 الشعرين اللذين أنكرهما عليهما عمر بن عبد العزيز و أشخصا من أجلهما.

سليمان بن عبد الملك و نفيه ابن أبي ربيعة إلى الطائف:

أخبرنا محمد بن خلف و كيع قال حدّثنا أحمد بن زهير قال: مصعب بن
 عبد الله قال: حجّ سليمان بن عبد الملك و هو خليفة، فأرسل إلى عمر بن
 أبي ربيعة فقال له: أ لست القائل: فكم من قتيل ما يباء به دم # و من غلق
 رهنا إذا لفّه منى

و من مالى عينيه من شيء غيره # إذا راح نحو الجمره البيض كالدمى

يسخّين أذيال المروط بأسوق # خدال و أعجاز مآكمها روا

/أوانس يسلبن الحليم فؤاده # فيا طول ما شوق و يا طول مجتلى [1]

قال نعم. قال لا جرم و الله لا تحضر الحجّ العام مع الناس! فأخرجه إلى
 الطائف.

ابن أبي عتيق و غناء ابن سريج:

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي حدّثني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين و عن صالح بن حسان قال: قدم ابن أبي عتيق إلى مكة فسمع غناء ابن سريج:

[1] كذا في أو «ديوانه» طبع مطبعة السعادة ص 16. و في سائر الأصول: «و يا طول ما اجتلى» .

فلم أر كالتجمير منظر ناظر # و لا كليالي الحجّ أفلتن ذا هوى

فقال: ما سمعت كالיום قطّ، و ما كنت أحسب أن مثل هذا بمكة، و أمر له بمال و حدره معه إلى المدينة، و قال: لأصعّرُنَّ [1] إلى معبد نفسه و لأهدينّ إلى المدينة شيئاً لم ير أهلها مثله حسنا و ظرفا و طيب مجلس و دماثة خلق و رقّة منظر و مقّة [2] عند كل أحد. فقدم به المدينة و جمع بينه و بين معبد. فقال لابن سريج: ما تقول فيه؟ قال: إن عاش كان مغنيّ بلاده.

أبو السائب و ابن سريج:

و قال إسحاق و حدّثني المدائني عن جرير قال: قال لي أبو السائب يوماً: ما معك من مرقصات ابن سريج؟ فغنيته: فلم أر كالتجمير منظر ناظر فقال: كما أنت حتى أنحرّم لهذا بركعتين.

الوليد بن عبد الملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن

سريج:

حدّثني الحسين قال قال حمّاد قرأت على أبي و حدّثني أبو عبد الله الزبيري قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إليّ ابن سريج. فورد الرسول إلى الوالي، فمرّ في بعض طريقه على ابن سريج و هو جالس بين قرني بئر و هو يغني: فلم أر كالتجمير منظر ناظر

/فقال له الرسول: تالله ما رأيت كالיום قطّ و لا رأيت أحقق ممّن يتركك و يبعث إلى غيرك. فقال له ابن سريج: أمّا و الله ما هو بقدم و لا ساق، و لكنه بقسم و أرزاق. ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب، و بعث الولي إلى ابن سريج فأحضره. فلما رآه الرسول قال: قد عجت أن يكون المطلوب غيرك.

عبد الله بن الزبير يعجب لسماع غناء ابن سريج:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال قال رقي عبد الله بن الزبير أبا قبيس [3] ليلاً، فسمع/غناء فنزل هو و أصحابه يتعجبون و قال: لقد سمعت صوتاً إن كان من الإنس إنه لعجب، و إن كان من الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً. فاتّبعوا الصوت فإذا ابن سريج يتغنى في شعر عمر: فلم أر كالتجمير منظر ناظر

و من هذه الأرمال الثلاثة:

[1] في جميع الأصول: «لأقصدن» و قد صحها الأستاذ الشنقيطي في نسخته كما صحناها.

[2] المقة: المحبة.

[3] أبو قبيس: جبل بمكة.

ثاني الأرمال الثلاثة في شعر امرئ القيس: صوت

أ فاطم مهلا بعض هذا التدلّل # و إن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
أغرّك منّي أنّ حبّك قاتلي # و أنّك مهما تأمري القلب يفعل

الشعر لامرئ القيس. و الغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر. و في هذين البيتين مع أبيات آخر من هذه القصيدة ألحان شتى لجماعة نذكرها هاهنا و من عتّى فيها، ثم نتبع ما يحتاج إلى ذكره منها، و قد يجمع سائر ما يعنى فيه من القصيدة معه:

شيء من معلقته و شرحه:

قفا نيك من ذكرى حبيب و منزل # بسقط اللوى بين الدّخول فحومل
فتوضّح فالمقراة لمن يعف رسمها # لما نسجتها من جنوب و شمال
أ فاطم مهلا بعض هذا التدلّل # و إن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
/ و إن كنت قد ساءتكَ منّي خليفة # فسليّ ثيابي من ثيابك تنسل
أغرّك منّي أنّ حبّك قاتلي # و أنّك مهما تأمري القلب يفعل
و ما ذرفت عيناك إلّا لتضربي # بسهميك في أعشار قلب مقتل
تسلّت عمايات الرجال عن الصّبا # و ليس فؤادي عن هواك بمنسلي
ألا أيّها الليل الطويل ألا انجل # بصبح و ما الإصباح فيك بأمثل
و بيضة خدر لا يرام خباؤها # تمتّعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت أحراسا إليها و معشرا # عليّ حراصا لو يسرّون مقتلي
ألا ربّ يوم صالح لك منهما [1] # و لا سيما يوم بدارة جلجل
و يوم عقرت للعذارى مطيّي # فوا عجبني من رحلها المتحمّل [2]
و قد أعتدي و الطير في وكناتها # بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكّر مفّرّ مقبل مدبر معا # كجملود صخر حطّه السيل من عل
فقلت لها سيرى و أرخي زمامه # و لا تبعدينا من جناك المعلّ

عروضه من الطويل. و سقط اللوى منقطعه. و اللوى: المستدقّ من الرمل حيث يستدق فيخرج منه إلى اللوى.

[1] الضمير في «منهما» مرجعه في قوله:

كدأبك من أم الحويرث قبلها # و جارتها أم الرباب بمأسل

و يروي: «صالح لك منهم» يعني النساء و أهلهن. قال التبريزي: و أجود الروايات: «ألا رب يوم لك منهن صالح» على ما فيه من الكف، و هو حذف النون من مفاعيلن. (راجع «شرح التبريزي للمعلقات» طبع أوروبا) .

[2]لما نحر ناقته للعدارى اقتسمن متاع راحلته: تحمل هذه حشيته و تلك طنفسته فكان ذلك مثار عجه.

و الدّخول و حومل و توضح و المقرّاة: مواضع ما بين إمّرة إلى أسود[1]العين. و قال أبو عبيدة في سقط اللوى و سقط الولد و سقط النار/سقط و سقط و سقط ثلاث لغات. و قال أبو زيد: اللوى: أرض تكون بين الحزن و الرمل فصلا بينهما. و قال الأصمعيّ: قوله «بين الدّخول فحومل» خطأ و لا يجوز إلا بواو «و حومل» ؛ لأنه لا يجوز أن يقال:

رأيت فلانا بين زيد فعمرو، إنما يقال و عمرو؛ و يقال: رأيت زيدا فعمرا إذا رأى كلّ/واحد منهما بعد صاحبه.

و قال غيره: يجوز «فحومل» كما يقال: مطرنا بين الكوفة بالبصرة، كأنه قال: من الكوفة إلى البصرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين؛ و ليس هذا مثل بين زيد فعمرو. و يعف رسمها: يدرس. و نسجتها: ضربتها مقبلة و مدبرة فعفنتها. يعني أن الجنوب تعفي هذا الرسم إذا هبّت و تجيء الشمال فتكشفه. و قال غير أبي عبيدة: المقرّاة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يجمع فيه الماء. و الرسم: الأثر الذي لا شخص له. و يروي «لما نسجته» يعني الرسم. و يقال عفا يعفو عفوًا و عفاء؛ قال الشاعر:

على آثار من ذهب العفاء

يعني محو الأثر. و فاطمة التي خاطبها فقال «أ فاطم مهلا» بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة، و هي التي يقول فيها:

لا و أبيك ابنة العامريّ [2]

«و أزمعت صرمي» ، يقال أزمعت و أجمعت و عزمّت و كله سواء. يقول: إن كنت عزمّت على الهجر فأجملي. و يقول الأسير: أجملوا في قتلي، قتلة أحسن من هذه، أي على رفق و جميل. و الصّرم: القطيعة، و الصّرم المصدر؛ يقال:

/صرمته أصرمه صرما مفتوح إذا قطعته، و منه سيف صارم أي قاطع، و منه الصّرام[3]، و منه الصرائم و هي القطع من الرمل تنقطع من معظمه. قوله: «سليّ ثيابي من ثيابك» كناية، أي اقطعي أمري من أمرك. و قوله تنسل: تبين عنها. و يقال للسنّ إذا بانّت فسقطت و التّصل إذا سقط: نسل ينسل، و هو النسيل و التّسال.

و قال قوم: الثياب: القلب. و قوله: «و ما ذرفت عيناك» أي ما بكيت إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل. قال الأصمعي: يعني أنك ما بكيت إلا لتخرقي قلبا معشرا، أي مكسرا، شبهه بالبرمة إذا كانت قطعاً، و يقال: برمة أعشار. قال: و لم أسمع للأعشار واحداً. يقول: لتضربي بسهميك أي بعينيك فتجعلني قلبي مخزقاً فاسداً كما يخزق الجابر أعشار البرمة؛ فالبرمة تنجبر إذا أخرقت و أصلحت، و القلب لا ينجبر. قال: و مثله قوله:

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة

أي نظرت إليك فأفرحت قلبك. و قال غير الأصمعي و هو قول الكوفيين: إنما هذا مثل أعشار الجزور، و هي تنقسم [1]إمرة: منزل في طريق من البصرة بعد القريتين إلى جهة مكة، و بعد رامة و هي منهل. و أسود العين: جبل بنجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة.

[2]يريد قوله:

فلا و أبيك ابنة العامري # لا يدعي القوم أنني أفر

في قصيدته التي مطلعها:

أ حار بن عمرو كأني خمر # و يعدو على المرء ما يثمر

[3]الصرام (بفتح الصاد و كسرهما) : جذاذ النخل أي أوان إدراكه.

على عشرة أنصباء، فضربت فيها بسهميك المعلى [1] و له سبعة أنصباء و الرقيب و له ثلاثة أنصباء، فأراد أنها ذهبت بقلبه كله. مقتل أي مذل، يقال بعير مقتل أي مذل. تسلت: ذهبت. يقال: سلوت عنه و سليت إذا طابت نفسك بتركه. قال رؤية: لو أشرب السلوان ما سليت

/و العمايات: الجهالات. عدّ الجهل عمي. و الصبا: اللعب. قال ابن السكيت: صبا يصبو صبوا و صبوا [2] و صباء و صبا. انجل: انكشف. و الأمر الجلي: المنكشف. و قوله: أنا ابن جلا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور، و منه جلاء العروس و جلاء السيف. و قوله «فيك بأمثل» يقول: إذا جاءني الصباح و أنا فيك فليس ذلك بأمثل، لأن الصبح قد يجيء و الليل مظلم بعد. يقول: ليس الصبح بأمثل و هو فيك، أي يريد أن يجيء منكشفا منجليا لا سواد فيه. و لو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال: منك بأمثل و مثله قول حميد بن ثور في ذكر مجيء الصبح و الليل باق: فلما تجلى الصبح عنها و أبصرت # و في غبش الليل الشخصوص الأبعد

غبش الليل: بقيته. هذا قول يعقوب بن السكيت. «و بيضة خدر» شبه المرأة بالبيضة لصفائها و رققتها. «غير معجل» أي لم يعجلني أحد عما أريده منها. و الخباء: ما كان على عمودين أو ثلاثة. و البيت: ما كان على ستة أعمدة إلى تسعة. و الخيمة: من الشعر. و قوله: «يسرون مقتلي»، قال الأصمعي: يسرونه، و روى غيره: يشرون بالشين المعجمة أي يظهرونه. و قال الشاعر: فما برحوا حتى أتى الله نصره # و حتى أشرت بالأكف الأصابع [3]

أي أظهرت. و قال غيرهما: لو يسرونه: من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسروه من الناس و قتلوني. قال أبو عبيدة: «دابة جلجل» في الحمى، و قال ابن الكلبي: /هي عند عين كندة. و يروى سيما مخففة و سيما مشددة. و يقال: ربّ رجل و ربّ رجل و ربّت [4] رجل. و من القراء من يقرأ **رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا** مخففة. و قرأ عليه رجل «رُبَمَا» فقال له: أظنك يعجبك الربّ [5].

و يروى:

فيا عجا من رحلها المتحمّل

[1] سهام الميسر عشرة و هي: الفذ و التوأم و الضريب و يقال له الرقيب و الحلس (بالكسر) و النافس و المسبل (بضم الميم و كسر الباء) و

المعلی، و ثلاثة ليس لها شيء و هي الوغد و السفیح و المنیح. قال ابن الأنباري: فأما الفذ فله سهم واحد إن فاز و على صاحبه غرم سهم أن خاب. و التوأم له سهمان أن فاز و عليه سهمان إن خاب... و هكذا على الترتيب.

[2] في الأصول: «صبياء» ، و التصويب عن كتب اللغة.

[3] ورد هذا البيت في «اللسان» (مادة شرر) هكذا: فما برحوا حتى رأى الله صبرهم # و حتى أشرت بالأكف المصاحف

و ذكر أنه لكعب بن جعيل أو للحصين بن الحمام المري يذكره يوم صفين. يريد: و حتى نشرت المصاحف و رفعها أصحاب معاوية بالأكف على أطراف الرماح.

[4] و فيها لغات أخرى غير ذلك.

[5] الرب: ما يطبخ من الثمر.

أي يا عجا لسفهي و سبابي يومئذ. و يروي: و قد أغتدي و الطير في وكراتها

بالراء. قال أبو عبيدة: و الأكنات في الجبال كالتماريد[1] في السهل، و الواحدة أكنة و هي الوقنات، و الواحدة أقنة، و قد وقن يقن. و قال الأصمعي: إذا أوى الطير إلى وكره قيل وكر يكر و وكن يكن، و يقال: إنه جاءنا و الطير وكن ما خرجن. و المنجرد: القصير الشعرة، و ذلك من العتق. و الأوابد: الوحش، و تأبّدت: توخّشت، و تأبّد الموضوع إذا توخّش و قيد الأوابد: يعني الفرس. يقول: هو قيد لها لأنها لا تفوته كأنها مقيدة. و الهيكل: العظيم من الخيل و من الشجر؛ و منه سمّي بيت النصارى الهيكل. و قال أبو عبيدة: يقال: قيد الأوابد و قيد الرّهان، و هو الذي كان طريدته في قيد له إذا طلبها، و كان مسابقه في الرّهان مقيد. قال أبو عبيدة: و أوّل من قيدها امرؤ القيس. و المنجرد: القصير الشعرة الصافي الأديم. و الهيكل الذكر، و الأنثى هيكله، و الجمع هياكل، و هو العظيم العبل الكثيف اللين. و قوله «مكّرّ مفّرّ» يقول: إذا شئت أن أكّرّ عليه وجدته، و كذلك إذا أردت أن أفّرّ عليه أو أقبل أو أدبر. و الجلمود: الصخرة. و وصفها بأن السيل/حطها من عل لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها. «من عل»: من فوق.

و يقال من عل عل و من علا و من علو و من عال و من علو و من معال. و قوله «سيري و أرخي زمامه» أي هوّني عليك الأمر و لا تبالي أعقر أم سلم. «و جناك» كلّ شيء اجتنيته من قبلة و ما أشبه: ذلك هو الجنى، و هو من الإنسان مثل الجنى من الشجر أي ما اجتنى من ثمره. و المعلل: الملّهّي.

غنى في «قفا نيك»، و «أ فاطم مهلا»، و «أغرّك» و «و ما ذرفت عيناك» معبد لحنا من الثقل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى. و غنى معبد أيضا في الأوّل و الرابع من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى. و غنى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملا. و غنت عريب في: أغرّك مني أن حبك قاتلي

و بعده شعر ليس منه و هو:

/

فلا تخرجي من سفك مهجة عاشق # بلى فاقتلي ثم اقتلي ثم فاقتلي[2]

فلا تدعي أن تفعلي ما أردته # بنا، ما أراك الله من ذاك فافعلي

و لحنها فيها خفيف رمل. و غنّى ابن محرز في «تسلّت عمایات الرجال» و بعده «ألا أيها الليل الطويل» ثاني ثقيل بالوسطى. و غنّى فيهما عبد الله بن العباس الرّبيعيّ ثاني ثقيل آخر بالسبّابة في مجرى البنصر. و غنّت جميلة في «تسلّت عمایات الرجال» و بعده «ألا رب يوم لك» لحننا من الثقيل الأوّل عن الهشامي. و غنّت عرّة الميلاء في «تسلّت عمایات الرجال» و بعده «و يوم عقرت للعذارى مطيتي» ثقيلًا أوّل آخر عن الهشاميّ. و غنّت حميدة جارية ابن تفاع في «و بيضة خدر» و «تجاوزت أحراسا» لحننا من الثقيل الأوّل بالوسطى. و لطويس في «قفانك» / و بعده «فتوضح فالمقراة» ثقيل أوّل آخر. و في «أ فاطم مهلا» و «أغرّك مني أن حبّك قاتلي» ليزيد بن الرّحال هزج. و لأبي عيسى بن الرشيد في «وفد أغتدي» و «مكّر مفّر» ثقيل أوّل. و لفليح في «قفا نيك» و بعده «أغرّك مني» رمل.

[1] التماريد: جمع تمراد (بالكسر) و هو برج صغير للحمام.

[2] لعل صوابه: «ثمت اقتلي» لقبح اجتماع حرفي عطف متوالين.

و قيل: إن لمعبد في «و بيضة خدر» لحنا من الثقيل الأوّل، و قيل: هو لحن حميدة. و لعريب في هذين البيتين خفيف ثقيل من رواية أبي العيس. و غنّى سلام بن الغسّال- و قيل بل عبدة أخوه- في «و إن كنت قد ساءتكَ مني» و «أغرّك مني» رملا بالوسطى. و غنّى في «فقلت لها سيرى و أرخى زمامه» سعدويه بن نصر ثاني ثقيل. و غنّى في «قفا نيك» و بعده «فتوضح فالمقراة» إبراهيم الموصليّ ثقيلًا أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ. و زعم حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلًا. و غنّى في «أغرّك مني» و «و ما ذرفت» ابن سريج خفيف رمل بالوسطى من رواية ابن المكيّ، و قيل: بل هو من منحوله. و غنّى بديح مولى ابن جعفر في «و ما ذرفت عيناك» بيتا واحدا ثقيلًا أوّل مطلقا في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ. فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر «قفا نيك» من الأغاني صحيحها و المشكوك فيه منها اثنان و عشرون لحنا: منها في الثقيل الأوّل تسعة أصوات، و في الثقيل الثاني ثلاثة أصوات، و في الرمل أربعة أصوات، و في خفيف الرمل صوتان، و في الهزج صوت، و في خفيف الثقيل ثلاثة أصوات.

4- ذكر امرئ القيس و نسبه و أخباره

نسبه من قبل أبويه:

قال الأصمعيّ: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور و هو كندة. و قال ابن الأعرابيّ: هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور و هو كندة. و قال محمد بن حبيب: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع [1] بن معاوية بن كندة. و قال بعض الرواة: هو امرؤ القيس بن السّمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور و هو كندة. و قالوا جميعاً: كندة هو كندة بن عفير بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. و قال/ابن الأعرابيّ: ثور هو كندة بن مرتع بن عفير بن الحارث بن مرّة بن عديّ بن أد بن زيد بن عمرو بن مسمع بن عريب بن عمرو بن زيد بن كهلال.

و أمّ امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب و مهلهل ابني ربيعة التغلبيّين. و قال من زعم أنه امرؤ القيس بن السّمط: أمّه تملك بنت عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معد يكرب. قال من ذكر هذا و أنّ أمّه تملك: قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال: ألا هل أتاه و الحوادث جمّة # بأن امرأ القيس بن تملك بيقرأ

بيقر أي جاء العراق و الحضرمي و يقال: بيقر الرجل إذا هاجر. و قال يعقوب بن السّكّيت: أمّ حجر أبي امرئ القيس أمّ قطام بنت سلمة امرأة من عنزة [2].

كنيته و لقبه:

و يكنى امرؤ القيس، على ما ذكره أبو عبيدة، أبا الحارث. و قال غيره: يكنى أبا وهب. و كان يقال له الملك الصّليل، و قيل له أيضاً ذو القروح و إياه عنى الفرزدق بقوله: وهب القصائد لي النوايغ إذ مضوا # و أبو زيد و ذو القروح و جرول

يعني بأبي يزيد المخبّل السّعديّ، و جرول الحطيئة.

[1] ضبطه الحافظ في «التبصير» كمحسن و ضبطه الصاغاني في «العباب» كمحدّث.

[2] صححها الشنقيطي في نسخته: «من كندة» .

مولده و منزله:

قال: و ولد ببلاد بني أسد. و قال ابن حبيب: كان ينزل المشقر من اليمامة. و يقال: بل كان ينزل في حصن بالبحرين.

سبب تسمية آبائه بأسمائهم:

و قال جميع من ذكرنا من الرواة: إنما سمي كندة لأنه كند أباه أي عقه. و سمي مرتع بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعا له و لماشيته. و سمي حجر آكل المرار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جبلة كان نائما في حجر امرأته هند و هي تغليه جعل يأكل المرار (و هو نبت شديد المرارة) من الغيظ و هو لا يدري. و يقال: بل قالت هند للحارث و قد سألتها: ما ترين حجرا فاعلا؟ قالت: كأنتك به قد أدركك في الخيل و هو كأنه بغير قد أكل المرار.

قال: و سمي عمرو المقصور لأنه قد قصر[1] على ملك أبيه أي أقعد فيه كرها.

قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ و ابنه أنو شروان:

أخبرني بخبره، على ما قد سقته و نظمته، أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة و لم يتجاوزهم، و روى بعضه عن علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي، و أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي، قال ابن أبي سعد و أخبرني دارم بن عقال بن حبيب الغساني أحد ولد السموعل بن عادياء عن أشياخه، و أخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، و أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف عن عمه إسماعيل، و أضفت إلى ذلك رواية ابن الكلبي مما لم أسمع من أحد و رواية الهيثم بن عدي و يعقوب بن السكيت و الأثرم و غيرهم، لما في ذلك من الاختلاف، و نسبت رواية كل راو إذا خالف رواية غيره إليه، قالوا:

كان عمرو بن حجر و هو المقصور ملكا بعد أبيه، و كان أخوه معاوية و هو الجون[2] على اليمامة، و أمهما شعبة بنت أبي معاهر بن حسان بن عمرو بن تبع. و لما مات ملك بعده ابنه الحارث، و كان شديد الملك بعيد الصيت. و لما ملك قباذ بن فيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مزدك فدعا الناس إلى الزندقة و إباحة الحرم و ألا يمنع أحد منهم أخاه/ ما يريد من ذلك. و كان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة و نواحيها.

فدعاه قباذ إلى الدخول معه في ذلك فأبى. فدعا الحارث بن عمرو فأجابه؛ فشدد له ملكه و أطرد[3]المنذر عن مملكته و غلب على ملكه. و كانت أمّ أنو شروان بين يدي قباذ يوما، فدخل عليه مزدك. فلما رأى أمّ أنو شروان قال القباذ: ادفعها لي لأقضي حاجتي منها؛ فقال: دونكها. فوثب إليه أنو شروان فلم يزل يسأله و يضرع إليه أن يهب له أمّه حتى قبّل رجله فتركها له؛ فكانت تلك في نفسه. فهلك قباذ على تلك الحال، و ملك أنو شروان فجلس في مجلس الملك.

و بلغ المنذر هلاك قباذ فأقبل إلى أنو شروان و قد علم خلافة على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه. فأذن أنو شروان للناس، فدخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر. فقال أنو شروان: إني كنت تمّيت أمنيّتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما [1]في الأصول: «اقتصر» .

[2]كذا في «شرح القاموس» و نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و في الأصول: «الجوف» بالفاء و هو تحريف.
[3]أي أمر بطرده.

لي. فقال مزدك: و ما هما أيها الملك؟ قال: تمّيت أن أملك فاستعمل هذا الرجل الشريف (يعني المنذر) و أن أقتل هؤلاء الزنادقة. فقال له مزدك: أو تستطيع أن تقتل/الناس كلهم؟! قال: إنك لها هنا يا ابن الزانية! والله ما ذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبّلت رجلك إلى يومي هذا! وأمر به فقتل و صلب، و أمر بقتل الزنادقة فقتل منهم ما بين جازر[1] إلى النهروان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق و صلبهم؛ و سمّي يومئذ أنو شروان. و طلب أنو شروان الحارث بن عمرو؛ فبلغه ذلك و هو بالأنبار، و كان بها منزله- و إنما سمّيت الأنبار لأنه كان يكون بها أهراء[2] الطعام و هي الأنابير- فخرج هاربا في هجائه و ماله و ولده فمّر بالتوّبة[3]؛ و تبعه المنذر بالخيّل من تغلب و بهراء[4] و إياد، فلحق بأرض كلب[5] فنجا، و انتهبوا ماله و هجائه. و أخذت بنو تغلب ثمانية و أربعين نفسا من بني أكل المرار؛ فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الأملاك في ديار بني مرينا[6] العباديين بين دير هند و الكوفة.

فذلك قول عمرو بن كلثوم:

فأبوا بالثّهاب و السّبايا # و أبنا بالملوك مصفّدينا

و فيهم يقول امرؤ القيس:

ملوك من بني حجر بن عمرو # يساقون العشيّة يقتلوننا

فلو في يوم معركة أصيبوا # و لكن في ديار بني مرينا

و لم تغسل جماجمهم بغسل[7] # و لكن في الدماء مرملينا[8]

تظللّ الطير عاكفة عليهم # و تنتزع الحواجب و العيوننا

/قالوا: و مضى الحارث فأقام بأرض كلب. فكلب يزعمون أنهم قتلوه. و علماء كندة تزعم أنه خرج إلى الصيد فألظّ [9] بتيس من الظباء فأعجزه، فألى أليّة ألا يأكل أوّلا إلا من كبده. فطلبته الخيل ثلاثا فأتي بعد ثلاثة و قد هلك جوعا، فشوي له بطنه، فتناول فلذة من كبده فأكلها حارّة فمات. و في ذلك يقول الوليد بن عديّ الكنديّ في أحد بني بجيلة: فشواوا فكان شواؤهم خبطا له # إن المنية لا تجلّ جليلا

/و زعم ابن قتيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قباذ بن فيروز لم يملك الحارث بن عمرو و أن تبعا الأخير هو الذي [1] كذا في «معجم البلدان» لياقوت. و جازر: قرية من نواحي النهروان. و في أ، م: «جاذر» بالذال المعجمة. و في سائر الأصول: «جاذر» بالحاء المهملة و هو تحريف. و

النهر وان: ثلاث، أعلى و أوسط و أسفل، و هي كورة واسعة بين واسط و بغداد من الجانب الشرقي.

[2] كذا في «نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و الأهراء: الأكوام. و في الأصول: «أهداء الطعام» بالبدال و هو تحريف.

[3] الثوية: موضع قريب من الكوفة، و قيل بالكوفة.

[4] بهراء: قبيلة باليمن.

[5] كذا في أ، م، و هو موضع بين قومس و الري. و في سائر الأصول: «أرض كليب» و هو تحريف.

[6] بنو مرينا: قوم من أهل الحيرة.

[7] الغسل: ما يغسل به الرأس من خطمي و طين و أشنان و نحوه.

[8] مرملين: ملطخين.

[9] أظ به: لزمه و ألح عليه ليصطاده.

ملكه. قال: و لما أقبل المنذر[1] إلى الحيرة هرب الحارث و تبعته خيل فقتلت ابنه عمرا و قتلوا ابنه مالكا بهيت[2].

و صار الحارث إلى مسحلان[3] فقتلته كلب. و زعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه.

الحارث بن عمرو و تملكه أولاده على قبائل العرب:

و قال الهيثم بن عديّ حدّثني حمّاد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سعية[4] بن عريض من يهود تيماء قال: لمّا قتل الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ عمرو بن حجر ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو، و أمّه بنت عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان و نزل الحيرة. فلما تفاسدت القبائل من نزار أتاه أشرافهم فقالوا: إنّنا في دينك و نحن نخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا، فوجّه معنا نيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض. ففرّق ولده في قبائل العرب، فملك ابنه حجرا على بني أسد و غطفان/ و ملك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكلاب[5] على بكر بن وائل بأسرها و بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[6] و الرّباب. و ملك ابنه معد يكرب و هو غلفاء[7] (سمّي بذلك لأنه كان يغلف رأسه) على بني تغلب و التمر بن قاسط و سعد بن زيد مناة و طوائف من بني دارم[بن مالك] بن حنظلة و الصنائع و هم بنو رقيّة قوم كانوا يكونون مع الملوك من شدّاذ العرب. و ملك ابنه عبد الله على عبد القيس، و ملك ابنه سلمة على قيس.

مقتل حجر أبي امرئ القيس:

و قال ابن الكلبيّ حدّثني أبي: أنّ حجرا كان في بني أسد، و كانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقّته؛ فغير[8] [1] كذا في جـ و هو المناسب لما سبق في هذه القصة. و في سائر الأصول: «من الحيرة» و هو تحريف.

[2] هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.

[3] مسحلان: موضع.

[4] هو أخو السموأل.

[5] الكلاب (بضم أوله): اسم ماء بين الكوفة و البصرة، و قيل ماء بين جبلة و شمام. و كان للعرب يومان مشهوران بيوم الكلاب. فأما الأول فإن الحارث بن عمرو فرق أولاده على القبائل ملوكا كما ذكر المؤلف؛ فلما مات تداعت القبائل و تحزبت فوقع حرب بين ولديه شرحبيل و أصحابه، و

سلمة و أصحابه، فقتل شرحبيل يومئذ. و قد أشار إليه امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها:

أرانا موضعين لحتم غيب # و نسحر بالطعام و بالشراب

فقال:

و أعلم أنني عما قليل # سأنشب في شبا ظفر و ناب

كما لاقى أبي حجر و جدّي # و لا أنسى قتيلًا في الكلاب

و أما الكلاب الثاني فكان بين بني سعد و الرباب، و بين بني الحارث بن كعب و قبائل اليمن، قتل فيه عبد يغوث بن صلاة الحارثي بعد أن أسر، و قال و هو مأسور قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أيا راكبا إما عرضت فبلغن # ندماي من نجران أن لا تلاقيا

(راجع «معجم البلدان» لياقوت) .

[6] في ب، س، ح: «... و بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة و طوائف من بني دارم بن تميم» بزيادة «و طوائف من بني دارم» و اعلم عليها في ح بالمداد الأحمر كأنه ترميح لها.

[7] كذا في نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه و «اللسان» (مادة غلف) و «معجم البلدان» (في الكلام على الكلاب) . و في الأصول:

«غلفى» . و غلف رأسه: لطحه بالمسك.

[8] غير: لبث و بقي و في الأصول: «فعمر» .

ذلك دهرا. ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يجيهم، فمنعوه ذلك- و حجر يومئذ بتهامه- و ضربوا رسله و ضرجوهم[1]ضرجا شديدا قبيحا. فبلغ ذلك حجرا؛ فسار إليهم بجند من ربيعة و جند من جند أخيه من قيس و كنانة، فأتاهم/و أخذ سراتهم، فجعل يقتلهم بالعصا-فسمّوا عبيد العصا-و أباح الأموال، و صيّرهم إلى تهامة، و إلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبدا، و حبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة[2]بن فزارة الأسديّ و كان سيّدا، و عبيد بن الأبرص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثا. ثم إنّ عبيد بن الأبرص قام فقال: أيّها الملك اسمع مقالتي: يا عين[3]فابكي ما بني # أسد فهم أهل النّدامه

أهل القباب الحمر و النّ # عم المؤبّل[4]و المدامة

و ذوي الجياد الجرد و الأسل المثقفة المقامة حلّا[5]أبيت اللّعن حلّا إنّ فيما قلت أمه

في كلّ واد بين يث # رب فالقصور إلى اليمامة

تطريب عان أو صيا # ح محرّق أو صوت هامه

و منعتهم نجدا فقد # حلّوا على وجل تهامه

برمت بنو أسد كما # برمت ببيضتها الحمامه

جعلت لها عودين من # نشيم[6]و آخر من ثمامه

إمّا تركت تركت عف # وا أو قتلت فلا ملامه

/أنت المليك عليهم # و هم العبيد إلى القيامه

ذلّوا لسوطك مثل ما # ذلّ الأشيقر[7]ذو الخزامه

/قال: فرقّ لهم حجر حين سمع قوله، فبعث في أثرهم فأقبلوا. حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم، و هو عوف بن ربيعة بن سواده[8]بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه، فقال ليني أسد: يا عبادي! قالوا: لبّيك ربّنا. قال: من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الرّبرب، لا يعلق رأسه الصّخب، هذا دمه ينتعب[9]، و هذا غدا أوّل من يسلب. قالوا: من هو يا ربّنا؟ قال: لو لا أن تجيش نفس جاشية، [1]ضرجه: أدماه أي جعل دمه يسيل من الضرب.

[2]في حـ و «تجريد الأغاني»: «ابن كلدة» .

[3]في «كتاب الشعر و الشعراء»: «يا عين ما خابكي بني... إلخ» .

[4]المؤبّل: المقتنى.

[5]حلا أي تحلل من يمينك. و الأمة: العيب.

[6]النشم: شجر جبلي تتخذ منه القسيّ. و الثمامة: نبت بالبادية.

[7]الأشيقر: تصغير الأشقر و هو الأحمر من الدواب. و الخزامة: حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد بها الزمام فإن كانت من صفر فهي برة. و في الأصول: «الخبامة» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

[8]في ج: سواة» .

[9]كذا في «تجريد الأغاني» و انشعب الدم: جرى. و في ب، س: «يتشعب» . و في سائر الأصول: «ينشعب» و هما تحريف.

لأخبرتكم أنه حجر ضاحية. فركبوا كلَّ صعب و ذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهجموا على قبته. و كان حجابهم من بني الحارث بن سعد يقال لهم بنو خدّان بن خنثر منهم معاوية بن الحارث و شبيب و رقيّة و مالك و حبيب، و كان حجر قد أعتق أباهم من القتل. فلمّا نظروا إلى القوم يريدون قتله خيّموا عليه ليمنعوه و يجيروه. فأقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهليّ، و كان حجر قد قتل أباه، فطعنه من خلفهم فأصاب نساءه فقتله.

فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا معشر كنانة و قيس، أنتم إخواننا و بنو عمّنا، و الرجل بعيد النسب منّا و منكم، و قد رأيتم ما كان يصنع بكم هو و قومه. فانتهبوهم فشدّوا على هجائنه فمزّقوها و لغّوه في ربيعة بيضاء و طرحوه على ظهر الطريق. فلمّا رأته قيس و كنانة انتهبوا أسلابه. و وثب عمرو بن مسعود فضمّ عياله و قال: أنا لهم جار قال ابن الكلبيّ: و عدّة قبائل من بني أسد يدعون قتل حجر و يقولون: إنّ علباء كان الساعي في قتله و صاحب المشورة و لم يقتله هو.

قال ابن حبيب: خدّان في بني أسد و خدّان في بني تميم و في بني جديلة بالخاء مفتوحة، و خدّان مضمومة في الأزديّ، و ليس في العرب غير هؤلاء.

/قال أبو عمرو الشيبانيّ: بل كان حجر لمّا خاف من بني أسد استجار عوير بن شجنة أحد بني عطار بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر و عياله. و قال لبني أسد لمّا كثروه: أمّا إذا كان هذا شأنكم فإنني مرتحل عنكم و مخليكم و شأنكم؛ فواعدوه على ذلك. و مال على خالد بن خدّان أحد بني سعد بن ثعلبة.

فأدركه علباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال: يا خالد اقتل صاحبك لا يفلت فيعزّك [1] و إيانا بشرّ، فامتنع خالد.

و مرّ علباء بقصدة [2] رمح مكسورة فيها سنانها، فطعن بها في خاصرة حجر و هو غافل فقتله. ففي ذلك يقول الأسديّ:

و قصدة علباء بن قيس بن كاهل # منية حجر في جوار ابن خدّان

و ذكر الهيثم بن عديّ أنّ حجرا لمّا استجار عوير بن شجنة لبنيه و قطينه [3] تحوّل عنهم فأقام في قومه مدّة، و جمع لبني أسد جمعا عظيما

من قومه و أقبل مدلاً بمن معه من الجنود. فتآمرت بنو أسد بينها و قالوا: و الله لئن قهركم هذا ليحكمنّ عليكم حكم الصبي! فما خير عيش يكون بعد قهر و أنتم بحمد الله أشدّ العرب! فموتوا كراماً.

فساروا إلى حجر و قد ارتحل نحوهم فلقوه فاقتتلوا قتالا شديداً. و كان صاحب أمرهم علباء بن الحارث، فحمل على حجر فطعنه فقتله، و انهزمت كندة و فيهم يومئذ امرؤ القيس فهرب على فرس له شقراء و أعجزهم، و أسروا من أهل بيته رجالاً و قتلوا و ملئوا أيديهم من الغنائم، و أخذوا جوارى حجر و نساءه و ما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم.

و قال يعقوب بن السكيت حدثني خالد الكربي قال: كان سبب قتل حجر أنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه و أقام عنده حتى هلك، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد و قد كان أغار عليهم في النساء و أساء ولايتهم، و كان يقدّم/بعض ثقله أمامه و يهياً نزله ثم يجيء و قد هيئ له من ذلك ما يعجبه فينزل، و يقدّم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيضرب له في المنزلة الأخرى. فلما دنا من بلاد بني أسد و قد بلغهم موت أبيه [1] عرّ فلان فلانا بشر: أصابه به.

[2] القصة: القطعة.

[3] القطبين هنا: الخدم و الحاشية.

طمعوا فيه. فلما أظلمهم و ضربت قبايه اجتمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن خَدَّان، فقال: يا بني أسد! من يتلقَى هذا الرجل منكم فيقتطعه؟ فإني قد أجمعت على الفتك به. فقال له القوم: ما لذلك أحد غيرك. فخرج نوفل في خيله حتى أغار على الثقل فقتل من وجد فيه، و ساق الثقل و أصاب جاريتين قينتين لحجر، ثم أقبل حتى أتى قومه. فلما رأوا ما قد حدث و أتاهم به عرفوا أن حجرا يقاتلهم و أنه لا بدّ من القتال، فحشد الناس لذلك، و بلغ حجرا أمرهم، فأقبل نحوهم. فلما غشيهم ناهضوه القتال و هم بين أبرقين من الرمل في بلادهم يدعيان اليوم أبرقي حجر، فلم يلبثوا حجرا أن هزموا أصحابه و أسروه فحبسوه. و تشاور[1] القوم في قتله، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم: أي قوم! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزر لكم. فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله.

فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله؛ فدعا غلاما من بني كاهل، و كان ابن أخته و كان حجر قتل أباه زوج أخت علباء، فقال: يا بني، أ عندك خير فتتأر بأبيك و تنال شرف الدهر و إن قومك لن يقتلوك؟! فلم يزل بالغلام حتى حرّبه[2]، و دفع إليه حديدة و قد شحذها و قال: أدخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله؛ فعمد الغلام إلى الحديد فخبأها ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها. فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله، فوثب القوم على الغلام. فقالت بنو كاهل: ثارنا و في أيدينا. فقال الغلام: إنما ثارت بأبي، فخلوا عنه. و أقبل كاهنهم المزدرج فقال: أي قوم! قتلتموه! ملك شهر، و ذلّ دهر. أما و الله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا.

وصيته لبنيه عند موته:

قال ابن السكّيت: و لما طعن الأسدِيّ حجرا و لم يجهز عليه، أوصى و دفع كتابه إلى رجل و قال له: انطلق إلى ابني نافع-و كان أكبر ولده-فإن بكى و جزع فإله عنه، و استقرهم واحدا واحدا حتى تأتي امرأ القيس-و كان أصغرهم-فأيّهم لم يجزع فادفع إليه سلاحي و خيلي و قدوري و وصيتي. و قد كان بين في وصيته من قتله و كيف كان خبره. فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه: فأخذ التراب فوضعه على رأسه. ثم استقراهم واحدا واحدا فكلهم فعل ذلك، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر و يلاعبه بالترد؛ فقال له: قتل حجر. فلم يلتفت إلى قوله، و أمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: /اضرب فضرب. حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دستك. ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره. فقال: الخمر عليّ و

النساء حرام حتى أقتل من بني أسد مائة و أجر نواصي[3] مائة. و في ذلك يقول:

أرقت و لم يأرق لما بي نافع # و هاج لي الشوق الهموم الروادع

و قال ابن الكلبي: حدّثني أبي عن ابن الكاهن الأسدي: أنّ حجرا كان طرد امرأ القيس و ألى ألاّ يقيم معه أنفة من قوله الشعر، و كانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب و معه أخلاط من شدّاذ العرب من طييء و كلب و بكر بن وائل، فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، و خرج إلى الصيد فتصيّد ثم عاد فأكل و أكلوا معه و شرب الخمر و سقاهم و غنّته قيانه. و لا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم [1] في الأصول: «و شاور القوم» .

[2] حربه: حرشه.

[3] يريد: حتى أقتل منهم مائة و أسر مائة. و كان من عادات العرب أنه إذا أسر الرجل منهم آخر و أراد أن يمن عليه جز ناصيته (و هي الشعر في مقدّم الرأس) و أطلقه، فتكون الناصية عنده فخرا.

ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه و مقتله و هو بدمّون من أرض اليمن، أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصّاف. فلما أتاه بذلك قال: /

تطاول الليل على دمّون # دمّون إنّنا معشر يمانون

و إنّنا [1] لأهلها محبّون

ثم قال: ضيّعني صغيرا و حمّلي دمه كبيرا. لا صحو اليوم و لا سكر غدا. «اليوم خمر، و غدا أمر» فذهبت مثلا. ثم قال: خليليّ لا في اليوم مصحى لشارب # و لا في غد إذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعا. فلما صحا آلى ألا يأكل لحما، و لا يشرب خمرًا، و لا يدهن بدهن، و لا يصيب امرأة، و لا يغسل رأسه من جنابة، حتى يدرك بثاره. فلما جتّة الليل رأى برقًا فقال: أرقت لبرق بليل أهل # يضيء سناه بأعلى الجبل

أتاني حديث فكذبته # بأمر تززع منه القل

بقتل بني أسد ربهم # ألا كلّ شيء سواه جلل [2]

فأين ربيعة عن ربها # و أين تميم و أين الخول

أ لا يحضرون لدي بابيه # كما يحضرون إذا ما أكل

و روى الهيثم عن أصحابه أنّ امرأ القيس لمّا قتل أبوه كان غلاما قد ترعرع، و كان في بني حنظلة مقيما لأنّ ظئرة كانت امرأة منهم. فلما بلغه ذلك قال: يا لهف هند إذ خطئن [3] كاهلا # القاتلين الملك الحلاحلا [4]

/تالله لا يذهب شيخي باطلا # يا خير شيخ حسبا و نائلا

و خيرهم-قد علموا-فواضلا [5] # يحملنا و الأسل التواهلا

و حيّ صعب و الوشيح الدّابلا # مستثفات بالحصى جوافلا [6]

[1] كذا في شرح «القاموس» (مادة دمن) و «معجم البلدان» لياقوت: و في الأصول: «و إنّما لأهلها محبون» .

[2] جلل: هاهنا بمعنى هين.

[3] كذا في «ديوانه» و نسخة الأستاذ الشنقيطي مصححة بقلمه. و خطئ هاهنا بمعنى أخطأ. و كاهل أبو فخذ من بني أسد، و هو كاهل بن دودان بن أسد بن خزيمة. (راجع «ديوان امرئ القيس» ص 78 نسخة

مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 15 أدب ش. و في الأصول: «حظين» بالحاء المهملة و الظاء المعجمة.

[4]الحلاجل: السيد الكريم. و قد ورد هذا الرجز في نسخ «ديوانه» مختلفا في ترتيب شطراته. و يريد بالضمير في خطئن الخيل و بالقاتلين بني أسد.

[5]ورد بدل هذا الشطر في إحدى نسخ «الديوان» قوله:

نحن جلبنا القرح القوافلا

و القرح: (بضم القاف و تشديد الراء مفتوحة) جمع قارح، و هو من الخيل ما كان في الخامسة من سنه.

و القوافل: الضوامر.

[6]جوافل: مسرعات، يقال: جفل و أجفل إذا أسرع.

يعني صعب بن عليّ بن بكر بن وائل. معنى قوله «مستثفرت بالحصى»: يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدة جريها حتى ارتفع إلى أثفارها[1] فكانها استثفرت به.

هند بنت حجر يجيرها عوير بن شجنة:

و قال/الهيثم بن عديّ: لما قتل حجر انحازت بنته و قطينه إلى عوير بن شجنة. فقال له قومه: كل أموالهم فإنهم مأكولون، فأبى. فلما كان الليل حمل هنداً و قطينها و أخذ بخطام جملها و أشام بهم في ليلة طخياء مدلهمة.

فلما أضاء البرق أبدى عن ساقيه و كانت حمشتين[2]. فقالت هند: ما رأيت كالليلة ساقى واف. فسمعها فقال يا هند: هما ساقا غدر شرّ. فرمى بها التّجاد حتى أطلعها نجران، و قال لها: إني لست أعني عنك شيئاً وراء هذا الموضع، و هؤلاء قومك، و قد برئت خفرتي. فمدحه امرؤ القيس بعدة قصائد، منها قوله في قصيدة له:

ألا إنّ قوما كنتم أمس دونهم # هم منعوا جاراتكم آل غدران[3]
عوير و من مثل العوير و رهطه # أبرّ بميثاق و أوفى بجيران
هم أبلغوا الحيّ المضئع أهله # و ساروا بهم بين الفرات و نجران

/و قوله:

ألا قبح الله البراجم كلّها # و جدّع يربوعا و عقّر دارما
فما فعلوا فعل العوير و رهطه # لدى باب حجر إذ تجرّد قائما

و قال ابن قتيبة في خبره: إنّ القصة المذكورة عن عوير كانت مع أبي حنبل و جارية ابن مرّ. قال و يقال: بل كانت مع عامر بن جوين الطائيّ و إنّ ابنته أشارت عليه بأخذ مال حجر و عياله، فقام و دخل الوادي ثم صاح: ألا إنّ عامر بن جوين و في، فأجابه الصّدى بمثل قوله، فقال: ما «أحسن هذا! ثم دعا ابنته بجذعة[4] من غنم فاحتلبها و شرب و استلقى على قفاه و قال:

و الله لا أعدر ما أجزأتني جذعة. ثم نهض و كانت ساقاه حمشتين، فقالت ابنته: و الله ما رأيت كالיום ساقى واف.

فقال: و كيف بهما إذا كانتا ساقى غادر!هما و الله حينئذ أقبح.

امرؤ القيس يستعدي بكرا و تغلب على بني أسد:

و قال ابن الكلبي عن أبيه و يعقوب بن السكيت عن خالد الكلابي:
إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكرا و تغلب، فسألهم النصر على بني
أسد. فبعث العيون على بني أسد فنذروا[5] بالعيون و لجئوا إلى بني كنانة. و
كان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث. فلما كان الليل قال لهم علباء:

[1]الأثفار: جمع ثفر (بالتحريك) و هو السير الذي في مؤخرة السرج
تحت ذنب الدابة. و أما الثفر (بفتح فسكون و بضم فسكون) فهو لجميع
ضروب السباع و لكل ذات مخلب كالحياء للناقة.

[2]حمشتين: دقيقتين.

[3]آل غدران (بالضم) : بطن من العرب.

[4]الجدعة: الفتية.

[5]نذروا: علموا فحذروا.

يا معشر بني أسد تعلمون! والله إنَّ عيون امرئ القيس قد أتتكم و رجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل و لا تعلموا بني كنانة، ففعلوا. و أقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر و تغلب حتى انتهى إلى بني كنانة و هو يحسبهم بني أسد فوضع السِّلاح فيهم و قال: يا لثارات الملِّك! يا لثارات الهمام! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيت اللعن! لسانك لثأر، نحن من كنانة، فدونك ثأرك فاطلبهم فإن القوم قد شاروا بالأمس. فتبع بني أسد ففاتوه ليلتهم تلك- فقال في ذلك: أ لا يا لهف هند إثر قوم # هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جدّهم [1]بني أبيهم # و بالأشقين ما كان العقاب

و أفلتهنّ علباء جريضا [2] # و لو أدركنه صفر الوطاب

يعني بني أبيهم [3]بني كنانة، لأن أسدا و كنانة ابني خزيمة أخوان.

أخبرني أبو خليفة عن محمد/بن سلام قال:

سمعت رجلا سأل يونس عن قوله «صفر الوطاب» ، فقال: سألنا رؤبة عنه فقال: لو أدركوه قتلوه و ساقوا إبله فصفرت و طابه من اللبن. و قال غيره: صفر الوطاب أي إنه كان يقتل فيكون جسمه صفرا من دمه كما يكون الوطاب صفرا من اللبن.

[و أدركهم [4]]ظهرا و قد تقطعت خيله و قطع أعناقهم العطش، و بنو أسد جامون [5]على الماء، فنهد إليهم فقاتلهم حتى كثرت الجرحى و القتلى فيهم، و حجز الليل بينهم، و هربت بنو أسد. فلما أصبحت بكر و تغلب أبوا أن يتبعوهم و قالوا له: قد أصبت ثأرك. قال: و الله ما فعلت و لا أصبت من بني كاهل و لا من غيرهم/من بني أسد أحدا. قالوا: بلى، و لكنك رجل مشئوم. و كرهوا قتالهم بني كنانة [6]و انصرفوا عنه. و مضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمير.

يلجأ إلى عمرو بن المنذر:

و قال ابن السكّيت حدّثني خالد الكلابي: أن امرأ القيس لما أقبل من الحرب على فرسه الشُّقراء لجأ إلى ابن عمته عمرو بن المنذر-و أمّه هند بنت عمرو بن حجر بن أكل المرار، و ذلك بعد قتل أبيه و أعمامه و تفرّق ملك أهل بيته، و كان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر بيّقة و هي بين الأنبار و هيت-فمدحه و ذكر صهره و رحمه و أنه قد تعلق بحباله و لجأ إليه. فأجاره،

و مكث عنده زمانا. ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه، و أنذره عمرو فهرب حتى أتى حمير.

[1]الجد: الحظ. و الأشقين: جمع أشقى، أي وقى بني أسد حظهم إذ وقع العقاب بالأشقين بني أبيهم و هم كنانة.

[2]أفلتهنّ جريضا أي أفلتهنّ بعد جهد و مشقة. و الأصل في الجرض: الغصص بالريق. و ظاهر أن مرجع الضمير في «أفلتهن» و «أدركنه» الخيل التي كروا بها عليهم.

[3]في الأصول: يعني بأبيهم بني كنانة» و هو غير مستقيم.

[4]التكلمة عن «تجريد الأغاني» .

[5]كذا في أ، م: و جامون: مجتمعون مستريحون. و في «تجريد الأغاني»: «جامون». و في سائر الأصول: «جامون» بالحاء المهملة، و هو تصحيف.

[6]أظن أن صوابه: «بني أسد» .

يستنصر أزدشنوءة:

و قال ابن الكلبيّ و الهيثم بن عديّ و عمر بن شبة و ابن قتيبة: فلمّا امتنعت بكر بن وائل و تغلب من أتباع بني أسد خرج من فوره ذلك إلى اليمن فاستنصر أزدشنوءة، فأبوا أن ينصروه و قالوا: إخواننا و جيراننا.

و مرثد الخير الحميري:

فنزّل بقبل يدعى مرثد الخير بن ذي جدن الحميريّ، و كانت بينهما قرابة، فاستنصره و استمدّه على بني أسد، فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير؛ و مات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم.

و قرمل بن الحميم:

و قام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له قرمل بن الحميم و كانت أمّه سوداء، فردّد امرأ القيس و طوّل عليه حتى همّ بالانصراف و قال: و إذ نحن ندعو مرثد الخير ربّنا # و إذ نحن لا ندعى عبيدا لقرمل

فأنفذ له ذلك الجيش؛ و تبعه شدّاذ من العرب، و استأجر من قبائل العرب رجالا، فسار بهم إلى بني أسد.

و مرّ بتبالة[1] و بها صنم للعرب تعظّمه يقال له/ذو الخلصة[2]؛ فاستقسم[3] عنده بقداحة و هي ثلاثة الآمر و الناهي و المتربّص، فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها و كسرّها و ضرب بها وجه الصنم و قال: مصصت بظر أمك! لو أبوك قتل ما عقتني. ثم خرج فظفر ببني أسد. و يقال: إنه ما استقسم عند ذي الخلصة بعد ذلك بقدح حتى جاء أمر الله بالإسلام و هدمه جرير بن عبد الله البجليّ.

طلبه المنذر فهرب و نزل بالحارث بن شهاب:

قالوا: و ألحّ المنذر في طلب امرئ القيس و وجّه الجيوش في طلبه من إياد و بهراء و تنوخ و لم تكن لهم طاقة، و أمده أنو شروان بجيش من الأساورة فسرحهم في طلبه. و تفرّقت حمير و من كان معه عنه. فنجا في عصبة من بني أكل المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة، و مع امرئ القيس أذراع خمسة: الفضاضة و الضيافة و المحصنة و الخربق[4] و أمّ الذبول كنّ لبني أكل المرار يتوارثونها ملكا عن/ملك. فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يوعدّه بالحرب إن لم يسلم إليه بني أكل المرار فأسلمهم؛ و نجا امرؤ القيس و

معهُ يزيد بن معاوية بن الحارث و بنته هند (بنت امرئ القيس) و الأدرع و السلاح و مال كان بقي معه، فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طييء.

ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادي:

و قيل: بل نزل قبلهم[5] على سعد بن الضباب الإيادي سيّد قومه فأجاره.

[1]تباله: موضع بين مكة و اليمن على مسيرة سبع ليال من مكة.

[2]ذو الخلصة: مروة بيضاء منقوش عليها كهية التاج، و كان سدنتها بني أمامة من باهلة بن أعصر و كانت تعظمها و تهدي لها خثعم و بجيلة و أزد السراة و من قاربهم من بطون العرب من هوازن. («الأصنام» لابن الكلبي ص 43) .

[3]الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما فقسم للمرء مما لم يقسم.

[4]في أ، م: «الخريق» . و في «تجريد الأغاني»: «الحريق» .

[5]كذا في «تجريد الأغاني»: و في الأصول: «قبله» .

/قال ابن الكلبي: و كانت أم سعد بن الصّباب تحت حجر أبي امرئ القيس فطلقها و كانت حاملا و هو لا يعرف، فتزوجها الصّباب فولدت سعدا على فراشه، فلحق نسبه به. فقال امرؤ القيس يذكر ذلك: يفاكهنا سعد و ينعم بالنّا # و يغدو[1]علينا بالجفان و بالجزر

و نعرف فيه من أبيه شمائلًا # و من خاله و من يزيد و من حجر

سماحة ذا و برّ ذا و وفاء ذا # و نائل ذا إذا صحا و إذا سكر

و المعلّى بن تيم:

ثم تحوّل عنه فوق في أرض طيّء[2]فنزل برجل من بني جديلة يقال له المعلّى بن تيم. ففي ذلك يقول: كأني إذ نزلت على المعلّى # نزلت على البواذخ من شمام[3]

فما ملك العراق على المعلّى # بمقتدر و لا ملك الشام

أقرّ حشى امرئ القيس بن حجر # بنو تيم مصاييح الظلام

ثم بيني نبهان:

قالوا: فلبث عنده و اتّخذ إبلاً هناك. فغدا قوم من بني جديلة يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل. و كانت لامرئ القيس رواحل مقيّدة عند البيوت خوفاً من أن يدهمه أمر ليسبق عليهن. فخرج حينئذ فنزل بيني نبهان من طيّء، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جديلة، فرجعوا إليه بلا شيء. فقال في ذلك: و أعجبنى مشي الحزقة خالد # كمشي أتان حلّئت بالمناهل[4]

/فدع عنك نهبا صبح في حجراته[5] # و لكن حديثا ما حديث الرّواحل

ففرّقت عليه بنو نبهان فرقا[6]من معزى يحلبها. فأنشأ يقول:

إذا ما لم تجد إبلا فمعزى # كأن قرون جلتها[7]العصى

[1]ورد هذا الشطر في «ديوانه» هكذا:

بمثنى الرقاق المترعات و بالجزر

[2]في الأصول: «من أرض طيّء» و هو تحريف. و عبارة «تجريد

الأغاني»: «ثم تحول عنه فنزل بأرض طي عند رجل...» .

[3]شمام: اسم جبل لباهلة.

[4] هذه رواية «الديوان» . و الحزقة: القصير الذي يقارب الخطو. و حلئت: منعت عن الماء و طردت مرة بعد مرة. و في الأصول: عجت له مشى الحزقة خالد

[5] الحجرات: النواحي. يقول: دع النهب الذي صاح المنتهب في نواحيه و أخذه، و حدّثني حديث الرواحل و هي الإبل التي ذهبت بها ما فعلت. (راجع «اللسان» في مادة حجر و «شرح ديوانه») .

[6] الفرق: القطيع من الغنم و البقر و الضيأء، و قيل: هو ما دون المائة من الغنم. و من جعل الألف في «معزى» للتأنيث منه من الصرف، و من جعلها للإلحاق صرف، و هو الأرجح.

[7] الجلة: المسان (بفتح الميم و تشديد النون كبيرات السن) . و يروى هذا الشطر في «ديوانه» : ألا تكن إبل فمعزى

إذا ما قام حاليتها أرئت [1] # كأن القوم صبحهم نعي
 فتملاً بيتنا أقطا [2] و سمننا # و حسبك من عني شيع و ري

ثم نزل بعامر بن جوين:

فكان عندهم ما شاء الله. ثم خرج فنزل بعامر بن جوين و اتخذ عنده
 إبلا، و عامر يومئذ أحد الخلاء الفئاك قد تبرأ قومه من جرائره، فكان عنده
 ما شاء الله، ثم هم أن يغلبه على أهله و ماله، ففطن امرؤ القيس بشعر
 كان عامر ينطق به و هو قوله: فكم بالصعيد [3] من هجان مؤبلة # تسير
 صحاحا ذات قيد و مرسله

أردت بها فتكا فلم أرتمض [4] له # و نهنت نفسي بعد ما كدت أفعله [5]

/ و كان عامر أيضا يقول يعرض بهند بنت امرئ القيس:

/

ألا حيّ هندا و أطلالها # و تطعان هند و تحلا لها

هممت بنفسي كلّ الهموم # فأولى لنفسي أولى لها [6]

سأحمل نفسي على آلة [7] # فإما عليها و إما لها

هكذا روى ابن أبي سعد عن دارم بن عقال. و من الناس من يروي
 هذه الأبيات للخنساء في قصيدتها: ألا ما لعيني ألا ما لها # لقد أخضل الدمع
 سربالها

ثم بحارثة بن مر:

قالوا: فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه و خافه على أهله و ماله، تغفله
 و انتقل إلى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مر فاستجار به. ف وقعت
 الحرب بين عامر و بين الثعلبي، فكانت في ذلك أمور كثيرة. قال دارم بن
 عقال في خبره: فلما وقعت الحرب بين طييء من أجله، خرج من عندهم
 فنزل برجل من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن، فطلب منه
 الجوار حتى يرى ذات عيبه [8]. فقال له الفزاري: يا ابن حجر، إني أراك في
 خلل من قومك و أنا نفس [9] [1] رواية «الديوان» في هذا البيت: إذا مشيت
 حوالها أرنت # كأن الحي صبحهم نعي

بناء الفعل (مشيت) للمجهول. و مشيت حوالها: مسحت بالكف ليدر
 اللبن. و الحوالب: العروق التي تدر اللبن في الضرع واحدها حالب. و أرنت:

صوتت. و يحتمل أن تكون المعزى هى المرنة، و أن يكون الإرنان صوت الشخب الذي يقع في الإناء من كثرة اللبن.

[2]الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض مثل الجبن.

[3]كذا في «تجريد الأغاني»: و في جـ: «فكم من سعيد» . و في سائر النسخ: «فكم بالصحيح» و هما تحريف.

[4]ارتمض: حزن، أي فلم أحزن و لم آسف له. و نهته: كف.

[5]نصب الفعل على تقدير «أن» أي بعد ما كدت أن أفعله، و هو شاذ.

[6]أولى لك: كلمة توعده و تهديد، و قد تكون كلمة تلهف، يقولها الرجل إذا حاول شيئاً فأفلته من بعد ما كاد يصيبه.

[7]الآلة هنا: الحالة.

[8]يريد: ينظر في أمره و يصلح من شأنه.

[9]أنفس به: أضنّ به.

بمثلك من أهل الشرف، و قد كدت بالأمس تؤكل في دار طيبيء، و أهل البادية أهلي بز لا أهل حصون تمنعهم، و بينك و بين أهل اليمن ذؤبان من قيس، أ فلا أدلك على بلد! فقد جئت قيصر و جئت النعمان فلم أر لضيف نازل و لا لمجدت مثله و لا مثل صاحبه. قال: من هو و أين منزله؟ قال: السموءل بتيماء، و سوف أضرب لك مثله، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيبك، و هو في حصن حصين و حسب كبير. فقال له امرؤ القيس/ و كيف لي به؟ قال: أوصلك إلى من يوصلك إليه؛ فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع[1] بن ضبع الفزاري ممن يأتي السموأل فيحمله و يعطيه. فلما صار إليه قال له الفزاري: إن السموأل يعجبه الشعر. فتعال نتناشد له أشعارا. فقال امرؤ القيس: قل حتى أقول. فقال الربيع: قل للمنيئة أي حين نلتقي # بقاء بيتك في الحضيض المزلق

و هي طويلة يقول فيها:

و لقد أتيت بني المصاص مفاخرا # و إلى السموأل زرته بالأبلق
فأتيت أفضل من تحمّل حاجة # إن جنته في غارم أو مرهق
عرفت له الأقوام كلّ فضيلة # و حوى المكارم سابقا لم يسبق

قال: فقال امرؤ القيس:

طرقتك هند بعد طول تجنّب # و هنا و لم تك قبل ذلك تطرق

و هي قصيدة طويلة، و أظنّها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس، و التوليد فيها بين، و ما دونها في «ديوانه» احد من التقات؛ و أحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموأل و مما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا[2].

قال فوفد الفزاريّ بامرئ القيس إليه. فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرة وحشية مرمية. فلما نظر إليها أصحابه قاموا فذكوها. فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قنّاصين من بني ثعل[3]. فقالوا لهم: من أنتم؟ فانتسبوا لهم، و إذا هم من جيران السموأل فانصرفوا جميعا. و قال امرؤ القيس: /

ربّ رام من بني ثعل # مخرج كفيّه من قتره[4]

عارض زوراء من نشم # مع باناة على وتره[5]

- هكذا في رواية ابن دارم. و يروى «غير باناة» و «تحت باناة» - [1] في «المشتمبه» أنه اختلف فيه هل هو بفتح الراء أو ضمها.

[2]وردت هذه الجملة هكذا في الأصول. و لعل صوابها «أو مما صنعه من روى عنه فلم تكتب هنا» .

[3]ثعل: قبيلة من طييء.

[4]القترة: جمع قتره و هي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتتفر منه.

[5]يقال: عرض الرامي القوس عرضا إذا أضجعها ثم رمى عنها. و زوراء: معوجة. و النشم: شجر تتخذ منه القسي. و الرواية التي كتب عنها الشراح هي رواية «غير باناة» و الباناة لغة طييء في البانية كما يقولون في ناصية ناصاة و في قارية قاراة. و البانية من القسي: التي لصق و ترها بكبدها حتى كاد ينقطع و ترها في بطنها من لصوقه بها، و هو عيب. و «على» بمعنى «عن» أي غير بانية عن الوتر. و على هذا الوجه يكون «غير» بنصب الراء صفة لزوراء. و يجوز أن يكون بكسر الراء على أنه من صفة الرامي، يقال رجل باناة و هو الذي ينحني صلبه إذا رمى فيذهب سهمه على وجه الأرض، و على هذا تكون «على» هنا في موضعها.

إذ أتته الوحش واردة # فتثنى النزع في يسره [1]
 فرماها في فرائصها # بإزاء الحوض أو عقره [2]
 برهيش [3] من كنانته # كتلطي الجمر في شرره
 /راشه من ريش ناهضة # ثم أمهاه على حجره [4]
 فهو لا تنمي رميته [5] # ما له لا عدّ من نفره

طلب إلى السمؤال أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر:

قال: ثم مضى القوم حتى قدموا على السموعل، فأنشده الشعر، و عرف لهم حقهم، فأنزل المرأة في قبّة آدم و أنزل القوم في مجلس له براح؛ فكان عنده ما شاء الله. ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغسانيّ بالشام ليوصله إلى قيصر؛ فاستجد له رجلا، و استودع [6] عنده المرأة و الأذراع و المال، و أقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه. فمضى حتى انتهى إلى قيصر؛ فقبله و أكرمه و كانت له عنده منزلة.

لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعها عليه:

فاندسّ رجل من بني أسد يقال له الطماح، و كان امرؤ القيس قد قتل أخا له من بني أسد، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفيا. ثم إن قيصر ضمّ إليه جيشا كثيفا و فيهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قوم غدر و لا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه. و قال ابن الكلبيّ: بل قال له الطماح: إنّ امرأ القيس غويّ عاهر و إنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يرأسل ابنتك و يواصلها، و هو قائل [1] واردة: عطاشا. و تثنى: انعطف. و يروى: «فتنحى» و «فتمتى» أي تمطى و معناه: مدّ و نزع. و النزع الرمي عن القوس. و في يسره- كما في «شرح ديوانه» ، رواية أبي سهل (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 13 أدب ش) -أي في يسر السهم للرمي. قال أبو سهل: يقول القوس في يساره فإذا اشتدّ يساره تابع مدّه فنغذ السهم أجود و إلا لم ينفذ جيدا. و في «اللسان» (مادة يسر) عن الجوهري أن اليسرة بالتحريك أسرار الكف (خطوطها) إذا كانت غير ملتزقة و هي تستحب. قال شمر: و يقال في فلان يسر؛ و أنشد: فتمتى النزع في يسره

قال: هكذا روى عن الأصمعي و فسره حبال وجهه. و يروى: «في يسره» بضم الياء و فتح السين جمعا ليسرى، و يروى «في يسره» بضميتين جمعا ليسار.

[2]الفرائص: جمع فريضة و هي التي ترعد من الدابة عند مرجع الكتف تتصل بالفؤاد. و إزاء الحوض: مصب الماء فيه. و عقره: موضع الشاربة، يريد أن هذا الرامي حاذق خبير بالرمي لا يرميها إلا في مقتل. و خص إزاء الحوض أو عقره لأنه مكان تآمن فيه و تطمئن إليه، فهو أمكن له فيما يريد منها.

[3]الرهيش: السهم الضامر الخفيف.

[4]الناهض الذي وفر جناحه و نهض للطيران. و أدخل الهاء في ناهضة للمبالغة أو لأنه أراد الأنثى، كما يقال صقر و صقرة. قال أبو بكر: و خص ريش النواهض لأن ريشها ألين و أطول و ريش المسان لا خير فيه. أمهاه: أرقه. و قال أبو عبيدة: أمهاه: سقاه الماء.

[5]أي لا ترتفع من مكانها الذي أصابها فيه السهم لحذق الرامي؛ يقال: أنميت الصيد فنمي ينمي و ذلك أن ترميه فتصيبه و يذهب عنك فيموت بعد ما يغيب. و معنى لا عد من يفره: أماته الله فلا يعد من قومه، و المراد التعجب منه، كما يقال: قاتله الله في موضع المدح و التعجب.

[6]في جـ: «و استودعه» .

في ذلك أشعارا يشهّرها بها في العرب فيفضحها و يفضحك. فبعث إليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب و قال له: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمه لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن و البركة، و اكتب إليّ بخبرك من منزل منزل. فلما/وصلت إليه لبسها و اشتدّ سروره بها؛ فأسرع فيه السمّ و سقط جلده؛ فلذلك سمّي ذا القروح، و قال في ذلك: لقد طمح الطمّاح من بعد أرضه # ليلبسني ممّا يلبس أبؤسا[1]

فلو أنها نفس بموت سوّية # و لكنّها نفس تساقط أنفسا

قال: فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها؛ فقال: رب خطبة مسحفره # و طعنة مثنعجره[2]

و جفنة متحيّره # حلّت بأرض أنقره

و رأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب؛ فسأل عنها فأخبر بقصتها، فقال: /

أجارتنا إنّ المزار قريب # و إني مقيم ما أقام عسيب

/أجارتنا إنّّا غريبان ها هنا # و كلّ غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك.

عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسرّ به و يجيزه:

أخبرني محمد بن القاسم عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال: قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمروا عنده، ثم قال: ليحدّثني كلّ رجل منكم أحدثه و ابدأ أنت يا أبا عمر[3]. فقلت أصلح الله الأمير! حديث الحقّ أم حديث الباطل؟ قال: بل حديث الحق. قلت: إنّ امرأ القيس آلى بأليّة الأ يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية و أربعة و ثنتين؛ فجعل [1] في «ديوانه» : و بدلت قرحا داميا بعد صحة # لعل منايانا تحولن أبؤسا

لقد طمح الطمّاح من بعد أرضه # ليلبسني من دائه ما تلبسا

[2]يقال: اسحنفر في خطبته إذا مضى و اتسع في كلامه. و المثنعجرة: السائلة، يقال: ثعجر الدم فاثعجر إذا صبه فاتصب. و الجفنة المتحيرة: الممتلئة طعاما و دسما. و هذه الشطرة الثالثة غير متزنة. و قد ورد هذا

الشعر في مقدمة «ديوانه» المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم
13 أدب ش: و طعنة مثعنجره # و خطبة مسحنفره

و جفنة مدعثره # تبقى غدا بأنقره

و الجفنة المدعثرة: و ورد في «اللسان» (مادة ثعجر) و كتاب «الشعر
و الشعراء» و ليس فيهما هذا الشطر؛ ففي «اللسان» : رب جفنة مثعنجره
و طعنة مسحنفره

تبقى غدا بأنقره

و في «الشعر و الشعراء» :

و طعنة مسحنفره # و جفنة مثعنجره

تبقى غدا بأنقره

[3] يكنى عبد الملك بن عمير أبا عمر و أبا عمرو.

يخطب النساء، فإذا سألهنَّ عن هذا قلن أربعة عشر. فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة كأنها البدر ليلة تمامه، فأعجبته، فقال لها: يا جارية! ما ثمانية و أربعة و اثنتان؟. فقالت: أمّا ثمانية فأطباء الكلبة. و أمّا أربعة فأخلاف الناقة. و أمّا اثنتان فثديا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها. و شرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، و أن يسوق إليها مائة من الإبل و عشرة أعبد و عشر و صائف و ثلاثة أفراس ففعل ذلك. ثم إنه بعث عبدا له إلى المرأة و أهدى إليها نحيا[1] من يسمن و نحيا من غسل و حلة من عصب. فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة و لبسها فتعلقت بعشرة فانشقَّت، و فتح التَّحيين فطعم أهل الماء منهما فنقصا. ثم قدم على حيِّ المرأة و هم خلوف[2]. فسألها عن أبيها و أمِّها و أخيها و دفع إليها هديتها. فقالت له: أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيدا و يبعد قريبا، و أن أمِّي ذهبت تشقُّ النفس/نفسين، و أن أخي يراعي الشمس، و أن سماءكم انشقَّت، و أن وعاءيكم نضبا. فقدم الغلام على مولاه فأخبره. فقال: أمّا قولها إنَّ أبي ذهب يقرب بعيدا و يبعد قريبا، فإنَّ أباهما ذهب يحالف قوما على قومه. و أمّا قولها ذهبت أمِّي تشقُّ النفس نفسين، فإنَّ أمِّها ذهبت تقبل[3] امرأة نفساء. و أمّا قولها: إنَّ أخي يراعي الشمس، فإنَّ أخاهما في سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به. و أمّا قولها: إن سماءكم انشقَّت، فإنَّ اليرد الذي بعثت به انشقَّ. و أمّا قولها إن وعاءيكم نضبا، فإنَّ التَّحيين اللذين بعثت بهما نقصا، فاصدقني. فقال: يا مولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أنّي ابن عمِّك، و نشرت الحلة فانشقَّت، و فتحت التَّحيين فأطعمت منهما أهل الماء. فقال: أولى لك!.

ثم ساق مائة من الإبل و خرج نحوها و معه الغلام، فنزلا منزلا. فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز؛ فأعانه امرؤ القيس؛ فرمى به الغلام في البئر، و خرج حتى أتى المرأة بالإبل، و أخبرهم أنه زوجها. فقيل لها: قد جاء زوجك.

فقالت: و الله ما أدري أ زوجي هو أم لا! و لكن انحروا له جزورا و أطعموه من كرشها و ذنبها ففعلوا. فقالت: اسقوه لبنا حازرا (و هو الحامض) فسقوه فشرب. فقالت: افرشوا له عن، الفرث[4] و الدم، ففرشوا له فنام. فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك. فقال: سلي عمّا شئت. فقالت: ممّ تختلج شفتاك؟ قال: لتقبيلي إياك. قالت:

فمّم يختلج كشحاك؟ قال: لالتزامي إِيّاك. قالت: فمّم يختلج فخذاك؟ قال: لتورّكي إِيّاك. قالت: عليكم العبد فشّدّوا أيديكم/به، ففعلوا. قال: و مرّ قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيّه، فاستنّاق مائة من الإبل و أقبل إلى امرأته. فقيل لها: قد جاء/زوجك. فقالت: و الله ما أدري أ هو زوجي أم لا، و لكن انحروا له جزورا فأطعموه من كرشها و ذنبها ففعلوا. فلما أتوه بذلك قال: و أين الكبد و السنّام و الملحاء[5]! فأبى أن يأكل.

فقالت: اسقوه لبنا حازرا. فأبى أن يشربه و قال: فأين الصّريف[6] و الرّثينة!. فقالت: افرشوا له عند الفرث و الدم.

فأبى أن ينام و قال: افرشوا لي فوق التّلعة الحمراء، و اضربوا عليها خباء. ثم أرسلت إليه: هلمّ شريطتي عليك في المسائل الثلاث. فأرسل إليها أن سلي عمّا شئت. فقالت: ممّ تختلج شفتاك قال: لشربي المشعشعات. قالت: فمّم [1]النحي: الزق.

[2]خلوف: غيب.

[3]يقال: قبلت القابلة المرأة إذا تلقت ولدها عند ولادته.

[4]الفرث: السرجين ما دام في الكرش.

[5]الملحاء: لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير.

[6]الصريف: الحليب الحار ساعة يصرف عن الضرع. و الرّثينة: اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته.

يختلج كشحاك، قال: للبسي الحبرات. قالت: فممّ تختلج فخذاك؟ قال: لركضي المطهّمات. فقالت: هذا زوجي لعمرى! فعليكم به، و اقتلوا العبد، فقتلوه. و دخل امرؤ القيس بالجارية. فقال ابن هبيرة: حسبكم! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو؛ و لن تأتينا بأعجب منه فقمنا و انصرفنا. و أمر لي بجائزة.

مفاوضات امرئ القيس و قبائل أسد بعد موت حجر:

نسخت من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه رحمه الله حدّثني الحسن بن سعيد عن أبي عبيدة قال أخبرني سيويه النحويّ أنّ الخليل بن أحمد أخبره قال:

قدم على امرئ القيس بن حجر بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بني أسد كهول و شبّان، فيهم المهاجرين خدّاش ابن عمّ عبيد بن الأبرص، و قبيصة بن نعيم، و كان في بني أسد مقيما و كان ذا بصيرة بمواقع الأمور وردا و إصدارا[1] يعرف ذلك له من كان محيطا بأكناف بلده من العرب. فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم و تقدّم بإكرامهم و الإفضال عليهم، و احتجب عنهم ثلاثا. فسألوا من حضرهم من رجال كندة، /فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السّلاح و العدّة. فقالوا: اللهم غفّرا، إنّما قدمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف و نستدرّك به ما فرط، فليبلغ ذلك عتّا. فخرج عليهم في قباء و خفّ و عمامة سوداء؛ و كانت العرب لا تعتمّ بالسّواد إلّا في التّرات.

فلمّا نظروا إليه قاموا له، و بدر إليه قبيصة: إنك في المحلّ و القدر و المعرفة بتصرّف الدهر و ما تحدّثه أيّامه و تنتقلّ به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ و لا تذكرة مجرّب. و لك من سوّد من صبك و شرف أعراقك و كرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة، و رجوع عن هفوة. و لا تتجاوز الهمم إلى غاية إلّا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي و بصيرة الفهم و كرم الصّفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمّت رزيته نزارا و اليمن، و لم تخصص كندة بذلك دوننا للشّرف البارع. كان لحجر التاج و العمّة فوق الجبين الكريم و إخاء الحمد و طيب الشّيم. و لو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك و لفديناه منه، و لكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه و لا يلحق أقصاه أدناه. فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال: إمّا أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتا، و

أعلاها في بناء المكرمات صوتا، فقدناه إليك بنسعه[2] تذهب مع شفرات حسامك/قصده[3] فيقول رجل: امتحن بهلك عزيز فلم تستلّ سخيمته إلاّ بتمكينه من الانتقام، أو فداء بما يروح من بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القضب إلى أجفانها لم يردده تسليط الإحن على البراء؛ و إما أن/توادعنا حتى تضع الحوامل فنسدل الأزر و نعقد الخمر فوق الرايات.

قال: فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال: لقد علمت العرب أن لا كفاء لحجر في دم، و إني لن أعتاض به جملا أو ناقة فأكتسب بذلك سيّة الأبد و فتّ العضد. و أمّا النظرة[4] فقد أوجبتها الأجنّة في بطون أمّهاتها، و لن أكون لعطيها سببا، و ستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك، تحمل القلوب حنقا و فوق الأسنّة علقا[5] [1] كان ينبغي أن يكون «... بمواقع الأمور إيرادا و إصدارا» أو «... وردا و صدرا» .

[2]النسع: سير مضفور يجعل زماما للبعير و غيره. و في الحديث: «يجر نسعة في عنقه» .

[3]كذا في ج: و القصة: العنق. و في سائر الأصول: «قصيده» و هو تصغير «قصة» و قد ورد في الأصول: هكذا: «تذهب مع شفرات حسامك ثنائي قصيده» . و لم نفهم لكلمة «ثنائي» هاهنا معنى.

[4]النظرة: الإمهال.

[5]العلق: الدم.

إذا جالت الخيل في مآزق # تصافح[1] فيه المنايا النفوسا

أ تقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل ننصرف بأسوا الاختيار، و أبلَى
الاجترار لمكروه و أذية، و حرب و بليّة. ثم نهضوا عنه، و قبيصة يقول متمثلاً:
لعلك أن تستوخم[2] الموت إن غدت # كتائبنا في مآزق الموت تمطر[3]

فقال امرؤ القيس: لا و الله لا أستوخمه، فرويدا ينكشف لك دجاها عن
فرسان كندة و كتائب حمير. و لقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنت نازلاً
بربعي؛ و لكنك قلت فأجبت. فقال قبيصة: ما تتوقّع فوق قدر المعاتبه و
الإعتاب. قال امرؤ القيس: فهو ذاك.

أصوات معبد المعروفة بالقابها و هي خمسة أصوات معبد الخمسة و ألقابها:

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن
أبيه، و أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبة عن
إسحاق، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، و أخبرني
عليّ بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه عن إسحاق: / أن معبدا كان يسمّي
صوته:

هريرة ودّعها و إن لام لائم

الدّوامه لكثرة ما فيه من الترجيع. و يسمّي صوته: عاود القلب من
تذكّر جمل

المنمنم. و يسمّي صوته:

أ من آل ليلى بالملا مترّبّع

معقّصات القرون أي يحرك خصل الشعر. و يسمّي صوته:
[جعل[4] الله جعفرا لك بعلا

المتبختر. و يسمي صوته]:

ضوء برق بدا لعينيك أم شبّت # بذي الأثل من سلامة[4] نار [مقطّع الأنفار[4]].

[1] كذا في ج: و في سائر الأصول: «تدافع» .

[2] استوخم الشيء: لم يستمره.

[3] لعلها «تخطر» .

[4]التكلمة أثبتناها من بيان نسبة الأصوات فيما يأتي ص 132.

نسبة هذه الأصوات و أخبارها

هريرة ودّعها و إن لام لائم # غداة غد أم أنت للبين واجم
لقد كان في حول ثواء ثويته # تقصّي لبانات و يسأم سائم
مبتلة هيفاء رود شبابها # لها مقلنا ريم و أسود فاحم
و وجه نقيّ اللّون صاف يزينه # مع الحلّي لبّات لها و معاصم

الواجم: الساكت المطرق من الحزن، يقال: وجم يجم وجوما. و قوله:
«لقد كان في حول ثواء ثويته» : قال الكوفيون: أراد لقد كان في ثواء حول
ثويته، فجعل ثواء بدلا من حول. و أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام عن
يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب/قول الأعشى: لقد كان في حول
ثواء ثويته

/جدّا و يقول: ما أعرف له معنى و لا وجهها يصحّ. قال أبو خليفة: و أمّا
أبو عبيدة فإنه قال: معناه لقد كان في ثواء حول ثويته. و اللبانات و المارب
و الحوائج و الأوطار واحد. و المبتلة: الحسنة الخلق. و الهيفاء: اللطيفة
الخصر. و الرّئم: الطّبي. و الفاحم: الشديد السواد. و قال: لبّات لها و إنما
لها لبّة واحدة و لكنّ العرب تقول ذلك كثيرا؛ يقال: لها لبّات حسان، يراد
اللّبّة و ما حولها. و المعاصم: موضع الأسورة، و واحدها معصم.

الشعر للأعشى. و الغناء لمعبد، و له فيه لحنان، أحدهما و هو الملقّب
بالدوّامة خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و الآخر
ثقيل عن الهشاميّ و ابن خرداذبه.

5- أخبار الأعشى و نسبه

نسبه و كنيته:

الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دغميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. و يكنى أبا بصير.

لقب أبيه قتيل الجوع:

و كان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع، سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحرّ، فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدّت فم الغار فمات فيه جوعا. فقال فيه جهنّام و اسمه عمرو و هو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوّه و كانا يتهاجيان:

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل # و خالك عبد من جماعة [1] راضع

شاعر جاهلي:

و هو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية و فحولهم و تقدّم على سائرهم، و ليس ذلك بمجمع عليه لا فيه و لا في غيره.

أشعر الناس إذا طرب:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلامّ قال سألت يونس النحوي: من أشعر الناس؟ قال: لا أومئ إلى رجل بعينه و لكني أقول: امرؤ القيس إذا غضب، و النابغة إذا رهب، و زهير إذا رغب، و الأعشى إذا طرب.

قبيلته أشعر القبائل عند حسان:

أخبرني ابن عمّار عن ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد عن ابن سلامّ بمثله.

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصّبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه و أبي مسكين.

/ أن حسانا سئل: من أشعر الناس؟ فقال: أ شاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا: بل قبيلة. قال: الزّرق من بني قيس بن ثعلبة، و هذا حديث يروى أيضا عن غير حسان.

فاخر ابن شفيع بقبيلته بني ثعلبة عبد العزيز بن زرارة:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار عن ابن مهرويه قال حدّثنا عبدة بن عصمة عن فراس بن خندف عن عليّ بن شفيع قال:

[1]خماعة: بطن من العرب سموا باسم خماعة بنت جشم بن ربيعة
بن زيد مناة. و الراضع: اللئيم.

إنني لواقف بسوق حجر[1] إذ أنا برجل من هيئته و حاله عليه مقطعات خُرّ و هو على نجيب مهريّ عليه رحل لم أر قط أحسن منه و هو يقول: من يفاخرني من ينافرني ببني عامر بن صعصعة فرسانا و شعراء و عددا و فعالا؟! قلت:

أنا. قال: بمن؟ قلت: ببني ثعلبة بن عكابة بن صعّب بن عليّ بن بكر بن وائل. فقال: أ ما بلغك أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم نهى عن المنافرة؟ ثم ولى هاربا. قلت: من هذا؟ قيل: عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان الكلابيّ.

هو صنّاجة العرب:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا/عمر بن شبّه قال:

قال أبو عبيدة: من قدّم الأعشى يحتجّ بكثرة طواله الجياد و تصرفه في المديح و الهجاء و سائر فنون الشعر، و ليس ذلك لغيره. و يقال: هو أوّل من سأل بشعره، و انتجع به أقاصي البلاد. و كان يغنى في شعره، فكانت العرب تسمّيه صنّاجة العرب.

أخبرني المهلبيّ و الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّه قال: سمعت خلاداً الأرقط يقول سمعت خلفاً الأحمر يقول:

لا يعرف من أشعر الناس كما لا يعرف من أشجع الناس و لا من كذا و لا من كذا، لأشياء ذكرها خلف و نسيتها أنا. أبو زيد عمر بن شبّه يقول هذا.

كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف قال حدّثني عمّي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقدّم الأعشى.

سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره:
و قا هشام بن الكلبيّ أخبرني أبو قبيصة المجاشعيّ أن مروان بن أبي حفصة سئل: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

كلا أبويكم كان فرع دعامة # و لكنهم زادوا و أصبحت ناقصا

يعني الأعشى.

قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك:
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثني عمّي قال قال سلمة بن
نجاح أخبرني يحيى بن سليم الكاتب قال:

بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة [2] إلى حمّاد الراوية أسأله عن
أشعر الشعراء. قال: فأتيت باب حمّاد فاستأذنت و قلت: يا غلام! فأجابني
إنسان من أقصى بيت في الدار فقال: من أنت؟ فقلت: يحيى بن سليم
رسول [1] حجر: مدينة باليمامة.

[2] لعل الأصل: «بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين إلى حماد الراوية
بالكوفة... إلخ» .

أمير المؤمنين. قال: ادخل رحمك الله! فدخلت أتسمت [1] الصوت حتى وقفت على باب البيت، فإذا حمّاد عريان على فرجه دستجة [2] شاهسفرم. فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم! ذلك الأعشى صنّاجها.

أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال سمعت أبا عبيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: عليكم بشعر الأعشى، فإني شبّهته بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكركي.

وضعه جني في المرتبة الثالثة بعد امرئ القيس و طرفة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال سمعت أبا عبيدة يقول: بلغني أن رجلا من أهل البصرة حجّ - و روى هذا الحديث ابن الكلبي عن شعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النهوي عن رجل من أهل البصرة أنه حجّ - قال فإني لأسير في ليلة إضحيانة [3] إذ نظرت إلى رجل شابّ راكب على ظليم قد زمه بخطامه و هو يذهب عليه و يجيء، و هو يرتجز و يقول: هل يبلغنيهم إلى الصّباح # هقل [4] كأن رأسه جمّاح

الجمّاح: أطراف النبت الذي يسمى الحلّي و هو سنبله، إلا أنه ليس بخشن [5] يشبه أذنان الثعالب [6]. قال: و الجمّاح أيضا سهيم يلعب به الصّبيان يجعلون مكان زجه طينا - قال: فعلمت أنه ليس بإنسي، فاستوحشت منه.

فتردّد عليّ ذاهبا و راجعا حتى أنست به؛ فقلت: من أشعر الناس يا هذا؟ قال: الذي يقول: و ما ذرفت عيناك إلا لتضربي # بسهميك في أعشار قلب مقلّ

قلت: و من هو؟ قال: امرؤ القيس. قلت: فمن الثاني؟ قال: الذي يقول: تطرد القرّ بحرّ ساخن # و عكيك [7] القيظ إن جاء بقرّ

/قلت: و من يقوله؟ قال: طرفة. قلت: و من الثالث؟ قال: الذي يقول: و تبرد برد رداء العرو # س بالصّيف رقرقت [8] فيه العبير

قلت: و من يقوله؟ قال: الأعشى، ثم ذهب به.

[1] تسمت الشيء: قصد نحوه.

[2] كذا في أو «شفاء الغليل» . و الدستجة: الحزمة و الشاهسفرم: نوع من الريحان يقال له الريحان السلطاني. ، فارسي معرب. و في سائر الأصول: «دستجة شاهسفره» و هو تحريف.

[3] ليلة إضحيانة: مضيئة.

[4] الهقل: الفتى من النعام.

[5] في الأصول: «بحسن» و هو تصحيف.

[6] ذنب الثعلب: نبات على هيئة أذنان الثعالب.

[7] العكك: صفة من العك أو العكك و هو شدة الحر في سكون الريح. و ورد البيت في «اللسان» و فيه لفظة «صادق» بدل «ساخن» .

يصف جارية بأنها تطرد عن ملتزمها شدة برد الشتاء بحرارتها، و تطرد عنه شدة قيظ الصيف بطراوتها.

[8] رقرق الطيب في الثوب: أجره فيه.

هو أستاذ الشعراء في الجاهلية و جرير أستاذهم في الإسلام:
 أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني أبو عدنان قال و قال
 لي يحيى بن الجون العبديّ راوية بشّار: نحن حاكة الشّعْر في الجاهليّة و
 الإسلام و نحن أعلم الناس به، أعشى بني قيس بن ثعلبة أستاذ الشعراء في
 الجاهليّة.

و جرير بن الخطفى أستاذهم في الإسلام.

حديث الشعبي عنه:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال: قال
 الشّعبيّ: الأعشى أغزل الناس في بيت، و أخت الناس في بيت، و أشجع
 الناس في بيت. فأما أغزل بيت فقولهُ: غرّاء فرعاء مصقول عوارضها #
 تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل [1]

و أمّا أخت بيت فقولهُ:

قالت هريرة لما جئت زائرها # ويلي عليك و ويلي منك يا رجل

و أمّا أشجع بيت فقولهُ:

قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا # أو تنزلون فإننا معشر نزل

حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجيب من شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال
 ذكر الهيثم بن عديّ أن حمّادا الراوية سئل عن أشعر العرب، قال الذي
 يقول: نازعتهم قصب الرّيحان متّكئا # و قهوة مرّة [2] راووقها خضل

كان قدريا و كان لبيد مثبتا:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أبو عليّ العنزّيّ قال
 حدّثني محمد بن معاوية الأسديّ قال حدّثني رجل عن أبان بن تغلب عن
 سماك بن حرب قال قال لي يحيى بن مئى راوية الأعشى و كان نصرانيّا
 عباديّا و كان معمرًا قال: /كان الأعشى قدريّا [3] و كان لبيد مثبتا. قال لبيد:

من هداه سبل الخير اهتدى # ناعم البال و من شاء أضلّ

و قال الأعشى.

استأثر الله بالوفاء و بال # عدل و ولى الملامة الرّجلا

[1]الوجي: وصف من الوجي، و هو أن يجد ألما في رجليه عند المشي.
و الوحل: الماشي في الوحل.

[2]المزة و المزاء: التي فيها مزازة. و الراووق: الباطية، أي إناء
الخمير. و استعمال الراووق في الباطية قليل، و المعروف أن الراووق
المصفاة التي ترؤق و تصفى فيها الخمر. و الخضل: الدائم الندى.

[3]القدرية: جاحد و القدر أي ينكرون أن الله قدير على عباده الشر، و
هو ما ذهب إليه فرقة من المسلمين يقال لهم المعتزلة.

قلت: فمن أين أخذ الأعشى مذهبه؟ قال: من قبل العباديين نصارى الحيرة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك.

هريرة عشيقته:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شراعة في مجلس الرياشي قال حدثنا مشايخ بني قيس بن ثعلبة قالوا: كانت هريرة التي يشبب بها الأعشى أمة سوداء لحسان بن عمرو بن مرثد.

و أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن فراس بن الخندف قال: كانت هريرة و خليدة أختين قينتين كانتا لبشر بن عمرو بن مرثد، و كانتا تغنيانه التّصب [1]، و قدم بهما اليمامة لما هرب من التّعمان. قال ابن دريد فأخبرني عمي عن ابن الكلبي بمثل ذلك.

مدح المحلق الكلابي و ذكر بناته فتزوّجن:

و أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن الرياشي مما أجاز له عن العتبي عن رجل من قيس عيلان قال: كان/الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة، و كان المحلق الكلابي مثنائا [2] مملقا. فقالت له امرأته: يا أبا كلاب، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر! فما رأيت أحدا اقتطعه إلى نفسه إلا و أكسبه خيرا. قال: وبحك! ما عندي إلا ناقتي و عليها الحمل!. قالت: الله يخلفها عليك. قال: فهل له بدّ من الشّراب و المسوح [3]؟ قالت: إنّ عندي ذخيرة لي و لعلي أن أجمعها. قال: فتلقاه قبل أن يسبق إليه أحد و ابنه يقوده فأخذ الخطام؛ فقال الأعشي: من هذا الذي غلبنا على خطامنا؟ قال: المحلق. قال: شريف كريم، ثم سلمه إليه فأناخه؛ فنحر له ناقتة و كشط له عن سنامها و كبدها، ثم سقاه، و أحاطت بناته به يغمزنه و يمسحنه. فقال: ما هذه الجواري حولي؟ قال: بنات أخيك و هنّ ثمان شريدتهن قليلة. قال: و خرج من عنده و لم يقل فيه شيئا. فلما وافى سوق عكاظ إذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها و إذا الأعشى ينشدهم.

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة # إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشبب لمقرورين يصطليانها # و بات على النار التّدى و المحلق

رضيعي لبان ثدي أمّ تحالفا # بأسحم [4] داج عوض لا تنفّر

فسلم عليه المحلق؛ فقال له: مرحبا يا سيدي بسيّد قومه. و نادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مذكّار [5] يزوّج ابنه إلى الشريف الكريم!. قال: فما

قام من مقعده و فيهنّ مخطوبة إلا و قد زوّجها. و في أول القصيدة عناء و هو: [1]النصب: ضرب من أغاني العرب شبيه بالحداء.

[2]المثناة: الذي اعتاد أن يلد الإناث.

[3]المسوح: جمع مسح و هو كساء من شعر كثوب الرهبان.

[4]بأسحم داخ: قيل المراد به الليل، و قيل سواد حلمة الثدي، و قيل الرحم. و عوض: أبدا. يقول: هو و الندى رضعا من ثدي واحد و تحالفا ألا يتفرّقا أبدا. (راجع «لسان العرب» مادة عوض) .

[5]المذكارة: الذي اعتاد أن يلد الذكور.

صوت

أرقت و ما هذا السَّهَاد المؤرَّق # و ما بي من سقم و ما بي معشق
و لكن أراني لا أزال بحدث # أغادى بما لم يمس عندي و أطرق

/غناه ابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن
إسحاق. و فيه لحن ليونس من كتابه غير مجسّس.
و فيه لابن سريج ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق و
عمرو.

اسم المحلق الكلابي و سبب كنيته و سبب اتصاله بالأعشى:
أخبرني أبو العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله عن ابن حبيب
عن ابن الأعرابيّ عن المفصّل قال:

اسم المحلق عبد العزّي [1] بن حنتم بن شدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن
عبيد و هو أبو بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. و إنما سمّي
محلّقاً لأن حصانا له عصّه في وجنته فحلّق فيه حلقة.

قال: و أنشد الأعشى قصيدته هذه [كسرى 2] ففسّرت له؛ فلما سمعها
قال: إن كان هذا سهر لغير سقم و لا عشق فما هو إلا لصّ.

و ذكر عليّ بن محمد التّوفليّ في خبر المحلق مع الأعشى غير هذه
الحكايات، و زعم أن أباه حدّثه عن بعض الكلابيين من أهل البادية قال:

كان لأبي المحلق شرف فمات و قد أتلف ماله، و بقي المحلق و ثلاث
أخوات له و لم يترك لهم إلا ناقة واحدة و حلّتي برود حبرة كان يشهد فيهما
الحقوق [3]. فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة، فنزل
الماء الذي به المحلق، فقراه أهل الماء فأحسنوا قراه. فأقبلت عمّة المحلق
فقال: يا ابن أخي! هذا الأعشى قد نزل بمائنا و قد قراه أهل الماء، و
العرب تزعم أنه لم يمدح قوما إلا رفعهم، / و لم يهج قوما إلا وضعهم؛ فانظر
ما أقول لك و احتل في زقّ من خمر من عند بعض التّجار فأرسل إليه بهذه
الناقة و الزّقّ و بردي أبيك؛ فو الله لئن اعتلج الكبد و السّنام و الخمر في
جوفه و نظر إلى عطفه في البردين، ليقولنّ فيك شعرا يرفعك به. قال: ما
أملك غير هذه الناقة، و أنا أتوقّع رسلها [4]. فأقبل يدخل و يخرج و يهّمّ و لا
يفعل؛ فكلما دخل على عمّته حصّته؛ حتى دخل عليها فقال:

قد ارتحل الرجل و مضى. قالت: الآن و الله أحسن ما كان القرى! تتبعه ذلك مع غلام أبيك-مولى له أسود شيخ- فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائبا عن الماء عند نزوله إياه، و أنك لَمَّا وردت الماء فعلمت أنه كان به كرهت أن يفوتك قراه؛ فإنَّ هذا أحسن لموقعه عنده. فلم تزل تحصّه حتى أتى بعض التّجار فكلّمه أن يقرضه ثمن زقّ خمر و أتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجّه بالناقة و الخمر و البردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مرّ بماء قيل:

ارتحل أمس عنه، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدّة من الفتيان قد غدّاهم بغير لحم [1] في الأصول: «عبد العزيز بن خيثم». و التصويب عن شرح «القاموس» (مادة حلق و حنتم) .

[2] تكملة عن «كتاب الشعر و الشعراء» .

[3] كذا في «تجريد الأغاني» . و في الأصول: «إلا ناقة واحدة و حلتي برود جيدة كان يسدّ بها الحقوق» و هو تحريف.

[4] الرسل: اللبن.

و صبّ لهم فضيخا[1] فهم يشربون منه، إذ قرع الباب فقال: انظروا من هذا؟ فخرجوا فإذا رسول المحلق يقول كذا و كذا. فدخلوا عليه و قالوا: هذا رسول المحلق الكلابي أتاك بكيت و كيت. فقال: ويحكم! أعرابي و الذي أرسل إليّ لا قدر له! و الله لئن اعتلج الكبد و السنّام و الخمر في جوفي لأقولنّ فيه شعرا لم أقل قط مثله. فواتبه الفتیان و قالوا: غبت عتّا فأطلت الغيبة ثم أتيناك فلم تطعمنا لحما و سقينا الفضيخ و اللحم و الخمر ببابك، لا نرضى بدا منك. فقال: ائذنوا له؛ فدخل فأدّى الرسالة و قد أناخ الجزور بالباب و وضع الزقّ و البردين بين يديه. قال: أقره السلام و قل له: وصلتك رحم، سيأتيك ثناؤنا. / و قام الفتیان إلى الجزور فنحروها و شقّوا خاصرتها عن كبدها و جلدها عن سنامها ثم جاءوا بهما، فأقبلوا يشوون، و صبّوا الخمر فاشربوا، و أكل معهم و شرب و لبس البردين و نظر إلى عطفيه فيهما فأنشأ يقول: أرقّت و ما هذا السهاد المؤرّق

حتى انتهى إلى قوله:

أيا مسمع سار الذي قد فعلتم # فأنجد أقوام به ثم أعرقوا[2]

هب تعقد الأحمال في كلّ منزل # و تعقد أطراف الحبال و تطلق[3]

قال: فسار الشّعير و شاع في العرب. فما أتت على المحلق سنة حتى زوّج أخواته الثلاث كلّ واحدة على مائة ناقة، فأيسر و شرف.

و ذكر الهيثم بن عدّي عن حمّاد الراوية عن معقل عن أبي بكر الهلاليّ قال: خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيس بن معد يكرب، فمرّ ببني كلاب، فأصابه مطر في ليلة ظلماء، فأوى إلى فتى من بني بكر بن كلاب، فبصر به المحلق و هو [عبد العزّي بن] حنتم بن شدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب و هو يومئذ غلام له ذؤابة، فأتى أمّه فقال: يا أمّه! رأيت رجلا أخلق به أن يكسبنا مجدا. قالت: و ما تريد يا بنيّ؟ قال: نضيفه الليلة. فأعطته جلبابها فاشترى به عشيرا[4] من جزور و خمرا؛ فأتى الأعشى، فأخذه/إليه، فطعم و شرب و اصطلّى، ثم اصطح فقال فيه: /

أرقّت و ما هذا السهاد المؤرّق

و الرواية الأولى أصحّ.

سألته امرأة أن يشيب بناتها فشب بهنّ فرؤجهنّ:

أخبرني أحمد بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن نعيم قال حدّثنا قعنب بن المحرز عن الأصمعيّ قال حدّثني رجل قال: [1]الفضيخ: شراب يتخذ من

بسر مفضوخ و هو أن يجعل التمر في إناء ثم يصب الماء الحار عليه حتى
تستخرج حلاوته.

[2]أعرقوا: أتوا العراق.

[3]الرواية في «تجريد الأغاني» :

به توضع الأحلاس في كل منزل # و تعقد أطراف النسوع و تطلق

و الأحلاس: جمع حلس و هو كل شيء ولي ظهر الدابة و البعير تحت
الرحل و السرج و القتب.

[4]العشير: جزء من عشرة أجزاء كالعشر.

جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إن لي بنات قد كسدن عليّ، فشَبَّبَ بواحدة منهنّ لعلها أن تنفق. فشَبَّبَ بواحدة منهنّ، فما شعر الأعشى إلا بجزور[1] قد بعث به إليه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: زوّجت فلانة. فشَبَّبَ بالأخرى فأتاه مثل ذلك، فسأل عنها فقيل: زوّجت. فما زال يشَبَّبَ بواحدة فواحدة منهنّ حتى زوّجن جميعاً.

أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموأل:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن أبي سعيد الأمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال: هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال:

بنو الشهر الحرام فليست منهم # و لست من الكرام بني عبيد

و لا من رهط جبار بن قرط # و لا من رهط حارثة بن زيد

-قال: و هؤلاء كلّهم من كلب-فقال الكلبيّ: لا أبا لك! أنا أشرف من هؤلاء. قال: فسبّه الناس بعد بهجاء الأعشى إيّاه، و كان متغيّظاً عليه. فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسر منهم نفراً و أسر الأعشى و هو لا يعرفه، ثم جاء حتى نزل بشريح بن السموأل بن عادياء الغسانيّ صاحب تيماء بحصنه الذي يقال له الأبلق. فمرّ شريح بالأعشى؛ فناداه الأعشى: /

شريح لا تتركني بعد ما علقت # حبالك اليوم بعد القدّ أظفاري

قد جلت ما بين بانقيا[2] إلى عدن # و طال في العجم تردادي و تسياري

فكان أكرمهم عهداً و أوثقهم # مجدا أبوك بعرف غير إنكار

كالغيث ما استمطروه جاد وابله # و في الشدائد كالمستأسد الضاري

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به # في جحفل كهزيع الليل جرّار

إذ سامه خطّتي خسف فقال له # قل ما تشاء فإني سامع حار[3]

فقال غدر و ثكل أنت بينهما # فاختر و ما فيهما حظّ لمختار

فشكّ غير طويل ثم قال له # اقتل أسيرك إني مانع جاري

و سوف يعقبنيه إن ظفرت به # ربّ كريم و بيض ذات أطهار

لا سرّهنّ لدينا ذاهب هدرا # و حافظات إذا استودعن أسراري

فاختار أدراعه كي لا يسبّ بها # و لم يكن وعده فيها بختار

-قال: و كان امرؤ القيس بن حجر أودع السمؤال بن عادياء أذراعا
مائة، فأتاه الحارث بن ظالم-و يقال الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ-ليأخذها
منه، فتحصّن منه السمؤال؛ فأخذ الحارث ابنا له غلاما و كان في الصيد،
فقال: إمّا أنّ [1]الجزور يقع على الذكر و الأنثى.

[2]بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة.

[3]حار أي يا حارث.

سَلَّمَت الأَدْرَاعَ إِلَيَّ وَ إِمَّا أَنْ قَتَلْتَ ابْنَكَ. فَأَبَى السَّمْوَالُ أَنْ يَسْلَمَ إِلَيْهِ الأَدْرَاعُ؛ فَضَرَبَ الحَارِثُ وَسَطَ الغَلامِ بِالسَّيْفِ فَقطَعَهُ قِطْعَتَيْنِ، فيقال: إن جَريراً حين قال للفرزدق: بسيف أبي رغوان [1] سيف مجاشع # ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم

/إنما عني هذه الضربة. فقال السموأل في ذلك:

وفيت بدمّة الكنديّ إنّي # إذا ما ذمّ أقوام وفيت

/و أوصى عاديا يوما بأن لا # تهذم يا سموأل ما بنيت

بنى لي عاديا حصنا حصينا # و ماء كلّمّا شئت استقيت

قال: فجاء شريح إلى الكلبيّ فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور. فقال: هو لك، فأطلقه. و قال: أقم عندي حتى أكرمك و أحبك. فقال له الأعشى: إنّ من تمام صنيعتك أن تعطيني ناقة نجيبة و تخليني الساعة. قال: فأعطاه ناقة فركبها و مضى من ساعته. و بلغ الكلبيّ أنّ الذي وهب لشريح هو الأعشى. فأرسل إلى شريح: ابعث إلى الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه و أعطيه. فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيّ في أثره فلم يلحقه.

مدح عامر بن الطفيل و هجا علقمة بن علاثة:

حدّثنا ابن علاثة عن محمد العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأمويّ عن محمد بن السائب قال: أتى الأعشى الأسود العنسيّ [2] و قد امتدحه فاستبطأ جائزته. فقال الأسود: ليس عندنا عين و لكن نعطيك عرضاً، فأعطاه خمسمائة مثقال دهنًا و بخمسمائة حلاً و عنبراً. فلما مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه، فأتى علقمة [3] بن علاثة فقال له: أجرني، فقال: قد أجرتك. قال: من الجنّ و الإنس؟ قال نعم. قال: و من الموت؟ قال لا. فأتى عامر بن الطفيل فقال: أجرني، قد أجرتك. قال: من الجنّ و الإنس؟ قال نعم. قال: و من الموت؟ قال نعم. قال: و كيف تجيرني من الموت؟ قال: إن متّ و أنت في جوارى بعثت إلى أهلك الدّية. فقال: الآن علمت أنك قد أجرنتني من الموت. فمدح عامراً و هجا علقمة. فقال علقمة: لو علمت الذي أراد كنت أعطيته إيّاه.

قال الكلبيّ: و لم يهج علقمة بشيء أشدّ عليه من قوله:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم # و جاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فرفع علقمة يديه و قال: لعنه الله! إن كان كاذباً! نحن نفعل هذا
بجاراتنا! و أخبار الأعشى و علقمة و عامر تأتي مشروحة في خبر منافرتهما
إن شاء الله تعالى.

[1] أبو رغوان: لقب مجاشع، و هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة.

[2] هو عبهلة بن كعب بن غوث يلقب ذا الخمار، خرج بعد حجة الوداع
في عامّة مذحج و ادّعى النبوة و كان كاهناً شعباداً (مشعوذاً) و كان يريهم
الأعاجيب و يسبي قلوب من سمع منطقته، قتله فيروز و داذويه و قيس
غيلة. (انظر «تاريخ الطبري» ق 1 ص 1795-1798، 1853-1870).

[3] هو علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، أسلم
في عهد النبي صلى الله عليه و سلم ثم ارتد بعد فتح الطائف و خرج حتى
لحق بالشام ثم أسلم أيام أبي بكر رضي الله عنه. (الطبري ق 1 ص
1899-1900).

تزوّج امرأة من عنزة ثم طلقها و قال فيها شعرا:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله قال حدّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل و غيره من أصحابه: أنّ الأعرابيّ تزوّج امرأة من عنزة ثم من هزان-قال: و عنزة هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار- فلم يرضها و لم يستحسن خلقها، فطلقها و قال فيها: بيني حصان الفرج غير ذميمة # و موموقة فينا كذاك و وامقه

و ذوقي فتى قوم فإني ذائق # فتاة أناس مثل ما أنت ذائقه
لقد كان في فتیان قومك منكج # و شبّان هزان الطوال الغرائقه
فبيني فإنّ البين خير من العصا # و إلاّ تري لي فوق رأسك بارقه
و ما ذاك عندي أن تكوني دنيئة # و لا أن تكوني جئت عندي بيائقه
و يا جارتا بيني فإنيك طالقه # كذاك أمور الناس غاد و طارقه

/أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا الحسين بن إبراهيم بن الحرّ قال حدّثنا المبارك بن سعيد عن سفيان الثوريّ قال: /طلاق الجاهلية طلاق. كانت عند الأعرابيّ امرأة فأتاها قومها فضربوه و قالوا: طلقها فقال: أيا جارتا بيني فإنيك طالقه # كذاك أمور الناس غاد و طارقه

و ذكر باقي الأبيات مثل ما تقدّم.

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدّثنا عثمان البرقيّ في إسناد له قال: أخذ قوم الأعرابيّ فقالوا له: طلق امرأتك؛ فقال:

أيا جارتا بيني فإنيك طالقه # كذاك أمور الناس غاد و طارقه

ثم ذكر نحو الخبر الذي قبله على ما قدّمناه.

في هذه الأبيات غناء نسبته:

صوت

فبيني فإنّ البين خير من العصا # و إلاّ تري لي فوق رأسك بارقه
و ما ذاك عندي أن تكوني دنيئة # و لا أن تكوني جئت عندي بيائقه
و يا جارتا بيني فإنيك طالقه # كذاك أمور الناس غاد و طارقه

الشعر للأعشى. و الغناء للهذليّ خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر
عن إسحاق.

و فيه لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ. قال الهشاميّ: و فيه
لفليح خفيف ثقيل بالوسطى لا يشكّ فيه من غنائه. و ذكر حبش أن الثقيل
الثاني لابن سريج و ذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنّ الخفيف الثاني
المنسوب إلى

فليح لأبيه عبد الله بن طاهر. و هذا الصوت يعنى في هذا الزمان على ما سمعناه: أيا جارتا دومي فإنك صادق # و موموقة فينا كذاك و وامقه /و لم نفترق أن كنت فينا دنيئة # و لا أن تكوني جئت عندي ببائقه و أحسبه غير في دور الطاهريّة على هذا.

فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره:
أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني سوّار بن أبي شراة قال حدّثني أبي عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان و قد شرب خمرا و تضمّخ بلخالخ[1] و خلوق و عنده الشّعبيّ. فلما رآه قال: يا شعبيّ، ناك الأخطل أمّهات الشعراء جميعا. فقال له الشعبيّ: بأيّ شيء؟ قال حين يقول: و تطلّ تنصفنا[2] بها قروبة # إبريقها برقاعه[3] ملثوم

فإذا تعاورت الأكفّ زجاجها # نفحت فشمّ رياحها المزكوم

فقال الأخطل[4] سمعت بمثل هذا يا شعبيّ؟! قال: إن أمنتك قلت لك. قال: أنت آمن. فقلت له: أشعر و الله منك الذي يقول: و أدكن[5] عاتق رجل رحل # صبحت براحه شربا كراما

من اللائي حملن على المطايا # كريح المسك تستلّ الرّكاما

/فقال الأخطل: ويحك! و من يقول هذا؟ قلت: الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة. فقال: قدّوس قدّوس! ناك الأعشى أمّهات الشعراء جميعا و حقّ الصليب!.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة و الهيثم بن عديّ، و حدّثني الصّوليّ قال حدّثني الغلابيّ عن العتبيّ عن أبيه، و ذكر/هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الصّببيّ، قالوا جميعا: قدم الأخطل الكوفة، فأتاه الشعبيّ يسمع من شعره. قال: فوجدته يتغديّ، فدعاني أتغديّ فأتيته، فوضع الشراب فدعاني إليه فأتيته. فقال ما حاجتك؟ قلت: أحبّ أن أسمع من شعرك، فأنشدني قوله: صرمت أمانة حبلنا و رعوم

حتى انتهى إلى قوله:

[1]لخالخ: جمع لخلخة و هي ضرب من الطيب.

[2]تنصفنا: تخدمنا.

[3]في «ديوان الأخطل» : «برقاعها» .

[4]السياق مستغن عنها.

[5]الأدكن: الضارب إلى السواد. و العاتق: القديم. و الجحل (بالفتح و تقديم الجيم على الحاء) : السقاء الواسع و قد وردت هذه الكلمة في الأصول بتقديم الحاء على الجيم و هو تصحيف. و الريحل: الضخم.

فإذا تعاورت الأكفّ ختامها # نفحت فشمّ رياحها المزكوم

فقال: يا شعبيّ، ناك الأخطل أمّهات الشعراء بهذا البيت. قلت: الأعشى أشعر منك يا أبا مالك. قال: وكيف؟ قلت: لأنه قال:

من خمر عانة قد أتى لختامها # حول تسلّ غمامة[1]المزكوم

فضرب بالكأس الأرض و قال: هو و المسيح أشعر منّي! ناك و الله الأعشى أمّهات الشعراء إلاّ أنا.

مدح سلامة ذا فائش فأجاره:

حدّثني وكيع قال حدّثني محمد بن إسحاق المعولّي عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الرواية عن سماك بن حرب قال: قال الأعشى:

أتيت سلامة[2] ذا فائش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه،
فأنشدته: /

إنّ محلاً و إن مرتحلاً # و إنّ في السّفر من مضى مهلاً[3]

استأثر الله بالوفاء و بال # عدل و ولى الملامة الرجل

الشعر قلّده سلامة ذا # فائش و الشيء حيث ما جعل

فقال: صدقت، الشيء حيث ما جعل، و أمر لي بمائة من الإبل و كساني حلاً و أعطاني كرشاً مذبوغة مملووة عنبراً و قال: إياك أن تخدع عما فيها. فأتيت الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء.

أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته قريش بجائزة فعثر به

بعيره فمات:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبة قال قال هشام بن القاسم الغنويّ و كان علامة بأمر الأعشى: إنه وفد إلى النبيّ صلى الله عليه و سلم و قد مدحه بقصيدته التي أولها: أ لم تغتمض عيناك ليلة أرمدا # و عادك ما عاد السّليم المسهدا[4]

و ما ذاك من عشق النساء و إنما # تناسيت قبل اليوم خلّة مههدا[5]

و فيها يقول لناقته:

[1]الغمام: كزكام وزنا و معنى.

[2] هو سلامة بن يزيد بن مرة اليحصبي أحد ملوك اليمن، و قد مدحه الأعشى. و قال هشام بن محمد الكلبي: الأعشى مدح سلامة الأصغر و هو سلامة بن يزيد بن سلامة ذي فائش. (راجع «القاموس» و «شرحه» مادة فيش).

[3]رواية تلخيص المفتاح التي كتب عليها شارحوه: «و إن في السفر اذ مضوا مهلا». و المحل و المرتحل مصدران ميميان، و الخبر محذوف. أي إن لنا في الدنيا حلولا و إن لنا عنها ارتحالا. و السفر: اسم جمع بمعنى مسافر. و المهمل (بفتح الميم و الهاء) : مصدر بمعنى الإمهال و طول الغيبة.

[4]في «السيرة لابن هشام» : (ج 1 ص 55 طبع أوربا) «و بت كما بات السليم مسهدا» .

[5]مهدد: معشوقة الأعشى.

فأليت لا أرثي لها من كلاله # و لا من حفا حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون و ذكره # أغار لعمرى في البلاد و أنجدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم # تراحي و تلقي من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشا فرصدوه على طريقه و قالوا: هذا صنّاجة العرب، ما مدح أحدا قط/إلا رفع في قدره: فلما ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بصير؟ قال: أردت صاحبكم هذا لأسلم، قالوا: إنه ينهاك عن خلال و يحرمها عليك، و كلها بك رافق و لك موافق. قال: و ما هنّ؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الزّنا: قال: لقد تركني الزّنا و مما تركته؛ ثم ما ذا؟ قال: القمار. قال: لعلني إن لقيته أن أصيب منه عوضا من القمار؛ ثم ما ذا؟ قالوا: الزّبا.

قال: ما دنت و لا ادّنت؛ ثم ما ذا؟ قالوا: الخمر. قال: أوّه! أرجع إلى صباة قد بقيت لي في المهراس[1] فأشربها.

فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ قال: و ما هو؟ قال: نحن و هو الآن في هدنة، فتأخذ مائة من الإبل و ترجع إلى بلدك سنتك هذه و تنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا، و إن ظهر علينا أتيت. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى! و الله لئن أتى محمدا و اتبعه ليضر منّ عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا؛ فأخذها و انطلق إلى بلده. فلما كان بقاع منفوحة[2] رمى به بغيره فقتله.

قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال. قبر الأعشى بمنفوحة و أنا رأيت؛ فإذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده و صبّوا عنده فضلات الأقداح.

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا عليّ بن سليمان التّوفلي قال حدّثنا أبي قال: أتيت اليمامة واليا عليها، فمررت بمنفوحة و هي منزل الأعشى التي يقول فيها: بشطّ منفوحة فالحاجر

فقلت: أ هذه قرية الأعشى؟ قالوا نعم. فقلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك و أشاروا إليه. قلت: فأين قبره؟ قالوا: بفناء بيته. فعدلت إليه بالجيش/فانتهيت إلى قبره فإذا هو رطب. فقلت: مالي أراه رطبا؟ فقالوا: إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار إليه القدح صبّوه عليه لقوله: «أرجع إلى اليمامة فأشبع من الأطيبين الزنا و الخمر» .

صوت معبد المسمى بالدوامة في شعره:

و أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك
الزيّات قال حدّثنا الأطروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه: أنّ ابن عائشة
غنى يوما:

هريرة ودّعها و إن لام لائم

[1]المهراس: حجر منقور يسع كثيرا من الماء.

[2]منفوحة: قرية مشهورة من نواحي اليمامة.

فأعجبتة نفسه و رآه ينظر في أعطافه. فقليل له: لقد أصبحت اليوم
تائها! فقال: و ما يمنعني من ذلك و قد أخذت عن أبي عبّاد معبد أحد عشر
صوتا منها: هريرة و دّعها و إن لام لائم
و أبو عبّاد مغنّي أهل المدينة و إمامهم!.

قال: و كان معبد يقول و الله لقد صنعت صوتا لا يقدر أن يغنّيه شبعان
ممتلئ، و لا يقدر متكئ على أن يغنّيه حتى يجثو، و لا قائم حتى يقعد. قيل:
و ما هو يا أبا عبّاد؟ قال إسحاق فأخبرني بذاك محمد بن سلام الجمحيّ أنه
بلغه أن معبدا قاله. و أخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال
حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: قال معبد: و
الله لأغنين صوتا لا يغنّيه مهموم و لا شبعان و لا حامل حمل، ثم غنّي: و لقد
قلت و الضم # ير كثير البلابل

ليت شعري تمّيا # و المنى غير طائل

هل رسول مبلغ # فيؤدّي رسائلي

لحن معبد هذا خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق و
يونس. و فيه ثقيل أوّل ينسب إليه أيضا، و يقال: إنه لأهل مكة.

صوت معبد المسمى بالمنمنم:

و منها الصوت المسمّى بالمنمنم.

صوت

هاج ذا القلب من تذكّر جمل # ما يهيج [1] المتيمّ المحزونا

إذا تراءت على البلاط فلما # واجهتنا كالشمس تعشي العيونا

ليلة السبت إذ نظرت إليها # نظرة زادت الفؤاد جنونا

الشعر لإسماعيل بن يسار. و الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى. و فيه
لدحمان ثاني ثقيل بالنصر، ذكر الهشاميّ أنّه لا يشكّ فيه من غنائه. و قد
مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستغني عن إعادتها
هاهنا.

صوت

صوت معبد المسمى بمعقصات القرون:

آمن آل ليلي بالملا مترّج # كما لاح وشم في الذراع مرّج

سأُتبع ليلي حيث سارت و خيَّمت # و ما الناس إلَّا ألف و موذّع

الشعر لعمر و بن سعيد بن زيد، و قيل: إنه للمجنون و إنّ مع هذين البيتين آخر و هي: [1] في الأصول: «ما يهيم المتيم المحزوناً». و هو لا يستقيم لغة. و ورد في صدر البيت مما يرجح ما أثبتناه.

وقفت لليلى بعد عشرين حجة # بمنزلة فانهلت العين تدمع
 فأمرض قلبي حبها و طلابها # فيا آل ليلى دعوة كيف أصنع
 سأتبع ليلى حيث حلّت و خيّمّت # و ما الناس إلا آلف و موذّع
 كأنّ زماما في الفؤاد معلقا # تقود به حيث استمرت و أتبع

/و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى. و قد
 ذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول إلى معبد و أنه مما
 يشبه غناءه. و ذكر ابن الكلبي عن محمد بن يزيد أن معبدا أخذ لحن سائب
 خائر في: أ فاطم مهلا بعض هذا التدلل

فغنى فيه:

أ من آل ليلى بالملا مترّج

6- نسب عمرو بن [1] سعيد بن زيد و أخباره

نسبه، و شيء عن أبيه سعيد بن زيد:

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح [2] بن عبد الله بن قرط [3] بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب. و سعيد بن زيد يكنى أبا الأعور، و هو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم على حراء فرجف بهم، فقال: «أثبت حراء [4] فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» .

معبد و ابن عائشة في حضرة الوليد بن يزيد:

أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني الهيثم بن سفيان عن أبي مسكين قال:

جلس الوليد بن يزيد يوما للمغنين و كانوا متوافرين عنده و فيهم معبد و ابن عائشة؛ فقال لابن عائشة: يا محمد. قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: إني قد قلت شعرا فغنّ فيه. قال و ما هو؟ فأنشده إياه، و ترنم به محمد ثم غناه فأحسن، و هو:

صوت

عللاني و اسقياني # من شراب أصبهاني

من شراب الشيخ كسرى # أو شراب القيروان

إنّ في الكأس لمسكا # أو بكفي من سقاني

أو لقد غودر فيها # حين صبّت في الدنان

كللاني توجاني # و بشعري غياني

[1] لم يورد المؤلف شيئاً من أخبار عمرو بن سعيد غير هذه الأسطر و كل ما يأتي بعد ليس مرتبطاً به فلعل هاهنا خرماً.

[2] كذا في «طبقات ابن سعد»: (ج 3 ص 190) و «كتاب المعارف» لابن قتيبة. و في الأصول: «رياح» بالباء الموحدة. و قد ورد هذا النسب في «المعارف» لابن قتيبة هكذا «عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رزاح... إلخ» .

[3] كذا في أ: و «طبقات ابن سعد» و «المعارف» لابن قتيبة: و في الأصول: «قرط» بالطاء المعجمة و هو تصحيف.

[4] في «شرح القسطلاني على صحيح البخاري»: (ج 6 ص 114-115) «أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه و

سلم سعد أحدا و أبو بكر و عمرو و عثمان فرجف بهم فقال: أثبت أحد فإنما عليك نبي و صديق و شهيدان» . و قد جاء في «سنن الترمذي» و «سنن أبي داود» كما جاء في الأصل.

أطلقاني بوثاقي # و اشدداني بعناني

إثما الكأس ربيع # يتعاطى بالبنان

و حميّا الكأس دبّت # بين رجلي و لساني

-الغناء لابن عائشة هزج بالبنصر من رواية حبش-قال: فأجاد ابن عائشة و استحسّن غناؤه من حضر؛ فالتفت إلى معبد فقال: كيف ترى يا أبا عبّاد؟ فقال له معبد: شنت غناؤك بصلفك. قال ابن عائشة: يا أحول! و الله لو لا أنّك شيخنا و أنّك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك من الشائن لغناؤه أنا بصلفي أم أنت بقبح وجهك. و فطن الوليد بحركتهما فقال: ما هذا؟ فقال: خير يا أمير المؤمنين، لحن كان معبد طارحنيه فأنسيته فسألته عنه لأعنيّ فيه أمير المؤمنين. فقال و ما هو؟ قال: أ من آل ليلي بالملا مترّب # كما لاح وشم في الذراع مرّج

فقال: هات يا معبد، فغناه إيّاه؛ فاستحسّنه الوليد و قال: أنت و الله سيّد من غني. و هذا الخبر أيضا مما يدلّ على أن ما ذكره حماد من أنّ هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له.

أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه:

أخبرني محمد بن إبراهيم قريض قال حدّثني أحمد بن أبي العلاء المغنّي قال: غنّيت المعتضد صوتا في شعر له ثم أتبعته بشعر الوليد بن يزيد: كللاني توجّاني # و بشعري غنياني

فقال: أحسن و الله! هكذا تقول الملوك المترّفون، و هكذا يطربون، و بمثل هذا يشيرون، و إليه يرتاحون! أحسنت يا أحمد الاختيار لما شاكل الحال، و أحسنت الغناء، أعد؛ فأعدته، فأمر لي بعشرة آلاف درهم و شرب رطلا ثم استعاده فأعدته، و فعل مثل ذلك حتى استعاده ستّ مرّات و شرب ستّة أرطال و أمر لي بعشرة آلاف درهم- و قال مرة أخرى بستمائة دينار-ثم سكر. و ما رثي قبل ذلك و لا بعده أعطي مغنّيّا هذه العطية. و في الخبر زيادة و قد ذكرته في موضعت آخر يصلح له.

و قد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمد بن سهل التوشجاني أنه حضر أحمد بن أبي العلاء و قد غنّي المعتضد هذا الصوت في هذا المجلس و أمر له بهذا المال بعينه و لم يشرح القصّة كما شرحها أحمد.

**و منها صوت و هو المتبختر
صوت معبد المسمى بالمتبختر:**

جعل الله جعفرا لك بعلا # و شفاء من حادث الأوصاب

/إذ تقولين للوليدة قومي # فانظري من ترين بالأبواب

الشعر للأحوص. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر. و ذكر حمّاد
عن أبيه في كتاب معبد أنه منحول إلى معبد و أنه لكردم.

صوت و هو المسمى مقطّع الأثفار

ضوء نار بدا لعينك أم شبّ # ت بذى الأثل من سلامة نار
تلك بين الرّياض و الأثل و البيا # نات مّا و من سلامة دار
/و كذاك الزمان يذهب بالنّا # س و تبقى الرّسوم و الآثار

الشعر للأحوص. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. و ذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد و عمر الواديّ رمل عن الهشاميّ. و فيه لعبد الله بن العباس خفيف رمل بالوسطى.

الأحوص و موسى شهوات:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الرّبير قال حدّثنا عمّي قال: مدح موسى شهوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مروان بقصيدة أحسن فيها و أجاد و قال فيها: و كذاك الزمان يذهب بالنّا # س و تبقى الديار و الآثار

فقام الأحوص و دخل منزله و قال قصيدة مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضا و أتى فيها بهذا البيت بعينه و خرج فأنشدها. فقال له موسى شهوات: ما رأيت يا أحوص مثلك! قلت قصيدة مدحت فيها الأمير فسرقت أجود بيت فيها و جعلته في قصيدتك. فقال له الأحوص: ليس الأمر كما ذكرت، و لا البيت لي و لا لك، هو للبيد سرّقناه جميعا منه، إنما ذكر لبيد قومه فقال: فعفا آخر الزمان عليهم # فعلى آخر الزمان الدّبار [1]

و كذاك الزمان يذهب بالنّا # س و تبقى الرّسوم و الآثار

قال: فسكت موسى شهوات فلم يحر جوابا كأنما ألقمه حجرا.

حديث سلامة مع الأحوص و عبد الرحمن بن حسان و هو كما

يرى أبو الفرج موضوع:

و نسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدّمشقيّ خبر الأحوص مع سلامة التي ذكرها في هذا الشعر و هو موضوع لا أشكّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقط سخيّف لا يشبه نمط الأحوص، و التوليد بيّن فيه يشهد على أنه محدث. / و القصّة أيضا باطلة لا أصل لها؛ و لكّنيّ ذكرته في موضعه على ما فيه من سوء العهدة. قال حدّثنا الرّبير بن بكار قال حدّثني أبو محمد الجزريّ قال: كانت بالمدينة سلامة من أحسن الناس وجها و أتّمهن عقلا و أحسنهن حديثا قد قرأت القرآن و روت الأشعار و قالت

الشعر، و كان عبد الرحمن بن حسان و الأوص بن محمد يختلفان إليها
فيرويانها الشعر و يناشدانها إياه.

فعلقت الأوص و صدت عن عبد الرحمن. فقال لها عبد الرحمن
يعرض لها بما ظنّه من ذلك: أرى الإقبال منك على خيلي # و ما لي في
حديثكم نصيب

فأجابته:

[1]الديار: الهلاك.

لأن الله علّقه فؤادي # فحاز الحبّ دونكم الحبيب

/فقال الأحوص:

خليلي لا تلمها في هواها # ألدّ العيش ما تهوى القلوب

قال: فأضرب عنها ابن حسّان و خرج ممتدحا ليزيد بن معاوية فأكرمه و أعطاه. فلما أراد الانصراف قال له: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة. قال: وما هي؟ جارية خلفتها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس و أكملهم و أعقلهم و لا تصلح أن تكون إلاّ لأمير المؤمنين و في سمّاره: فأرسل إليها يزيد فاشترت له و حملت إليه؛ فوقعته منه موقعا عظيما و فضّلها على جميع من عنده. و قدم عبد الرحمن المدينة فمّر بالأحوص و هو قاعد على باب داره و هو مهموم، فأراد أن يزيد به إلى ما به فقال: يا مبتلى بالحب مفدوحا # لاقى من الحبّ تباريحا

ألجمه الحبّ فما ينثني # إلاّ بكأس الشوق مصبوحا

و صار ما يعجبه مغلقا # عنه و ما يكره مفتوحا

/قد حازها من أصبحت عنده # ينال منها الشّمّ و الرّيح

خليفة الله فسلّ الهوى # و عزّ قلبا منك مجروحا

فأمسك الأحوص عن جوابه. ثم إن شابّين من بني أمية أرادا الوفادة إلى يزيد، فأتاهما الأحوص فسألتهما أن يحملتا له كتابا ففعلا. فكتب إليها معهما: سلام ذكرك ملصق بلساني # و على هواك تعودني أحزاني

ما لي رأيتك في المنام مطيعة # و إذا انتبهت لججت في العصيان

أبدا محبّك ممسك بفؤاده # يخشى اللّجاجة منك في الهجران

إن كنت عاتبة فإني معتب # بعد الإساءة فاقبلي إحساني

لا تقتلي رجلا يراك لما به # مثل الشراب لغلة الظمآن

و لقد أقول لقاطنين من اهلنا # كانا على خلقي من الإخوان

يا صاحبيّ على فؤادي جمرة # و برى الهوى جسمي كما تريان

أمرفيان[1] إلى سلامة أنتما # ما قد لقيت بها و تحتسبان

لا أستطيع الصبر عنها إنها # من مهجتي نزلت بكلّ مكان

قال: ثم غلبه جزعه فخرج إلى يزيد ممتدحا له. فلما قدم عليه قرّبه و أكرمه و بلغ لديه كلّ مبلغ. فدسّت إليه سلامة خادما و أعطته مالا على أن يدخله إليها. فأخبر الخادم يزيد بذلك؛ فقال: امض برسالتها. ففعل ما أمره

به و أدخل الأحوص، و جلس يزيد بحيث يراها. فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه و بكى إليها، و أمرت فألقي له [1]أمرقيان إلى سلامة أي أرافعان إليها.

كرسيّ فقعده عليه، و جعل كلّ واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدّة الشوق. فلم يزالا/يتحدّثان إلى السّحر و يزيد يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما ريبة. حتى إذا همّ بالخروج قال: أمسى فؤادي في همّ و بلبال # من حبّ من لم أزل منه على بال

/فقلت:

صحا المحبّون بعد النأي إذ ينسوا # و قد ينست و ما أصحو على حال

فقال:

من كان يسلو بيأس عن أخي ثقة # فعن سلامة ما أمسيت بالسّالي

فقلت:

و الله و الله لا أنساك يا سكني # حتى يفارق منّي الرّوح أوصالي

فقال:

و الله ما خاب من أمسى و أنت له # يا قرّة العين في أهل و في مال

ثم ودّعها و خرج. فأخذه يزيد و دعا بها فقال: أخبراني عمّا كان جرى بينكما في ليلتكما و اصدقاني. فأخبراه و أنشدها ما قالاه، فلم يخرما حرفا و لا غيرا شيئا مما سمعه. فقال له يزيد: أ تحبّها يا أحوص؟ قال: إي و الله يا أمير المؤمنين.

حبا شديدا تليدا غير مطرف # بين الجوانح مثل النار يضطرم

فقال لها: أ تحبّينه؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين.

حبا شديدا جرى كالرّوح في جسدي # فهل يفترّق بين الرّوح و الجسد

فقال يزيد: إنكما لتصفان حبا شديدا، خذها يا أحوص فهي لك، و وصله بصلة سنّية، و انصرف بها و بالجارية إلى الحجاز و هو من أقرّ الناس عينا. مضى الحديث.

أصوات معبد المسماة مدن معبد و تسمّى أيضا حصون معبد مدن معبد أو حصونه:

أخبرني ابن أبي الأزهر و الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، قال حسين في خبره و اللفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال: قال معبد و قد سمع رجلا يقول: إن قتيبة بن مسلم فتح سبعة حصون أو سبع مدن بخراسان فيها سبعة حصون صعبة المرتقى و المسالك

لم يوصل إليها قطّ. فقال: و الله لقد صنعت سبعة ألحانٍ كلُّ لحن منها أشدّ
من فتح تلك الحصون. فسئل عنها فقال: لعمرى لئن شطت بعثمة دارها

و:

هريرة ودّعها و إن لام لائم

و:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو

و:

كم بذاك الحجون من حيّ صدق

و:

لو تعلمين الغيب أيقنت أنني

و:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

و:

ودّع هريرة إنّ الركب مرتحل

و من الناس من يروي مدن معبد:

تقطع من ظلامّة الوصل أجمع

و:

خمصانة قلق موشحها

و:

يوم تبدي لنا قتيلة

/مكان:

كم بذاك الحجون من حي صدق

و:

لو تعلمين الغيب أيقنت أنني

و:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

نسبة هذه الأصوات و أخبارها صوت

لعمري لئن شطت بعثمة دارها # لقد كدت من وشك الفراق أليح

أروح بهمّ ثم أعدو بمثله # و يحسب أنّي في الثياب صحيح

/عروضه من الطويل. شطّت: بعدت. و وشكُّ الفراق: دنوّه و سرعته.
و أليح: أشفق و أجزع. الشعر لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه. و الغناء
لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونس و إسحاق
و عمرو و غيرهم. و فيه رمل يقال: إنه لابن سريج.

7- ذكر عبيد الله بن عبد الله و نسبه

نسبه، و عداه في بني زهرة:

هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل [1] بن حبيب بن شمش [2] بن فأر [3] بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. و هو في حلفاء بني زهرة من قريش و عداه فيهم.

كان لجدّه صحبة و ليس بدرياً:

و عتبة بن مسعود و عبد الله بن مسعود البدريّ صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم أخوان، و لعتبة صحبة بالنبي صلى الله عليه و سلم و ليس من البدريين.

استعمل أباه عمر بن الخطاب:

و كان ابنه عبد الله أبو عبيد الله بن عبد الله رجلاً صالحاً، و استعمله عمر بن الخطاب فأحمده.

أخواه عون و عبد الرحمن و شيء عنهما:

و لعبيد الله بن عبد الله أخوان عون و عبد الرحمن.

و كان عون من أهل الفقه و الأدب، و كان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه. و قال- و كان شاعراً:- فأول ما أفارق غير شك # أفارق ما يقول المرجئونا

و قالوا مؤمن من آل جور # و ليس المؤمنون بجائرينا

و قالوا مؤمن دمه حلال # و قد حرمت دماء المؤمنيننا

و خرج مع ابن الأشعث، فلما هزم هرب، و طلبه الحجاج؛ فأتى محمد بن مروان بن الحكم بنصيبين فأمنه و ألزمه ابنه مروان بن محمد و عبد الرحمن بن محمد. فقال له: كيف رأيت ابني أخيك؟ قال: أمّا عبد الرحمن فطفل، و أمّا مروان فإني/إن أتيته حجب، و إن قعدت عنه عتب، و إن عاتبته صخب، و إن صاحبتة غضب. ثم تركه و لزم عمر بن عبد العزيز فلم يزل معه. ذكر ذلك كله و معانيه الأصمعي عن أبي نوفل الهذلي عن أبيه: و لعون يقول جرير: يا أيها القارئ المرخي عمامته # هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه # أتي لدى الباب كالمصفود في قرن

[1] كذا في «طبقات ابن سعد»: (ج 2 ص 106) و «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج 1 ص 370) و في الأصول: «وائل» .

[2] كذا في «طبقات ابن سعد و الاستيعاب»: و في الأصول: «شيخ» .

[3] كذا في «الطبقات و الاستيعاب» : و في الأصول: «قار» بالقاف.

و خبره يأتي في أخبار جرير[1].

كان فقيها، و هو أحد السبعة بالمدينة:

و أمّا عبد الرحمن فلم تكن له نباهة أخويه و فضلها فسقط ذكره.

و أمّا عبيد الله فإنه أحد وجوه الفقهاء الذين روي عنهم الفقه و الحديث. و هو أحد السبعة من أهل المدينة، و هم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، و عروة بن الزبير، و أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، و سعيد بن المسيّب، و عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، و خارجة بن زيد بن ثابت، و سليمان بن يسار. و كان عبيد الله ضريرا. و قد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس و عبد الله بن مسعود عمّه و أبي هريرة. و روى عنه الزهريّ و ابن أبي الزناد و غيرهما من نظرائهما.

كان يؤثّره ابن عباس:

و كان عبد الله بن عباس يقدّمه و يؤثّره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدّثنا أبي قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن معمر عن الزهريّ قال: كان/عبيد الله بن عبد الله يلطف لابن عباس فكان يعزّه عزّا.

حديث الزهري عنه و كان كثير الاتصال به:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهريّ قال: /كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى إن كنت لأستقي الماء الملح و إن كان ليسأل جاريته فتقول: غلامك الأعمش.

أخبرني وكيع قال حدّثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه قال حدّثنا عبد الرزّاق عن معمر عن الزهريّ قال: أدركت أربعة بحور، عبيد الله بن عبد الله أحدهم.

أخبرني وكيع قال حدّثنا محمد قال حدّثنا حامد بن يحيى عن ابن عيينة عن الزهريّ قال: سمعت من العلم شيئا كثيرا، فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كآني كنت[2] في شعب من الشّعب ف وقعت في الوادي؛ و قال مرّة: صرت كآني لم أسمع من العلم شيئا.

أثنى عليه عمر بن عبد العزيز:

أخبرني وكيع قال حدّثني بشر بن موسى قال حدّثنا الحميدي عن ابن عيينة عن عليّ بن زيد بن جدعان قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: ليت لي مجلسا من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بديّة.

[1] مضى هذا الخبر في «ترجمة جرير»: في ج 8 ص 47 من هذه الطبعة.

[2] لعل صوابه: «صرت كأني كنت... إلخ» . .

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال حدّثني عمّي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزّهريّ عن حمزة بن عبد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حيّاً ما صدرت إلا عن رأيه، و لوددت أنّ لي بيوم من عبيد الله غرماً. قال ذلك في خلافته.

ما جرى بين عمر بن عبد العزيز و عروة في شأن عائشة و ابن الزبير أمامه، ثم شعره لعمر حين أرسل إليه:

أخبرنا محمد بن جرير الطبريّ و عمّ أبي عبد العزيز بن أحمد و محمد بن العباس اليزيديّ و الطوسيّ و وكيع و الحرميّ بن أبي العلاء و طاهر بن عبد الله الهاشميّ، قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصّدّيق و ابن أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعاً عن عثمان بن عمر بن موسى عن الزّهريّ قال: دخل عروة بن الزبير و عبيد الله بن عبد الله بن عتبة على عمر بن عبد العزيز و هو أمير المدينة. فقال عروة لشيء حدّث به من ذكر عائشة و عبد الله بن الزبير: سمعت عائشة تقول: ما أحببت أحداً حبّي عبد الله بن الزبير لا أعني رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا أبويّ. فقال عمر: إنكم لتنتحلون عائشة لابن الزبير انتحال من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيباً.

فقال عروة: بركة عائشة كانت أوسع من ألا يرى لكل مسلم فيها حقّ، و لقد كان عبد الله منها بحيث وضعته الرّحم و المودّة التي لا يشرك كلّ واحد منهما فيه عند صاحبه أحد. فقال عمر: كذبت. فقال عروة: هذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أنّي غير كاذب، و إنّ من أكذب الكاذبين من كذب الصادقين. فسكت عبيد الله و لم يدخل بينهما في شيء. فأقّف بهما عمر و قال: اخرجاً عنّي. ثم لم يلبث أن بعث إلى عبيد الله بن عبد الله رسولا يدعوه لبعض ما كان يدعوه إليه. فكتب إليه عبيد الله: لعمر ابن ليلي [1] و ابن عائشة التي # لمروان أدّته، أب غير زمل [2]

لو أنهم عمّا و جدّاً و والدا # تأسّوا فسوّا سنّة المتعلّل

/عذرت أبا حفص و إن كان واحدا # من القوم يهدي هديهم ليس يأتي

/و لكنهم فاتوا و جنّت مصلياً # تقرّب [3] إثر السابق المتمهل

و عمت [4] فإن تسبق فضء مبرّز # جواد و إن تسبق فنفسك فاعذل

فمالك بالسلطان أن تحمل القذى # جفون عيون بالقذى لم تكحل

و ما الحقّ أن تهوى فتسعف بالذي # هويت إذا ما كان ليس بأعدل

أبى الله و الأحساب أن ترأم[5]الخنى # نفوس كرام بالخنا لم توكل

[1]ابن ليلى به يعني به عبد العزيز بن مروان و هي ليلى بنت زيان بن الأصيغ بن عمرو. و ابن عائشة يريد به عبد الملك بن مروان و هي عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية.

[2]الزمل: الضعيف الساقط.

[3]التقريب: عدو دون الإسراع.

[4]عمت: سرت.

[5]ترأم الخنى: ترضاه و تستسغيه.

قال الزبير في خبره وحده: الصنء و الصنء: الولد. قال: و أنشد الخليل بن أسد قال أنشدني دهثم: ابن عجوز صنؤها غير أمر[1] # لو نحرت في بيتها عشر جزر

لأصبحت من لحمهنّ تعذر # تغدو على الحيّ يعود من سمر

حتى يفرّ أهلها كلّ مفرّ

حجبه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعرا ثم اعتذر فعذره:

أخبرني الحسن بن عليّ و وكيع قالا حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير، و أخبرناه الحرميّ بن أبي العلاء إجازة قال حدّثنا الزبير عن ابن أبي أويس عن بكار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة: أن عبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه، فردّه الحاجب و قال له: عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان و هو مختل به، فانصرف غضبان. و كان في صلاحه ربما صنع الأبيات، فقال لعمر: ابن لي فكن مثلي أو ابتغ صاحباً # كمثلك إني تابع صاحباً مثلي

/عزيز إخائي لا ينال موذتي # من الناس إلاّ مسلم كامل العقل

و ما يلبث الفتيان أن يتفرّقا # إذا لم يؤلّف روح شكل إلى شكل

قال: فأخبر عمر بأبياته؛ فبعث إليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة و عراك بن مالك يعذرانه عنده و يقولان: إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك و لا بردّ الحاجب إياك، فعذره. قال الزبير و قد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني محزر بن جعفر لعبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات و زاد فيها و هو أولها: و إني امرؤ من يصفني الودّ يلفني # و إن نرحت دار به دائم الوصل

عزيز إخائي لا ينال موذتي # من الناس إلاّ مسلم كامل العقل

و لو لا اتقائي الله قلت قصيدة # تسير بها الرّكبان أبردّها يغلي

بها تنقض الأجل[2] في كلّ منزل # ، و ينفي الكرى عنه بها صاحب الرّحل

كفاني يسير إذ أراك بحاجتي # كليل اللسان ما تمرّ و ما تحلي[3]

تلاوذ[4] بالأبواب منيّ مخافة الـ # ملامة و الإخلاف شرّ من البخل

و ذكر الأبيات الأول بعد هذه.

شعره في عراك و ابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه و لم يسلما:

أخبرني وكيع قال حدّثني عليّ بن حرب الموصليّ قال حدّثنا إسماعيل بن ريان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول: [1]الأمر: الكثير.

[2]الأحلاس: جمع حلس و هو كل ما ولي ظهر البعير و الدابة تحت الرحل و القتب و السرج.

[3]ما تمر و ما تحلى: ما تضر و ما تنفع.

[4]تلاوذ: تراوغ.

كان عراك بن مالك و أبو بكر بن حزم و عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
يتجالسون بالمدينة زمانا. ثم أن ابن حزم ولي إمرتها و ولي عراك القضاء، و
كانا يَمْران بعبيد الله فلا يسلمان عليه و لا يقفان، و كان/ضريرا فأخبر بذلك،
فأنشأ يقول: /

ألا أبلغا عني عراك بن مالك # و لا تدعا أن تثنيا بأبي بكر
فقد جعلت تبدو شواكل منكما # كأثكما بي موقران من الصخر
و طاوعتما بي داعكا[1]ذا معاكة # لعمري لقد أزرى و ما مثله يزري
و لو لا اتقائي ثم بقياي فيكما # للمتكما لوما أحرّ من الجمر

صوت

فمسّا تراب الأرض منها خلقتما # و منها المعاد و المصير إلى الحشر
و لا تأنفا أن تسألا و تسلّما # فما خشى الإنسان شرا من الكبر
فلو شئت أن ألقى عدوّا و طاعنا # لألفيته أو قال عندي في السرّ
فإن أنا لم أمر و لم أنه عنكما # ضحكت له حتى يلجّ و يستشري

عروضه من الطويل. غني في:

فمسّا تراب الأرض منها خلقتما

و الذي بعده لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانه و
ابن المكيّ و يونس و غيرهم. و زعم ابن شهاب الزهريّ أن عبيد الله قال
هذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز و عمرو بن عثمان، يعني[أن]الأبيات
الأول ليست منها في شيء، و إنما أدخلت فيها لاتّفاق الروي و القافية.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا إبراهيم
بن المنذر الحزاميّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن
ابن شهاب قال: /جئت عبيد الله بن عبد الله يوما في منزله فوجدته ينفخ و
هو مغتاض؛ فقلت له: مالك؟ قال: جئت أميركم أنفا-يعني عمر بن عبد
العزيز-فسلمت عليه و على عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلم يردّا عليّ،
فقلت: فمسّا تراب الأرض منها خلقتما

و ذكر الأبيات الأربعة. قال فقلت له: رحمك الله! أ تقول الشعر في
فضلك و نسكك! قال: إنّ المصدور إذا نفث برا.

قال أبو زيد حدّثنا إبراهيم بن المنذر، و أنشدني هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزناد له و ذكر مثل ذلك و أنها في عمر بن عبد العزيز و عبد الله بن عمرو، و زاد فيها: و كيف يريدان ابن تسعين حجّة # على ما أتى و هو ابن عشرين أو عشر

[1]الداعك: الأحمق. و المعاكة: الحمق.

شيء من شعره:

و لعبيد الله بن عبد الله شعر فحل جيد ليس بالكثير. منه قوله: إذا كان لي سرّ فحدّثته العدا # و ضاق به صدري فللتّاس أعذر

و سرّك ما استودعته و كتمته # و ليس بسرّ حين يفشو و يظهر

و قوله لابن شهاب الزّهريّ:

إذا قلت أمّا بعد لم يثن منطقي # فحاذر إذا ما قلت كيف أقول

إذا شئت أن تلقى خليلا مصافيا # لقيت و إخوان الثّقات قليل

استحسن جامع بن مرخية شعره فأجازه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عبد الجبار بن سعيد المساحقيّ عن ابن أبي الزّناد عن أبيه قال: أنشد عبيد الله بن عبد الله جامع بن مرخية/الكلابيّ لنفسه: لعمر أبي المحصين أيام نلتقي # لما لا نلاقيها من الدهر أكثر

/يعدّون يوما واحدا إن أتيتها # و ينسون ما كانت على الدهر تهجر

و إن أولع الواشون عمدا بوصلنا # فنحن بتجديد المودة أبصر

قال: فأعجبت أبياته هذه جامعا، فسرّ ذلك عبيد الله فكساه و حمّله.

جامع بن مرخية هذا من شعراء الحجاز، و هو الذي يقول:

سألت سعيد بن المسيّب مفتى الـ # مدينة هل في حبّ ظمياء من وزر

فقال سعيد بن المسيّب إنما # تلام على ما تستطيع من الأمر

فبلغ قوله سعيدا، فقال: كذب و الله! ما سألني و لا أفتيته بما قال. أخبرني بذلك الحرميّ بن أبي العلاء عن الزّبير.

مختارات من شعره:

و من جيّد شعر عبيد الله و سهله:

أعادل عاجل ما أشتهي # أحبّ من الآجل الرائث[1]

سأنفق مالي على لذّتي # و أوثر نفسي على الوارث

أبادر إهلاك مستهلك # لمالي أو عبث العابث

و قوله يفتخر في أبيات:

إذا هي حلّت وسط عود[2] ابن غالب # فذلك وّد نازح لا أطالعه

[1]الرائث: البطيء.

[2]عود: جمع عائد و هي الحديثة النتاج من الإبل و غيرها.

شدت حيازيمي[1] على قلب حازم # كتوم لما ضمت عليه أزالعه
أداجي رجالا لست مطلع بعضهم # على سرّ بعض إنّ صدري واسع
بنى لي عبد الله في ذروة العلا # و عتبة مجدا لا تنال مصانعه

و قوله و فيه غناء:

صوت

إن يك ذا الدهر قد أضرب بنا # من غير ذحل[2] فرمّا نفعا
أبكي على ذلك الزمان و لا # أحسب شيئا قد فات مرتجعا
إذ نحن في ظلّ نعمة سلفت # كانت لها كلّ نعمة تبعنا

عروضه من المنسرح. غنت فيها عريب خفيف رمل عن الهشاميّ.

قدمت المدينة مكية فتنت الناس فشبب بها:

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ و الحرميّ بن أبي العلاء و وكيع قالوا
حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبي الزناد عن
أبيه قال: قدمت المدينة امرأة من ناحية مكة من هذيل، و كانت جميلة
فخطبها الناس، و كادت تذهب بعقول أكثرهم.

فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

أحبك حبّا لو علمت ببعضه # لجدت و لم يصعب عليك شديد
و حبك يا أمّ الصبيّ مدلّهي # شهيدي أبو بكر و أيّ شهيد[3]
و يعلم وجدي القاسم بن محمد # و عروة ما ألقى بكم و سعيد
و يعلم ما أخفي سليمان علمه # و خارجه بيدي لنا و يعيد
/متى تسألني عمّا أقول فتخبري # فلاحبّ عندي طارف و تليد

فبلغت أبياته سعيد بن المسيّب، فقال: و الله لقد أمن أن تسألنا و علم
أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها.

و قال الزبير: أبو بكر الذي ذكر و الثغر المسمون معه: أبو بكر بن عبد
الرحمن بن الحارث بن هشام، و القاسم بن محمد بن أبي بكر، و عروة بن
الزبير، و سعيد بن/المسيّب، و سليمان بن يسار، و خارجه بن زيد بن ثابت،
و هم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهل المدينة.

[1] الحيزوم: وسط الصدر.

[2]الذحل: الثأر.

[3]في هذا البيت إقواء.

عتب على زوجة عثمة في بعض الأمر فطلقها و شعره فيها:

أخبرني وكيع قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أحمد بن سعيد الفهري عن إبراهيم بن المنذر بن عبد الملك بن الماجشون: أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أولها:

لعمري لئن شطّبت بعثمة دارها # لقد كدت من وشك الفراق أليح

قالها في زوجة له كانت تسمّى عثمة، فعتب عليها في بعض الأمر فطلّقها. و له فيها أشعار كثيرة، منها هذه الأبيات، و منها قوله يذكر ندمه على طلاقها: كتمت الهوى حتى أضّرّ بك الکتّم # و لامك أقوام و لومهم ظلم

و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال قال لي عمّي: لقيني عليّ بن صالح فأنشدني بيتا و سألتني من قائله؟ و هل فيه زيادة؟ فقلت: لا أدري، و قد قدم ابن أخي- أعنيك- و قلما فاتني شيء إلا وجدته عنده. قال الزبير: فأنشدني عمّي البيت و هو: غراب و ظبي أعضب[1] القرن ناديا # بصرم و صردان[2] العشيّ تصيح

فقلت له: قائله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، و تمامها:

لعمري لئن شطّبت بعثمة دارها # لقد كدت من وشك الفراق أليح

أروح بهمّ ثم أعدو بمثله # و يحسب أنّي في الثياب صحيح

فكتبهما عمّي عنيّ و انصرف بهما إليه.

صوت

ألا من لنفس لا تموت فينقضي # عناها و لا تحيا حياة لها طعم

أ أترك إتيان الحبيب تأثما # ألا إنّ هجران الحبيب هو الإثم

فدق هجرها قد كنت تزعم أنه # رشاد ألا يا ربّما كذب الرّعم

عروضه من الطويل. غنّي يونس في هذه الأبيات الثلاثة لحنا ماخوريّا و هو خفيف الثقيل الثاني من رواية إسحاق و يونس[3] و ابن المكيّ و غيرهم. و غنّت عريب في: أ أترك إتيان الحبيب تأثما

لحنا من الثقيل الأوّل، و أضافت إليه بعده على الولاء بيتين ليسا من هذا الشعر و هما: و أقبل أقوال الوشاة تجرّما # ألا إنّ أقوال الوشاة هي الجرم

وَأَشْتَقُ لِي إِفَّا عَلَى قَرَبِ دَارِهِ # لِأَنَّ مَلَاقَةَ الْحَبِيبِ هِيَ الْغَنَمِ

[1]الأعضب القرن: المكسور القرن.

[2]الصدران: جمع صدر و هو طائر أبقع أبيض البطن يتشائم به.

[3]يلاحظ أن صاحب هذا الغناء هو يونس؛ و يبعد أن يكون من رواته.

و مما قاله عبيد الله أيضا في زوجته هذه و غنّي فيه:

صوت

عفت أطلال عثمة بالغميم # فأضحت و هي موحشة الرّسوم

و قد كتّا نحلّ بها و فيها # هضيم الكشح جائلة البريم

عروضه من الوافر. عفت. درست. و الأطلال: ما شخص من آثار الديار. و الرّسوم: ما لم يكن له شخص منها و لا ارتفاع و إنما هو أثر. و الهضيم الكشح الخميص الحشى و البطن. و البريم: الخخال، و قيل: بل هو اسم لكل ما يلبس من الحلّي في اليدين و الرجلين. و الجائل: ما يجول في موضعه لا يستقرّ. غنّي في هذين البيتين قفا النجار.

و لحنه من القدر الأوسط من الثّقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر.

/و مما قاله في زوجته عثمة و فيها غناء:

صوت

تغلغل حبّ عثمة في فؤادي # فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب # و لا حزن و لم يبلغ سرور

صدعت القلب ثم ذررت فيه # هواك فليم و التأم الفطور[1]

أكاد إذا ذكرت العهد منها # أطير لو انّ إنسانا يطير

غنّي النفس أن أزداد حبّا # و لكّني إلى صلة فقير

و أنفذ جارحاك سواد قلبي # فأنت عليّ ما عشنا أمير

لمعبد في الأوّل و الثاني من الأبيات هزج بالبنصر عن حبش، و ذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحول من المكيّ. و في الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرّشيد رمل.

قال ابن أبي الزّناد في الخبر الذي تقدّم ذكره عن عبيد الله و ما قاله من الشعر في عثمة و غيرها: فقيل له: أ تقول في مثل هذا؟! قال: في اللدود راحة المفتود[2].

بلغه أن رجلا يقع ببعض الصحابة فجفاه:

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا ابن وهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال: كان رجل يأتي عبيد الله بن عبد

اللّٰه و يجلس إليه. فبلغ عبيد اللّٰه أنه يقع ببعض أصحاب رسول اللّٰه صلى الله عليه و سلم. فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيد الله. و كان الرجل شديد العقل، فقال له: يا أبا محمد، إن لك لشأنا، فإن رأيت لي عذرا فاقبل عذري. فقال له: أتتّهم الله في علمه؟ قال: أعوذ بالله. قال: أتتّهم رسول الله صلى الله عليه و سلم/في حديثه؟ قال: أعوذ [1]الفطور: الشقوق.

[2]اللذود: ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم.

و المفئود: الذي يشتكي فؤاده.

بالله. قال: يقول الله عزّ وجل: **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** و أنت تقع في فلان و هو ممن بايع، فهل بلغك أن الله سخط عليه بعد أن رضي عنه؟! قال: و الله لا أعود أبدا. قال: و الرجل عمر بن عبد العزيز[1].

صوته:

أخبرني وكيع عن أحمد بن زهير عن يحيى بن معين قال: مات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة سنة اثنتين و مائة، و يقال سنة تسع و تسعين أخبرني محمد بن جرير الطبري و الحسن بن عليّ عن الحارث[2] عن ابن سعد عن معن[3] عن محمد بن هلال: أن عبيد الله توفي بالمدينة سنة ثمان و تسعين.

صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن:

و منها[4]:

صوت

/

ودّع هريرة إن الرّكب مرتحل # و هل تطبق وداعا أيّها الرجل
غراء فرعاء مصقول عوارضها # تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل[2]
تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت # كما استعان بريح عشرق زجل
علّقتها عرضا و علّقت رجلا # غيري و علّق أخرى غيرها الرّجل
قالت هريرة لَمَّا جئت زائرها # ويلي عليك و ويلي منك يا رجل
لم تمش ميلا و لم تركب على جمل # و لم تر الشمس إلاّ دونها الكلل
/ أقول للركب في درنى[5] و قد ثملوا # شيموا و كيف يشيم الشارب التّمّل
كناطح صخرة يوما ليفلقها # فلم يضرها و أوهى قرنه الوعل
أبلغ يزيد بني شيبان مألّكة # أبا ثبيت أ ما تنفكّ تأتكل
إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا # أو تنزلون فإثنا معشر نزل
و قد غدوت إلى الحانوت يتبعني # شاو نشول مثلّ شلشل شول
في فتية كسيوف الهند قد علموا # أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل
نازعتهم قصب الرّيحان مئكنا # و قهوة مزة راووقها خصل

[1]يبعد تصديق مثل ذلك عن عمر بن عبد العزيز و هو من هو صلاحا و تقوى.

[2]هو الحارث بن أبي أسامة. و ابن سعد هو سليمان بن سعد. (راجع ج 6 ص 359 من هذه الطبعة) .

[3]هو معن بن عيسى القزاز: (راجع «تهذيب التهذيب» ج 9 ص 498)

[4]يريد أصوات. معبد التي تسمى مدن معبد، و قد مرت في صفحة 137.

[5]درني: موضع بنواحي اليمامة، و قيل: بنواحي العراق.

عَنِّي معبد في الأوّل و الثاني في لحنه المذكور في مدن معبد لحننا من القدر الأوسط من الثقل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و ذكرت دنانير أن فيهما لابن سريج أيضا صنعة. و لمعبد أيضا في الرابع و الخامس و الثالث ثقل أوّل، ذكره حبش، و قيل: بل هو لحن ابن سريج، و ذلك الصحيح. و لابن محرز في الثقل في «إن تركبوا» و في «كناطح صخرة» ثاني ثقل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. و لحنين الحيريّ في «أبلغ يزيد بني شيبان» و «إن تركبوا» ثاني ثقل آخر. و ذكر أحمد بن المكيّ أن لابن محرز في «ودّع هريرة» و «تسمع للحلي» ثاني ثقل بالخنصر في مجرى البنصر. و في «و قد غدوت» و ما بعده رمل لابن سريج و مخارق عن الهشامي. و لابن سريج في «تسمع للحلي» و قبله «ودّع هريرة» رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. و للغريص في «قالت هريرة» و «علقتها عرضا» رمل. و في هذه الأبيات بعينها هزج ينسب إليه أيضا و إلى غيره. و في «تسمع للحلي» و «قالت هريرة» هزج لمحمد بن حسن بن مصعب. و في «لم تمش ميلا» و «أقول للركب» لابن سريج خفيف الثقل الأوّل بالبنصر عن حبش. و في «قالت/هريرة» و «تسمع للحلي» لحن لابن سريج. و إن لحنين في البيتين الآخرين لحننا آخر. و قد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في:

هريرة ودّعها و إن لام لائم

و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال قلت لأعرابيّة: ما الغرّاء؟ قالت: التي بين حاجبيها بلج و في جبهتها اتساع تتباعد قصّتها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نغف [1]. و قال أبو عبيدة: الفرعاء:

الكثيرة الشعر. و العوارض: الأسنان. و الهوينى تصغير الهونى، و الهونى: مؤنث الأهون. و الوجي: الظالع و هو الذي قد حفي فليس يكاد يستقلّ على رجله. و الوحل: الذي قد وقع في الوحل. / و العشرق: نبت يسي فتحركه الريح؛ شبه صوت حليها بصوته. الرّجل: المصوّت من العشرق. و علقتها: أحببتها. و عرضا: على غير موعد.

و الوعل: التيس الجبليّ، و الجمع أوعال. مألّكة: رسالة، و الجمع مآلك. ما تنفك: ما تزال. و تأتكل: تتحرّق.

و قال أبو عبيدة: الشاوي: الذي يشوي اللحم؛ و التّشول: الذي ينشل اللحم من القدر. و مشلّ: سواق سريع يسوق به. و شلشل: خفيف. و

شول: طيّب الرّيح.

ما وقع بين بني كعب و بني همّام، و قصيدة الأعشى في ذلك:
الشعر للأعشى و قد تقدّم نسبه و أخباره. يقول هذه القصيدة ليزيد بن مسهر أبي ثابت الشّيباني. قال أبو عبيدة:

و كان من حديث هذه القصيدة أن رجلا من بني كعب بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، يقال له ضبيع، قتل رجلا من بني همّام يقال له زاهر بن سيّار بن أسعد بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، و كان ضبيع مطروقا[2] ضعيف العقل. فنهاهم يزيد بن مسهر أن يقتلوا ضبيعا بزاهر و قال: /اقتلوا به سيّدا من بني سعد بن مالك بن ضبيعة، فحضّ بني سيّار بن أسعد على ذلك و أمرهم به. و بلغ بني قيس مما قاله، فقال الأعشى هذه الكلمة بأمره أن يدع بني سيّار و بني كعب و لا يعين بني سيّار؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائل بني قيس بني كعب، و حدّتهم أن تلقى شيبان منهم مثل ما لقوا يوم العين عين محلم[3] بهجر.

[1]النفنف: المهوى بين الشّيبين.

[2]المطروق: الذي به هوج و جنون.

[3]عين محلم (بتشديد اللام و كسرهما) : قال أبو منصور: هي عين فوّارة بالبحرين، و ما رأيت عينا أكثر ماء منها، و ماؤها جار في منبعها، فإذا برد فهو ماء عذب. و لهذه العين إذا جرت في نهرها خلج كثيرة تتخلج منها تسقي قرى كثيرة و مزارع و نخلا

يوم عين محلم:

قال أبو عبيدة: و كان من حديث ذلك اليوم، كما زعم عمر بن هلال أحد بني سعد بن قيس بن ثعلبة، أن يزيد بن مسهر كان خالع أصرم بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة، و كان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأعجف و الضيعة له و هي قرية باليمامة. فلما خلع يزيد أصرم من ماله خالعه على أن يرهنه ابنه أفلت و شهابا ابني أصرم، و أمهما فطيمة بنت شرحبيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس، و أن يزيد قمر أصرم فطلب أن يدفع إليه ابنه رهينة، فأبت أمهما و أبى يزيد إلا أخذهما. فنادت قومها، فحضر الناس للحرب، فاشتملت فطيمة على ابنيها بثوبها، و فكّ قومها عنها و عنهما. فذلك قول الأعشى:

نحن الفوارس يوم العين ضاحية # جنبى فطيمة لا ميل و لا عزل[1]

قال: فانهزمت بنو شيبان، فحذر الأعشى أن يلقي مسهر مثل تلك الحال.

قال أبو عبيدة: و ذكر عامر و مسمع عن قتادة الفقيه أن رجلين من بني مروان تنازعا في هذا الحديث، فجزّدا رسولا في ذلك إلى العراق حتى قدم إلى الكوفة فسأل فأخبر أنّ فطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شيبان، و كانت له/زوجة أخرى من بني شيبان، فتعايرتا فعمدت الشيبانية فحلت ذوائب فطيمة، فاهتاج الحيان فاقتتلوا، فهزمت بنو شيبان يومئذ.

مسجل رأي الأعشى:

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن محمد القصير قال حدّثنا محمد بن صالح قال حدّثني أبو اليقظان قال حدّثني جويرية عن يشكر بن وائل اليشكري، و كان من علماء بكر بن وائل و ولد أيام مسيلمة فجيء به إليه فمسح على رأسه فعمي، قال جويرية فحدّثني يشكر هذا قال حدّثني جرير بن عبد الله البجليّ قال:

سافرت في الجاهلية فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه، فجعلت أريده على أن يتقدّم فو الله ما يتقدّم، فتقدّمت/فدنوت من الماء و عقلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوّهون عند الماء فقعدت. فبينما أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشدّ تشويها منهم فقالوا: هذا شاعرهم. فقالوا له: يا فلان أنشد هذا فإنه ضيف؛ فأنشد:

ودّع هريرة إن الركب مرتحل

فلا والله ما خرم منها بيتا واحدا حتى انتهى إلى هذا البيت.

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت # كما استعان بريح عشرق زجل

فأعجب به. فقلت: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا. قلت: لو لا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عام أوّل بنجران. قال: فإنك صادق، أنا الذي ألقيتها على لسانه و أنا مسحل صاحبه، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس:

[1] ضاحية: علانية. و الميل: جمع أميل و هو الذي لا يثبت في الحرب مثل أبيض و بيض. و العزل: جمع أعزل، و حركت زاؤه للشعر.

صوت

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو # إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت لمجد # تلقّاها عرابة باليمين

/عروضه من الوافر. الشعر للشّماخ. و الغناء لمعبد خفيف الثّقل الأوّل
بالوسطى. و ذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه. و ذكر ابن المكيّ
أن له فيه لحنًا آخر من خفيف الثّقل. و قد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال
حدّثني عمر بن شبة عن محمد بن يحيى أبي غسان قال غنّى أبو نؤي: رأيت
عرابة الأوسيّ يسمو # إلى الخيرات منقطع القرين

فنسبه الناس إلى معبد. و لعله يعني اللحن الآخر الذي ذكره ابن
المكيّ. و قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات أخبرني حمّاد عن ابن
أبي جناح قال: الناس ينسبون هذا الصوت إلى معبد.

8- ذكر الشَّمَّاح و نسبه و خبره

نسبه من قبل أبويه:

هو، فيما ذكر لنا أبو خليفة بن محمد بن سلام، الشَّمَّاح بن ضرار بن سنان بن أمية [1] بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان. و ذكر الكوفيون أنه الشَّمَّاح بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن إياس بن عبد بن عثمان بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. و أم الشَّمَّاح أنمارية من بنات الخرشب و يقال: إنهنَّ أنجب نساء العرب، و اسمها معاذة بنت بجير بن خالد بن إياس.

مخضرم، و هو أحد من هجا عشيرته:

و الشَّمَّاح مخضرم ممن أدرك الجاهلية و الإسلام، و قد قال للنبي صلي الله عليه و سلم.

تعلّم رسول الله أنا كأننا # أفأنا بأنمار ثعالب ذي غسل [2]

يعني أنمار بن بغيض و هم قومه. و هو أحد من هجا عشيرته و هجا أضيافه و ممن عليهم بالقرى. و الشَّمَّاح: لقب و اسمه معقل، و قيل الهيثم، و الصحيح معقل. قال جبل بن جوال له في قصة كانت بينهما: لعمرى لعل الخير لو تعلمانه # يمنّ علينا معقل و يزيد

/منيحة [3] عنز أو عطاء فطيمة # ألا أن نيل التعلبي زهيد

له أخوان جزء و مزرد:

و للشَّمَّاح أخوان من أمه و أبيه شاعران، أحدهما مزرد و هو مشهور، و اسمه يزيد و إنما سمي مزردا لقوله: /

فقلت تزردها عبيد فإنتي # لدرد [4] الشيوخ في السنين مزرد

و الآخر جزء بن ضرار، و هو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عليك سلام من أمير و باركت # يد الله في ذاك الأديم الممّرق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامه # ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق

[1] في «تجريد الأغاني»: «أمامة» .

[2] ذو غسل: موضع. و قد ورد هذا البيت في «كتاب الشعر و الشعراء» مع بيت آخر منسويين إلى مزرد أخي الشَّمَّاح.

[3] المنيحة: الناقة أو الشاة تعطىها غيرك ليحتلبها ثم يردها عليك.

[4] كذا في «كتاب الشعر و الشعراء» و في حـ: «بدرد الموالي» و في سائر الأصول: «بزرد الموالي» و هو تحريف. و الدرد: جمع أدرد و هو من لا أسنان له.

ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه:

و قد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا شهاب بن عبّاد قال حدّثنا محمد بن بشر قال حدّثنا مسعر عن عبد الملك بن عمير عن الصّقر بن عبد الله عن عروة عن عائشة قالت: ناحت الجنّ على عمر قبل أن يقتل بثلاث فقالت:

أبعد قتيل بالمدينة أطلمت # له الأرض تهتّر العضاء[1] بأسوق

جزى الله خيرا من إمام و باركت # يد الله في ذاك الأديم الممزّق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة # ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها # بوائق[2] في أكمائها لم تفتّق

و ما كنت أخشى أن تكون وفاته # بكفي سبنتي[3] أزرق العين مطرق

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا سليمان بن داود الهاشميّ قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزّهرّيّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصّدّيق: / أن عائشة حدّثتها أن عمر أذن لأزواج النبي صلى الله عليه و سلم أن يحججن في آخر حجة حجّها عمر. قال: فلما ارتحل عمر من المحصّب[4] أقبل رجل متلثم فقال و أنا أسمع: هذا كان منزله، فأناخ في منزل[5] عمر ثم رفع عقيرته يتغنّى: عليك سلام من أمير و باركت # يد الله في ذاك الأديم الممزّق

فمن يجر أو يركب جناحي نعامة # ليدرك ما قدّمت بالأمس يسبق

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها # بوائق في أكمائها لم تفتّق

قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي: اعلموا لي علم هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في مناخه أحدا. قالت عائشة: فو الله إنني لأحسبه من الجنّ. فلما قتل عمر نحل الناس هذه الأبيات للشّمّاخ بن ضرار أو جمّاع بن ضرار. هكذا في الخبر، و هو جزء بن ضرار.

وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة:

و جعل محمد بن سلام في الطبقة الثالثة الشّمّاخ و قرنه بالنابعة و لبيد و أبي ذؤيب الهذليّ، و وصفه فقال: كان [1] العضاء: كل شجر يعظم و له شوك. و الأسوق: جمع ساق.

[2] البوائق: الشرور.

[3]السبتى هنا: الجريء؛ و أزرق العين: يريد به الأعجمي. و المطرق: المسترخي العين.

[4]في الأصول «من الحصبة» و التصحيح عن ابن سعد في العبارة الآتية.

[5]كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «في منزله عمر» و هو تحريف. و قد وردت هذه القصة في «كتاب الطبقات الكبير لابن سعد» (ج 3 ص 241) هكذا: «قال ابن شهاب فأخبرني إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أن أمه أم كلثوم بنت أبي بكر حدثته عن عائشة قالت: لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين قالت: إذ صدرنا هي عرفة مررت بالمحصب سمعت رجلا على راحلته يقول: أين كان عمر أمير المؤمنين فسمعت رجلا آخر يقول: ها هنا كان أمير المؤمنين. قال: فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته...

إلخ» .

شديد متون الشعر أشدّ كلما[1] من لبيد، و فيه كزازة[2]، و لبيد أسهل منه منطلقا. أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه.

قال الحطيئة إنه أشعر غطفان:

و قد قال الحطيئة في وصيته: أبلغوا الشّمّاح أنه أشعر غطفان، قد كتب ذلك في شعر الحطيئة[3].

هو أوصف الناس للحمير:

و هو أوصف الناس للحمير. أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال: أنشد الوليد بن عبد الملك شيئا من شعر الشّمّاح/في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمّارا.

أخبرني إبراهيم بن عبد الله قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال: كان الشّمّاح يهجو قومه و يهجو ضيفه و يمنّ عليه بقراه. و هو أوصف الناس للقوس و الحمار و أرجز الناس على البديهة.

حديث الشّمّاح و مزرد مع أمهما:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال: قال مزرد لأمه: كان كعب بن زهير لا يهابني و هو اليوم يهابني. فقالت: يا بنيّ نعم! إنه يرى جرو الهراش موثقا ببابك. تعني أخاه الشّمّاح. و قد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابيّ عن المفضلّ قال: قالت معاذة بنت بجير بن خلف للشّمّاح و مزرد: عرّضتmani لشعراء العرب الحطيئة و كعب بن زهير. فقال: كلا! لا تخافي. قالت: فما يؤمّني؟ قال: إنك ربطت باب بيتك جروي هراش لا يجترئ أحد عليهما. يعينان أنفسهما.

منازعة قوم امرأته إلى كثير بن الصلت:

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال: كانت عند الشّمّاح امرأة من بني سليم أحد بني حرام بن سماك، فنازعه و ادّعه طلاقا و حضر معها قومها فاختصموا إلى كثير بن الصلت-و كان عثمان بن عفّان أقعده للنظر بين الناس، و هو رجل من كندة و عداده في بني جمح[و قد ولدتهم بنو جمح[4]] ثم تحوّلوا إلى بني العبّاس فهم فيهم اليوم-فرأى كثير عليهم يمينا، فالتوى الشّمّاح باليمين يحرضهم عليها، ثم حلف و قال: /

أنتني سليم قصّها و قضيتها # تمسّح حولي بالبيع سبالها
يقولون لي يا احلف[5] و لست بحالف # أختلهم عنها لكيما أنالها

- [1] عبارة ابن سلام «أشدُّ أسر الكلام من لييد» .
- [2] الكزازة: اليبس و التقبض.
- [3] راجع الجزء الثاني ص 196 من هذه الطبعة.
- [4] هذه الجملة في الأصول و لم ترد في «طبقات لابن سلام» .
- [5] في الأصول: «فاحلف» و التصويب عن «دي؟؟؟» .

ففرّجت همّ النفس عني بحلقة # كما شفت الشقراء عنها جلالها

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكار قال:

قدم ناس من بهز المدينة يستعدون على الشّماخ و زعموا أنه هجاهم و نفاهم، فجدد ذلك الشّماخ. فأمر عثمان كثير بن الصّلت أن يستحلفه على منبر النبيّ صلى الله عليه و سلم: ما هجاهم. فانطلق به كثير إلى المسجد ثم انتحاه دون بني بهز- و بهز: اسمه تيم بن سليم بن منصور- فقال له: و بلك يا شّماخ! إنك لتحلف على منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم، و من حلف به أتما يتبوأ مقعده من النار! قال: فكيف أفعل فداؤك أبي و أمي؟! قال: إني سوف أحلفك ما هجوتهم، فأقلب الكلام عليّ و على ناحيتي فقل: و الله ما هجوتكم، فأردني و ناحيتي بذلك، و إني سأدفع عنك. فلمّا وقف حلف كما قال له و أقبل كثير فقال: ما هجوتكم. فقالت بهز: ما عنى غيركم، فأعد اليمين عليه. فقال: مالي أتأولّه! هل استحلفته إلّا لكم! و ما اليمين إلّا مرّة واحدة! انصرف يا شّماخ. فانصرف و هو يقول: أتتني سليم قصّها و قضيتها # تمسّح حولي بالبقيع سبالها

يقولون لي يا احلف و لست بحالف # أخادعهم عنها لكيما أنالها

فلو لا كثير نعم الله باله # أزلت [1] بأعلى حجّتك نعالها

/ففرّجت همّ الموت عني بحلقة # كما شفت الشقراء عنها جلالها

سألته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجته، و شعره في ذلك:

و نسخت هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدّثني عليّ بن صالح صاحب المصلى قال قال القاسم بن معن: كان الشّماخ تزوّج امرأة من بني سليم فأساء إليها و ضربها و كسر يدها. فعرضت امرأة من قومها، يقال لها أسماء ذات يوم للطريق تسأل عن صاحبها. فاجتاز الشّماخ و هي لا تعرفه: فقالت له: ما فعل الخبيث شّماخ؟ فقال لها: و ما تريد من منه؟ قالت: إنه فعل بصاحبة لنا كيت و كيت. فتجاهل عليها و قال: لا أعلم له خبرا، و مضى و تركها و هو يقول: تعارض أسماء الرّفاق عشية # تسائل عن ضغن النساء التّواكح

و ما ذا عليها إن فلوص تمرّغت # بعدلين أو ألقتهما بالصّاحص [2]

فإنك [3] لو أنكحت دارت بك الرّحا # و ألقيت رحلي سمحة غير طامح

أ أسماء إني قد أتاني مخبّر # بفيقة [4] بنبي منطلقا غير صالح

[1] أزلت: أزلفت. و مرجع الضمير فيه سليم خصومه.

[2] كذا في ج: و الصحاح: جمع صحح و هو الأرض الجرداء المستوية. يريد: ما ذا يهملها من امرأة أساءت عشرة زوجها فأدبها.

و في سائر الأصول: «الصحاح» و هو تحريف.

[3] كذا في «ديوانه» : يريد: لو تزوجتك دارت بك الرحى أي انقلب أمرك و تغير. و ألقىت رحلي أي أنزلتني عندك و أكرمت مثواي.

و سمحة: منقادة. و غير طامح: غير ملتفتة إلى الرجال. و في الأصول: «فإياك إن أنكحت» .

[4] فيقة الضحى: أولها و ارتفاعها.

بعجت إليه البطن ثم انتصته # و ما كلّ من يفشى إليه بناصح

و إني من قوم على أن ذمتهم [1] # إذا أولموا لم يولموا بالأنافح [2]

و إنك من قوم تحنّ نساؤهم # إلى الجانب الأقصى حين المنائح [3]

/ثم دخل المدينة في بعض حوائجها، فتعلقت به بنو سليم يطلبونه بظلامه صاحبتهم، فأنكر. فقالوا: احلف، فجعل يطلب إليهم و يغلظ عليهم أمر اليمين و شدتها عليه ليرضوا بها منه حتى رضوا، فحلف لهم و قال: ألا أصبحت عرسي من البيت جامحا # بغير [4] بلاء أي أمر بدا لها

على خيرة [5] كانت أم العرس جامح # فكيف و قد سقنا إلى الحبي ما لها

سترجع غضبي رئة الحال عندنا # كما قطعت منا بليل وصالها

فذكر بعد هذه الأبيات قوله:

أتني سليم قصّها و قضيتها

إلى آخر الأبيات.

خطب امرأة فتزوجها أخوه جزء فماتا متهاجرين:

و قال ابن الكلبي:

كان الشّماخ يهوى امرأة من قومه يقال لها كلبة بنت جّوال أخت جبل بن جّوال الشاعر ابن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد تميم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة، و كان يتحدّث إليها و يقول فيها الشعر؛ فخطبها فأجابته و همّت أن تتزوجّه. ثم خرج إلى سفر له فتزوجها أخوه جزء بن ضرار، فآلى الشّماخ ألا يكلمه أبدا، و هجاه بقصيدته التي يقول فيها: لنا صاحب قد خان من أجل نظرة # سقيم الفؤاد حبّ كلبة شاغله

فماتا متهاجرين.

استنشد المهدي بن داب من أشعر ما قالت العرب فأنشده من

شعره:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني أحمد بن محمد بن بكر الرّبيريّ قال حدّثنا الحسن بن موسى بن رباح مولى الأنصار عن أبي غزبة الأنصاريّ قال: كنت على باب المهديّ يوما، فخرج حاجبه فقال: أين ابن داب؟ فقال: ها أنا ذا. فقال: ادخل؛ فدخل ثم خرج فجلس. فقلت: يا ابن داب، / ما جرى بينك و بين أمير

المؤمنين؟ قال قال لي: أنشدني أبياتا من أشعر ما [1] كذا في «ديوانه» و في الأصول: «قضيتهم» .

[2] الأنافح: جمع إنفحة (بكسر الهمزة و فتح الفاء) و هي كرش الحمل و الجدي ما لم يأكلا، فإذا أكلا فهي كرش.

[3] المنائح: جمع منيحة و هي المعارة للبن فهي تحنّ لوطنها.

[4] كذا في «تجريد الأغاني» . و في «ديوانه» : «على غير شيء» . و في الأصول: «بخير بلاء» و هو تحريف.

[5] أي على حالة خيرة. و أم للإضراب بمعنى بل.

قالت العرب؛ فأردت أن أنشده قول صاحبك أبي صرمة الأنصاريّ التي يقول فيها: لنا صور يؤول الحقّ فيها # و أخلاق يسود بها الفقير

و نصح للعشيرة حيث كانت # إذا ملئت من الغشّ الصدور

و حلم لا يصبوب الجهل فيه # و إطعام إذا قحط الصّبير [1]

بذات يد على ما كان فيها # نجود [2] به قليل أو كثير

فتركتها و قلت: إن من أشعر ما قالت العرب قول الشّمّاخ: و أشعث قد قد السّفار [3] قميصه # يجرّ شواء [4] بالعصا غير منضج

دعوت إلى ما نابني فأجابني # كريم من الفتیان غير مزّج [5]

فتى يملأ الشّيزى [6] و يروي سنانه # و يضرب في رأس الكمّي المدجج

فتى ليس بالراضي بأدنى معيشة # و لا في بيوت الحيّ بالمتولج

/فقال: أحسنت! ثم رفع رأسه إلى عبد الله بن مالك فقال: هذه صفتك يا أبا العباس. فأكبّ عليه عبد الله فقبل رأسه و قال: ذكرك الله بخير الذّكر يا أمير المؤمنين. قال أبو غزّية فقلت له: الأبيات التي تركت و الله أشعر من التي ذكرت.

عرابة الذي مدحه و نسبه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: عرابة الذي عناه الشّمّاخ بمدحه هو أحد أصحاب النبيّ صلى الله عليه و سلم و هو عرابة بن أوس بن قيطي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج. و إنما قال له الشّمّاخ: عرابة الأوسي، و هو من الخزرج، نسبة إلى أبيه أوس بن قيطي. و لم يصنع إسحاق في هذا القول شيئاً. عرابة من الأوس لا من الخزرج؛ و في الأوس رجل يقال له الخزرج ليس هذا هو الجدّ الذي ينتهي إليه الخزرجيون الذي هو أخو الأوس، هذا الخزرج بن النّبيت بن مالك بن الأوس، و هكذا نسبه النسّابون.

أتى عرابة النبي في غزاة أحد مع غلّمة فردّهم:

و أخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء عن عبد الله بن جعفر بن مصعب عن جدّه مصعب الزّبيريّ عن ابن القدّاح: و أتى النبيّ صلى الله عليه و سلم في غزاة أحد ليغزو معه؛ فردّه في غلّمة استصغروهم: منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب و زيد بن ثابت و أسيد بن حضير و البراء بن عازب و عرابة بن أوس و أبو سعيد الخدريّ.

- [1]الصبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.
- [2]في الأصول: «يجود» . و السياق يقتضي ما أثبتناه.
- [3]السفار: السفر، أي رب أشعث شقت كثرة السفر و كثرة العمل لرفقائه ثوبه.
- [4]في «ديوانه» : «و جر الشواء بالعصا غير منضج» .
- [5]المزlj: الملقق بالقوم و ليس منهم، و الرجل الناقص المروءة.
- [6]الشيزي: خشب تتخذ منه القصاع.

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبري عن الحارث بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حميد بن سلمة عن ابن إسحاق.

قصة أبي عرابة و عمه مع النبي:

وأوس بن قيثي أبو عرابة من المنافقين الذين شهدوا أحدا مع النبي صلى الله عليه و سلم و هو الذي قال له: إن بيوتنا عورة.

و أخوه مربع [1] بن قيثي الأعمى/الذي حثا في وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم التراب لما خرج إلى أحد و قد مرّ في حائطه [2] و قال له: إن كنت نبيا فما أحل لك أن تدخل في حائطي. فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوسه فشجّه و قال: دعني يا رسول الله أقتله فإنه منافق. فقال صلى الله عليه و سلم: «دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر». فقال أخوه أوس بن قيثي أبو عرابة:

لا و الله/ و لكنها عداوتكم يا بني عبد الأشهل. فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا و الله و لكنه نفاقكم يا بني قيثي» .

كان عرابة سيّدا في قومه و أبوه من وجوه المنافقين:

أخبرنا بذلك الحرمي عن عبد الله بن جعفر الزبير عن جده مصعب عن ابن القدّاح:

أن عرابة كان سيّدا من سادات قومه و جوادا من أجوادهم، و كان أبوه أوس بن قيثي من وجوه المنافقين.

لقي الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعدة، و أخبرني عليّ بن سليمان عن محمد بن يزيد، و أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم:

أنّ الشماخ خرج يريد المدينة، فلقه عرابة بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي.

و كان معه بعيران فأوقرهما له برّا و تمرا و كاسه و برّه و أكرمه. فخرج عن المدينة و امتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها:

رأيت عرابة الأوسيّ يسمو # إلى الخيرات منقطع القرين

سأله معاوية بأي شيء سدت فأجاب:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال:

/قال معاوية لعرابة بن أوس: بأي شيء سدت قومك؟ فقال: أعفو عن جاهلهم، و أعطيت سائلهم، و أسعى في حاجاتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي، و من قصر عنه فأنا خير منه، و من زاد فهو خير مني. قال الأصمعي: و قد انقرض عقب عرابة فلم يبق منهم أحد.

اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر:

أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال ابن دأب و سمع قول الشمّاخ بن ضرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

[1] كذا في «سيرة ابن هشام» ص 559. و في الأصول: «مرفع»
بالفاء.

[2] الحائط: البستان.

إنك يا ابن جعفر نعم الفتى # و نعم مأوى طارق إذا أتى
و جار ضيف طرق الحيّ سرى # صادف زادا و حديثا ما اشتهى
إن الحديث طرف من القرى

فقال ابن دأب: العجب للشّمّاخ! يقول مثل هذا لابن جعفر و يقول
لعرابة: إذا ما راية رفعت لمجد # تلقّاها عرابة باليمين
ابن جعفر كان أحقّ بهذا من عرابة!.

نقد أبو نواس بيتا له و وازنه بعشر الفرزدق:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني الكرانيّ محمد بن سعد قال
حدّثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكيّس قال قال لي أبو نواس: ما أحسن
الشّمّاخ في قوله: إذا بلغّنتي و حملت رحلي # عرابة فاشرقي بدم
الوتين[1]

/لا كما قال الفرزدق:

علام تلقّتين و أنت تحتي # و خير الناس كلّهم أمامي
متى تردي الرّصافة تستريحي # من التّهجير[2] و الدّبر الدّوامي

قلت أنا: و قد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داود بن سلم في مدحه قثم
بن العباس فأحسن فقال: نجوت من حلي و من رحلتي # يا ناق إن أدنيتني
من قثم

إنك إن أدنيت منه غدا # حالفنا اليسر و مات العدم
/في كفه بحر و في وجهه # بدر و في العرين منه شمم
أصمّ عن قيل الخنا سمعه # و ما عن الخير به من صمم
لم يدر ما «لا» و «بلى» قد درى # فعافها و اعتاض منها «نعم»

نقد عبد الملك بن مروان شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخراز عن المدائنيّ قال: أنشد عبد
الملك قول الشّمّاخ في عرابة بن أوس:

إذا بلّغّنتي و حملت رحلي # عرابة فاشرقي بدم الوتين

فقال: بثّست المكافأة كافأها! حملت رحله و بلّغته بغيته فجعل مكافأتها
نحرها!.

[1]الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.

[2]التهجير: المشي في الهاجرة. و الدبر (بفتحتين) جمع دبرة
(بفتحتين) وهي قرحة الدابة.

المهلب و الشعراء:

قال الخزاز: و مثل هذا ما حدّثناه المدائني عن ابن دأب أن رجلا لقي المهلب فنحر ناقته في وجهه؛ فتطير من ذلك و قال له: ما قصّتك؟ فقال:

إني نذرت لئن لقيتك سالما # أن تستمرّ بها شفار الجازر

فقال المهلب: فأطعمونا من كبد هذه المظلومة، و وصله.

قال المدائني: و لقيته امرأة من الأزد و قد قدم من حرب كان نهض إليها، فقالت: أيها الأمير، إني نذرت إن وافيتك سالما أن أقبل يدك و أصوم يوما/و تهب لي جارية صغديّة [1] و ثلاثمائة درهم. فضحك المهلب و قال: قد و فينا لك بنذرك فلا تعاودي مثله، فليس كل أحد يفى لك به.

المهدي و أبو دلامة:

و أخبرني الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني بعض أصحابنا عن القحذمي: أن أبا دلامة لقي المهديّ لما قدم بغداد، فقال له:

إني نذرت لئن رأيتك واردا # أرض العراق و أنت ذو وفر

لتصلينّ على النبيّ محمد # و لتملأنّ دراهما حجري

فقال له: أما النبيّ فصلّى الله على النبيّ محمد و آله و سلّم، و أمّا الدراهم فلا سبيل إليها. فقال له: أنت أكرم من أن تعطيني أسهلها عليك و تمنعني الأخرى. فضحك و أمر له بما سأل. و هذا مما ليس يجري في هذا الباب و لكن يذكر الشيء بمثله.

لطيفة الأعرابي على مائدة عبد الملك بن مروان بسبب بيت له:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا مسعود بن عيسى العبديّ قال حدّثني أحمد بن طالب الكناني (كنانة تغلب) ، و أخبرني به محمد بن أحمد بن الطلاس عن الخزاز عن المدائنيّ لم يتجاوز به قال:

نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد. فنظر إليه خادم لعبد الملك فأنكره، فقال له: أعرابيّ أنت؟ قال: نعم. قال: أنت جاسوس؟ قال: لا. قال: بلى. قال:

وبحك! دعني أتهنأ بزاد أمير المؤمنين و لا تنعصني به. ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال من القائل:

إذا الأرطى[2]توسّد أبرديه # حدود جوازئ بالرّمّل عين

[1]صغدية: نسبة إلى الصغد و هي كورة قصبته سمرقند.

[2]قال البغدادي نقلا عن ابن قتيبة: الأرطى: شجر من أشجار البادية تدغ به الجلود. و هو مفعول لفعل محذوف أي إذا توسد الأرطى.

و أبرديه بدل اشتمال من الأرطى. و معنى توسد أبرديه: اتخذهما كالوسادة. و الأبردان: الظل و الفيء، سميا بذلك لبردهما، و أبردان أيضا: الغداة و العشي. و حدود فاعل توسد. و الجوازئ: الطباء و بقر الوحش، سميت جوازئ لأنها اجتزأت بأكل النبت الأخضر عن الماء. قال في «اللسان» في مادة جزأ: الطباء لا تعني في هذا البيت كما ذهب إليه ابن قتيبة؛ لأن الطباء لا تجزأ بالكلا عن الماء، و إنما عني البقر. و يقوي ذلك أنه قال عين، و العين من صفات البقر لا من صفات الطباء. و العين. الواسعات العيون،

و ما معناه؟ و من أجاب فيه أجزناه، و الخادم يسمع. فقال العراقي للخادم: أ تحب أن أشرح لك قائله و فيم قاله؟ قال: نعم. قال: يقوله عدي بن زيد في صفة البطيخ الرَّمسيّ. فقال ذلك الخادم. فضحك عبد الملك حتى سقط.

فقال له الخادم: أخطأت أم أصبت؟ فقال: بل/أخطأت. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا العراقي فعل الله به و فعل لقننيه. فقال: أي الرجال هو؟ فأراه إياه. فعاد إليه عبد الملك و قال: أنت لقنته هذا؟ قال: نعم. قال: أ فخطأ لقنته أم صواباً؟ قال: بل خطأ. قال: و لم؟ قال: لأنني كنت متحرماً بمائدتك فقال لي كيت و كيت، فأردت أن أكفه عني و أضحكك. قال: فكيف الصواب؟ قال: يقوله الشّمّاح بن ضرار الغطفاني في صفة البقر الوحشيّة قد جزأت بالرّطب عن الماء. قال: صدقت و أجازته، ثم قال له: حاجتك؟ قال: تنحّي هذا عن بابك فإنه يشينه.

سأل كثير يزيد بن عبد الملك عن معنى بيت له فسيبه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الرّبير بن بكّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أن أبا عبيدة حدّثه عن غير واحد من أهل المدينة:

/أن يزيد بن عبد الملك لما قدم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل إليه كثير يرجو أكثر من ذلك، و كان قد عوّده من كان قبل يزيد من الخلفاء أن يلقي عليهم بيوت الشعر و يسألهم عن المعاني. فألقى على يزيد بيتاً و قال: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشّمّاح بقوله:

فما أروى و إن كرمت علينا # بأدنى من موقفة حرون[1]

تطيف على الرّماة فتتقيهم # بأوعال معطفة القرون[2]

فقال يزيد: و ما يضّرّ يا ماصّ بظر أمّه ألاّ يعلم أمير المؤمنين هذا! و إن احتاج إلى علمه سأل عبداً مثلك عنه!. فندم كثير و سكته من حضر من أهل بيته، و قالوا له: إنه قد عوّده من كان قبلك من الخلفاء أن يلقي عليه أشباه هذا، و كانوا يشتهونه منه و يسألونه إياه؛ فطفئ عنه غضبه. و كانت جائزته ثلاثين ألفاً، و كان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص.

و أخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سلام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشّمّاح:

و قد عرفت مغابنها و جادت # بدّرّتها قرى حجن قتين[3]

-جمع عيناء. و المعنى: أن الوحوش تتخذ كناسين عن جانبي الشجر تستتر فيهما من حر الشمس فترقد قبل زوال الشمس في الكناس الغربي، فإذا زالت الشمس إلى ناحية المغرب و تحول الظل فصار فيئا زالت عن الكناس الغربي و رقدت في الكناس الشرقي. (راجع «ديوانه» ص 94) .

[1]كذا في ج و «ديوانه» . و قد جاء فيه شرح هذا البيت هكذا:
الموقف: الأروية (أنشى الوعول) التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل.

و الوقف: الخلخال. و التوقيف: البياض مع السواد. فأراد أن في قوائمها خطوطا تخالف لونها. و الحرون: التي تحرن في أعلى الجبل فلا تبرح. و أروى: اسم محبوبته. يريد أن محبوبته ليست بأقرب من هذه الأروية التي لا تنال. و في سائر الأصول: «مفوقة» و هو تحريف.

[2]أي تطيف بهذه الأروية الرماة فلا تبرح لأنها في أعلى الجبل و دونها أو عال فلا يصل إليها نبل الرماة، لأنهم يرمون الأوعال لأنها أقرب إليهم فكأنها تقي نفسها بها. و إنما يؤكد بهذا بعدها و أنها لا يقدر عليها.

[3]كذا في «ديوانه» و «اللسان» مادة «حجن و حجن» و المغابن: الآباط، و قيل: الأرفاغ. و القتين: مثل الحجن، أراد به قرادا سيئ الغذاء، و جعل عرق هذه الناقة قوتا له. و في الأصول: «بدرتها بها حجن قتين» .

/فسكت عنه يزيد، فقال يزيد: و ما على أمير المؤمنين لا أمّ لك ألاّ يعرف هذا! هو القراد أشبه الدوابّ بك!.

تمثل ابن الزبير بيت له في حوار له معاوية:

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدّثنا عليّ بن صالح صاحب المصلّى قال حدّثنا ابن دابّ قال: قال معاوية لعبد الله بن الزبير و هو عنده بالمدينة في أناس: يا ابن الزبير، أ لا تعذرني في حسن بن عليّ! ما رأيتك مذ قدمت المدينة إلاّ مرّة. قال: دع عنك حسنا، فأنت و الله و هو كما قال الشّمّاح: أجامل أقواما حياء و قد أرى # صدورهم تغلي عليّ مرضاهما

و الله لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك! و الله لأهل العراق أرام له من أمّ الحوار لحوارها. فقال معاوية رحمه الله: أردت أن تغريني به! و الله لأصلنّ رحمه و لأقبلنّ عليه، و قال: ألا أيّها المرء المحرّش بيننا # ألا اقتل أخاك لست قاتل أربد

أبى قربه متّي و حسن بلائه # و علمي بما يأتي به الدهر في غد

-و الشعر لعروة بن قيس- فقال ابن الزبير: أما و الله إني و إياه ليد عليك بحلف [1]/الفضول. فقال معاوية: من أنت! لا أعرض لك و حلف الفضول! و الله ما كنت فيها إلا كالرّهينة/تخن معنا و تردى هزيلا، كما قال أخو همدان: إذا ما بعير قام علق رحله # و إن هو أبقى بالحياة مقطعا [2]

صوت من مدن معبد

صوت معبد في شعر كثير بن كثير بن المطلب:

و هو الذي أوّله:

كم بذاك الحجون من حيّ صدق # أسعداني بعبرة أسراب

من شئون كثيرة التّسكاب # إن أهل الحصاب قد تركوني

موزعا مولعا بأهل الحصاب # كم بذاك الحجون من حيّ صدق

و كهول أعقّة و شباب # سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو

سى إلى النخل من صفّي السّباب

[1]حلف الفضول: حلف تداعت له قريش و اجتمعوا من أجله في دار عبد الله بن جدعان تعاهدوا فيه على ألا يجدوا بمكة مظلوما إلا ردوا عليه مظلّمته، كان قبل البعث بعشرين سنة. و أوّل من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب. و سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة بتجارة له، فاشترها منه العاص

بن وائل و حبس عنه ثمنا. فاستعدى عليه الزبيدي الأحناف من قريش فأبوا أن يعينوه على العاص لمكانته فيهم. فأرقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس و قريش في أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته: يا آل فهر لمظلوم بضاعته # ببطن مكة نائي الدار و النفر

فقام الزبير بن عبد المطلب و اجتمعت هاشم و زهرة و تيم في دار ابن جدعان و تعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي عليه حقه. فسمي ذلك الحلف حلف الفضول و قالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر. ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي و ردّوها إليه.

[2] كذا ورد هذا البيت في الأصول. -

فارقوني و قد علمت يقينا # ما لمن ذاق مية من إياب

فلي الويل بعدهم و عليهم # صرت فردا و ملني أصحابي

عروضه من الخفيف. الشئون: الشعب التي يتداخل بعضها في بعض من عظام الرأس، واحدها شأن مهموزا.

و الجزع: منعطف الوادي. و صفيّ [1] السباب: جمع صفاة و هي الحجارة. و لُقبت صفيّ السباب لأن قوما من قريش و مواليهم كانوا يخرجون إليها بالعشيات يتشائمون و يذكرون المعايب و المثالب التي يرمون بها؛ فسميت تلك الحجارة صفيّ السباب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد التوفلي عن أبيه قال يقال: صفا السباب و صفيّ السباب بفتح الفاء و كسرهما جميعا، و هو شعب من/شعاب مكة فيها صفا أي صخر مطروح. و كانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشائمون و ذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال؛ ثم صار ذلك في صدر من الإسلام أيضا حتى نشأ سديف مولى عتبة [2] ابن أبي سديف و شبيب مولى بني أمية، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم و هذا في موالي بني أمية، فيفتخرون ثم يتشائمون ثم يتجالدون بالسيوف. و كان يقال لهم السديفة و الشبيبة. و كان أهل مكة مقتسمين بينهما في العصبية؛ ثم درس ذلك فصارت العصبية بمكة بين الجرارين و الحنّاطين، فهي بينهم إلى اليوم، و كذلك بالمدينة في القمار و غيره.

الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي، و قيل: بل هو لكثير عزة. و قد روي في ذلك خبر نذكره. و الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. و ذكر عمرو بن بانه أن فيه ثقيلًا أول بالخنصر للغربض و لحنا آخر لابن عبّاد و لم يجنسه. و لابن جامع في الخامس و السادس رمل بالوسطى. و لابن سريح في الأربعة الأول ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و لابن أبي دباكل الخزاعي فيها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي و أبي أيوب المدني و حبش. فمن روى هذا الشعر لكثير عزة يرويه: إن أهل الخصاب قد تركوني

و يزعم أن كثيرا قاله في خصاب/خضبته عزة به.

ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير و عزة فيغني بشعر:

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة و لم يتجاوزهُ، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني الزّبيريّ/قال حدّثني بهذا الخبر أيضا و فيه زيادة و خبره أحسن و أكثر تلخيصا و أدخل في معني الكتاب، قال الزّبيريّ حدّثني أبي قال: خرجت إلى ناحية فيد[3] متنزّها، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزّبير و إحدى يديه على يد هذا و الأخرى على يد هذا، و هو يمشي بينهما كأنه امرأة تجلى على زوجها. فلما رأيتهم دنوت فسلمت و كنت أحدث القوم سنا، فاشتبهت غناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع. و كان ابن عائشة إذا هيجته تحرّك. فقلت: رحم الله كثيرا [1] صفيّ: جمع صفا، و صفا جمع صفاة. فصّى جمع الجمع لصفاة.

[2] في جـ: «مولى بني عتبة بن سديف» .

[3] فيد: منزل بطريق مكة.

و عَزَّة! ما كان أوفاهما و أكرمهما و أصونهما لأنفسهما! لقد ذكرت بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عَزَّة حين خضبت كثيراً. فقال ابن عائشة: و كيف كان حديث ذلك؟ قلت: حدّثني من حضره بذلك- و من هاهنا تتفق رواية عمر بن شَبَّة و الزَّبيرِيّ- قال: خرج كثير يريد عَزَّة و هي منتجة بالصَّواري و هي الأودية بناحية فدك، فلما كان منها قريباً و علم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابياً فقال له: اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأة جسيمة لحيمة تبالط الرجال الشعر- قال إسحاق: المبالطة: أن تنشد أوّل الشعر و آخره- فإذا رأيته فناد: من رأى الجمل الأحمر؟ مراراً. ففعل. فقالت له: ويحك قد أسمعت فانصرف إليه فأخبره. فلم يلبث أن أقبلت جارية معها طست و تور[1] و قربة ماء حتى انتهت إليه، ثم جاءت بعد ذلك عَزَّة فرأته جالسا محتبياً قريباً من ذراع راحلته. فقالت له: ما على هذا فارقتك!. فركب راحلته و هي باركة و قامت إلى لحيته فأخذت الثور فخضبته و هو على ظهر جملة حتى فرغت من خضابه، ثم نزل فجعل يتحدّثان حتى علق الخضاب، ثم قامت إليه فغسلت لحيته و دهنته، ثم قام فركب و قال: /

إنّ أهل الخضاب قد تركوني # موزعاً مولعاً بأهل الخضاب

و ذكر باقي الأبيات كلّها. و إلى هاهنا رواية عمر بن شَبَّة. فقال ابن عائشة: فأنا و الله أغنيه و أجيده، فهل لكم في ذلك؟ فقلنا: و هل لنا عنه مدفع! فاندفع يغني بالأبيات، فخيّل إليّ أن الأودية تنطق معه حسناً. فلما رجعنا إلى المدينة قصصت القصّة، فقيل لي: إن ذلك أحسن صوت يغنيه ابن عائشة؟ فقلت: لا أدري إلاّ أنني سمعت شيئاً وافق محبّتي.

معبد و ابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما:

و قال عبد الله بن أبي سعد حدّثني عبد الله بن الصَّبَّاح عن هشام بن محمد عن أبيه قال: زار معبد ابن سريج و الغريض بمكة؛ فخرجا به إلى التَّنْعيم[2] ثم صاروا إلى التَّنِيّة العليا ثم قالوا: تعالوا حتى نبكي أهل مكة؛ فاندفع ابن سريج فغنى صوته في شعر كثير بن كثير السَّهمي: أسعديني بعبرة أسراب # من دموع كثيرة التَّسكاب

فأخذ أهل مكة في البكاء و أتوا حتى سمع أنينهم. ثم غنى معبد:

صوت

يا راكبا نحو المدينة جسر # أجدا[3] تلاعب حلقة و زماما

/اقرأ على أهل البقيع من امرئ # كمد على أهل البقيع سلاما

كم غيّبوا فيه كريما ما جدا # شهما و مقتبل الشباب غلاما
و نفيسة في أهلها مرجوة # جمعت صباحة صورة و تماما

[1] تور: إناء صغير.

[2] التنعيم: موضع بمكة على بعد فرسخين منها. و منه يحرم المكيون
بالعمرة.

[3] ناقة جسرة: ضخمة. و أجد: قوية موثقة الخلق.

فنادوا من الدروب بالويل و الحرب و السّلب، و بقي الغريض لا يقدر
من البكاء و الصّراخ أن يغتبي.

/الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى، و ذكر
عمرو بن بانه أنه ليحيى المكي، و قد غلط. و ذكر حبش أن لعلويه فيه ثقيلًا
أوّل آخر.

صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريح:

و من مدن معبد.

صوت

و قد أضيف إليه غيره من القصيدة:

سلي[1] هل قلاني من عشير صحبتي # و هل ذمّ رحلي في الرّفاق رفيق
و هل يجتوي القوم الكرام صحابتي # إذا اغبرّ مخشيّ الفجاج عميق
و لو تعلمين الغيب أيقنت أنّي # لكم و الهدايا المشعرات صديق
تكاد بلاد الله يا أمّ معمر # بما رحبت يوما عليّ تضيق
أذود سوام الطّرف عنك و هل لها # إلى أحد إلّا إليك طريق
و حدّثني يا قلب أنك صابر # على البين من لبنى فسوف تذوق
مت كمدا أو عش سقيما فإنما # تكلفني ما لا أراك تطيق
بلبنى أنادي عند أوّل غشية # و لو كنت بين العائدات أفيق
إذا ذكرت لبنى تجلّتك زفرة # و يشني لك الدّاعي بها فتفيق

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن ذريح. و الغناء لمعبد في اللحن
المذكور ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق في الأول و الثاني
و الثالث. و ذكر في موضع. آخر وافقته[2] دنانير أن لمعبد ثقيلًا أوّل بالبنصر
في مجرى الوسطى أوّله:

صوت

أ تجمع قلبا بالعراق فريقه # و منه بأطلال الأراك فريق
فكيف بها لا الدار جامعة التّوى # و لا أنت يوما عن هواك تفيق
و لو تعلمين الغيب أيقنت أنّي # لكم و الهدايا المشعرات صديق

البيتان الأوّلان يرويان لجريير و غيره، و الثالث لقيس بن ذريح أضافه
إليهما معبد. و ذكر عمرو و يونس أن لحن معبد [1] في الأصول: «سلا» و
الخطاب لأنثى. و قبل البيت: و إن كنت لما تخبريني فسائلي # فبعض
الرجال للرجال رموق

(راجع هذه القصيدة بتمامها في «الأمالي» ج 2 ص 257) و القصيدة
فيه منسوبة لمضرس بن قرط بن الحارث المزني.

[2] كذا بالأصول: و لعله: و مرافقته دنانير. أو: وافقته فيه دنانير.

الأول في خمسة أبيات أولى من الشعر. و ذكر عمرو بن بانه أن لبذل
الكبيرة خفيف رمل بالوسطى في الرابع من الأبيات و بعده: دعون الهوى ثم
ارتمين قلوبنا # بأعين أعداء و هنّ صديق

و بعده الخامس من الأبيات و هو «أزود سوامّ الطّرف» . و زعم حبش
أن في لحن معبد الثاني الذي أوله: «أ تجمع قلبا» لابن سريج خفيف رمل
بالبنصر، و ذكر أيضا أن للغريض/في الأول و الثاني و السابع ثاني ثقيل
بالبنصر، و لابن مسجح خفيف رمل بالبنصر. و في السادس و ما بعده لحكم
الوادي ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.
و ذكر حبش أن للغريض فيها ثقيلًا أول بالوسطى.

9- ذكر قيس بن ذريح و نسبه و أخباره

نسبه:

هو، فيما ذكر الكلبيّ و القحزميّ و غيرهما، قيس بن ذريح بن سنّة بن حذافة بن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة و هو عليّ بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. و ذكر أبو شراعة القيسيّ [1] أنه قيس بن ذريح بن الحباب بن سنّة؛ و سائر النسب متفق. و احتجّ بقول قيس: فإن يك تهيامي بلبنى غواية # فقد يا ذريح بن الحباب غويت

و ذكر القحزميّ أن أمّه بنت سنّة بن الذاهل [2] بن عامر الخزاعيّ، و هذا هو الصحيح؛ و أنه كان له خال يقال له عمرو بن سنّة شاعر، و هو الذي يقول: ضربوا الفيل بالمغمس [3] حتى # ظلّ يحبو كأنه محموم

و فيه يقول قيس:

أنبتت أنّ لخالي هجمة [4] حبسا # كأثهن بجنب المشعر النّصل [5]

قد كنت فيما مضى قدما تجاورنا # لا ناقة لك ترعاها و لا جمل

ما ضرّ خالي عمرا لو تقسّمها # بعض الحياض و جمّ البئر محتفل [6]

هو رضيع الحسين بن علي:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدّثني جزء بن قطن قال حدّثنا جسناس بن محمد بن عمرو/أحد بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السريّ عن هشام بن الكلبيّ قال حدّثني عدد من الكِنَانِيِّين: أن قيس بن ذريح كان رضيع الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، أرضعته أمّ قيس.

[1] كذا في ج و «الأغاني»: (ج 7 ص 232 من هذه الطبعة) . و في سائر الأصول: «أبو شراعة الضبي» . و هو تحريف.

[2] في «تجريد الأغاني»: «الكاهل» .

[3] المغمس: موضع قرب مكة في طريق الطائف.

[4] الهجمة من الإبل: أولها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين إلى المائة.

[5] النصل: جمع نصيل، و هو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة، يشبه به رأس البعير و خرطومه إذا رجف في سيره.

[6] جم الماء: معظمه. و محتفل: ملآن. يريد: ما على خالي أن نصيب
من ماله و هو غني أكثر.

أول عشيقه لبني ثم زواجه بها:

أخبرنا بخبر قيس و لبني امرأته جماعة من مشايخنا في قصص متصلة و منقطة و أخبار منثورة و منظومة، فألفت ذلك أجمع ليُنسق حديثه إلا ما جاء مفردا و عسر إخراجة عن جملة النظم فذكرته على حدة. فممن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة و لم يتجاوزهُ إلى غيره، و إبراهيم بن محمد بن أيوب عن ابن قتيبة، و الحسن بن عليّ عن محمد بن موسى بن حمّاد البربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جزء بن قطن عن جساس بن محمد عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي و على روايته أكثر المعوّل. و نسخت أيضا من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القحذمي عن رجاله، و خالد بن كلثوم عن نفسه و من روى عنه، و خالد بن جمل و نتفا حكاها اليوسفي صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حمّاد عن جميل عن ابن أبي جناح الكعبي. و حكيت كلّ متفق فيه متصلا، و كل مختلف في معانيه منسوبا إلى راويه. قالوا جميعا:

كان منزل/قومه في ظاهر المدينة، و كان هو و أبوه من حاضرة المدينة. و ذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان يسرف[1]، و احتجّ بقوله:

الحمد لله قد أمست مجاورة # أهل العقيق و أمسينا على سرف

قالوا: فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمة منها و الحيّ خلوف[2] و الخيمة خيمة لبني بنت الحباب الكعبيّة، فاستسقى ماء، فسقته و خرجت/إليه به، و كانت امرأة مديدة القامة شهلاء[3] حلوة المنظر و الكلام. فلما رآها وقعت في نفسه، و شرب الماء. فقالت له: أتزل فتتبرّد عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. و جاء أبوها فنحر له و أكرمه. فانصرف قيس و في قلبه من لبني حرّ لا يطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع و روي. ثم أتاها يوما آخر و قد اشتدّ وجده بها، فسلم فظهرت له و ردّت سلامه و تحفّت به؛ فشكا إليها ما يجد بها و ما يلقي من حبّها، و شكّت إليه مثل ذلك فأطالت؛ و عرف كلّ واحد منهما ما له عند صاحبه. فانصرف إلى أبيه و أعلمه حاله و سأله أن يزوجه إياها. فأبى عليه و قال: يا بني، عليك بإحدى بنات عمك فهنّ أحقّ بك. و كان ذريح كثير المال موسرا، فأحبّ ألا يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرف قيس و قد ساءه ما خاطبه أبوه به. فأتى أمّه فشكا ذلك إليها و استعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحبّ. فأتى الحسين بن عليّ بن أبي طالب و ابن أبي عتيق فشكا إليهما ما به و ما ردّ عليه أبوه. فقال له الحسين: أنا أكفيك. فمشى معه إلى أبي

لبنى. فلما بصر به أعظمه و وثب إليه، و قال له: يا ابن رسول الله، ما جاء بك؟ أ لا بعثت إليّ فأتيتك! قال: إن الذي جئت فيه يوجب قيّصك و قد جئتك خاطبا ابنتك لبنى لقيس بن ذريح. فقال: يا ابن رسول الله، ما كُنّا لنعصي لك أمرا و ما بنا عن الفتى رغبة، و لكن أحبّ الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا و أن يكون ذلك عن أمره، فإننا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عارا و سبّة علينا. فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحا و قومه و هم مجتمعون، فقاموا إليه إعظاما له و قالوا له مثل قول الخزاعيين. فقال لذريح: أقسمت عليك إلا خطبت لبنى لابنك قيس. قال: السمع و الطاعة لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا لبنى فخطبها/ذريح على ابنه إلى أبيها فزوجه إيّاها، و زفّت إليه بعد ذلك.

[1]سرف: موضع على ستة أميال من مكة.

[2]خلوف: غيب.

[3]الشهلاء: التي يخالط سواد عينيها زرقة.

أبواه يغريانه بطلاقها و يأبى هو:

فأقامت معه مدّة لا ينكر أحد من صاحبه شيئاً. و كان أبرّ الناس بأُمّه، فألهته لبنى و عكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أمّه في نفسها و قالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برّي؛ و لم تر للكلام في ذلك موضعاً حتى مرض مرضاً شديداً. فلما برأ من علته قالت أمّه لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيس و ما يترك خلفاً و قد حرم الولد من هذه المرأة، و أنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة [1]، فزوّجه غيرها لعل الله أن يرزقه ولداً، و ألحّت عليه في ذلك. فأمهل قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك و لا ولد لك و لا لي سواك. و هذه المرأة ليست بولود؛ فتزوّج إحدى بنات عمك لعلّ الله أن يهب لك ولداً تقرّ به عينك و أعيننا. فقال قيس: /لست متزوّجا غيرها أبداً. فقال له أبوه: فإن في مالي سعة فتسرّ بالإماء. قال: و لا أسوءها بشيء أبداً و الله. قال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طلقتها. فأبى و قال: الموت و الله عليّ أسهل من ذلك، و لكنني أخيرك خصلة من ثلاث خصال. قال: و ما هي؟ قال: تتزوّج أنت فلعلّ الله أن يرزقك ولداً غيري. قال: فما فيّ فضلة لذلك.

قال: فدعني أرتحل عنك بأهلي و اصنع ما كنت صانعا لو متّ في علّتي هذه. قال: و لا هذه. قال: فادع لبنى عندك و أرتحل عنك فلعلّي أسلوها فإني ما أحبّ بعد أن تكون نفسي طيِّبة أنها فيّ خيالي. قال: لا أرضى أو تطلقها، و حلف لا يكّنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى، فكان يخرج فيقف في حرّ الشمس، و يجيء قيس فيقف إلى جانبه فيظله بردائه و يصلّى هو بحرّ الشمس/حتى يفيء الفيء فينصرف عنه، و يدخل إلى لبنى فيعانقها و تعانقه و يبكي و تبكي معه و تقول له: يا قيس، لا تطع أباك فتهلك و تهلكني. فيقول: ما كنت لأطبع أحداً فيك أبداً. فيقال: إنه مكث كذلك سنة. و قال خالد بن كلثوم: ذكر ابن عائشة أنه أقام على ذلك أربعين يوماً ثم طلقها. و هذا ليس بصحيح.

طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها، و شعره في ذلك:

أخبرني محمد بن خلف و كيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثني يحيى بن معين قال حدّثنا عبد الرزّاق قال أخبرنا ابن جريح قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو:

أنه سمع قيس بن ذريح يقول لزيد بن سليمان: هجرني أبواي في لبنى عشر سنين أستاذن عليهما فيردّاني حتى طلقتهما. قال ابن جريح: و أخبرت

أن عبد الله بن صفوان الطويل لقي ذريحا أبا قيس فقال له: ما حملك على أن فرقت بينهما؟ أمّا علمت أن عمر بن الخطاب قال: ما أبالي أ فرقت بينهما أو مشيت إليهما بالسيف. و روى هذا الحديث إبراهيم بن يسار الزمادني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذريح بن سئدة أبي قيس: أحلّ لك أن فرقت بين قيس و لبنى؟! أما إنني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أبالي أ فرقت بين الرجل و امرأته أو مشيت إليهما بالسيف. قالوا: فلما بانت لبنى بطلاقه إياها و فرغ من الكلام، لم يلبث حتى استطير عقله و ذهب به و حلّقه مثل الجنون. و تذكر لبنى و حالها معه فأسف و جعل يبكي و ينشج أحرّ نشج.

و بلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، و قيل: بل أقامت حتى انقضت عدّتها و قيس يدخل عليها. فأقبل أبوها بهودج على ناقة و يابل تحمل أثارها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: ويحك! ما دهاني فيكم؟ فقالت:

[1]اختلف في معنى الكلالة فقيل: إن الكلالة الرجل الذي لا ولد له و لا والد؛ أو من عدا الأب و الابن من الورثة؛ و قيل من عدا الأب و الابن و الأخ؛ و قيل ما لم يكن من النسب لحا، أي لاصقا؛ و قيل الإخوة لأم.

لا تسألني و سل لبنى. فذهب ليلمّ بخبائها/فيسألها، فمنعه قومها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: ما لك ويحك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل! هذه لبنى ترتحل الليلة أو غدا. فسقط مغشيا عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول: وإني لمفن دمع عيني بالبكا # حذار الذي قد كان أو هو كائن

و قالوا غدا أو بعد ذاك بليلة # فراق حبيب لم بين و هو بائن

و ما كنت أخشى أن تكون مني # بكفك إلا أن ما حان حائن

/في هذه الأبيات غناء و لها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون. قال و قال قيس: يقولون لبنى فتنة كنت قبلها # بخير فلا تندم عليها و طلق

فطاوعت أعدائي و عاصيت ناصحي # و أقررت عين الشامت المتخلق [1]

وددت و بيت الله أتي عصيتهم # و حملت في رضوانها كل موبق [2]

و كلّفت خوض البحر و البحر زاخر # أبيت على أثاج موج مغرق

كأني أرى الناس المحبين بعدها # عصارة ماء الحنظل المتفلق

فتنكر عيني بعدها كل منظر # و يكره سمعي بعدها كل منطلق

قال: و سقط غراب قريبا منه فجعل ينعق مرارا، فتطير منه و قال:

لقد نادى الغراب بين لبنى # فطار القلب من حذر الغراب

و قال غدا تباعد دار لبنى # و تنأى بعد ودّ و اقتراب

فقلت تعست ويحك من غراب # و كان الدهر سعيك في تباب

/و قال أيضا و قد منعه قومه من الإلمام بها:

صوت

ألا يا غراب البين ويحك نبتني # بعلمك في لبنى و أنت خبير

فإن أنت لم تخبر بما قد علمته # فلا طرت إلا و الجناح كسير

و درت بأعداء حبيبك فيهم # كما قد تراني بالحبيب أدور

غنى سليمان أخو حجة رملا بالوسطى.

قالوا: و قال أيضا و قد أدخلت هودجها و رحلت و هي تبكي و يتبعها:

[1] المتخلق: الذي يتكلف ما ليس في خلقه.

[2] الموبق: المهلك.

صوت

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري # بخير كما خبّرت بالنأي و الشّر
و قلت كذاك الدهر ما زال فاجعا # صدقت و هل شيء بياق على الدهر

عنى فيهما ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي. و ذكر حبش أن
لقفا النجار فيهما ثقيلاً أول بالوسطى. قالوا: فلما ارتحل قومها اتبعها مليا،
ثم علم أن أباه سيمنعه من المسير معها، فوقف ينظر إليهم و يبكي حتى
غابوا عن عينه فكرّ راجعا. و نظر إلى أثر خفّ بعيرها فأكبّ عليه يقبله و
رجع يقبل موضع مجلسها و أثر قدمها. فليم على ذلك و عتفه قومه على
تقيل التراب؛ فقال: و ما أحببت أرضكم و لكن # أقبل إثر من وطئ الترابا

لقد لاقيت من كلفي بلبنى # بلاء ما أسيغ به الشرابا

إذا نادى المنادي باسم لبنى # عييت فما أطيق له جوابا

/و قال و قد نظر إلى آثارها:

صوت

ألا يا ريع لبنى ما تقول # أين لي اليوم ما فعل الحلول

فلو أن الديار تجيب صبا # لردّ جوابي الرّيع المحيل

و لو أتى قدرت غداة قالت # غدرت [1] و ماء مقلتها يسيل

نحرت النفس حين سمعت منها # مقاتتها و ذاك لها قليل

شفيت غليل نفسي من فعالي # و لم أغبر بلا عقل أجول

عنى فيه حسين بن محرز خفيف ثقيل من روايتي بذل و قريض. و تمام
هذه الأبيات: كأني واه بفراق لبنى # تهيم بفقد واحدها ثكول

ألا يا قلب وحبك كن جليدا # فقد رحلت و فات بها الدّميل [2]

فإنك لا تطيق رجوع لبنى # إذا رحلت و إن كثر العويل

و كم قد عشت كم بالقرب منها # و لكنّ الفراق هو السبيل

فصبرا كلّ مؤتلفين يوما # من الأيام عيشهما يزول

قال: فلما جنّ عليه الليل و انفرد و أوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار و
جعل يتململ فيه تململ السليم، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل

يتمرّغ فيه و يبكي و يقول: [1]كذا في «تجريد الأغاني» : و في ب، س: «و درت» و هو تحريف. و قد سقط هذا البيت من سائر الأصول.
[2]الذميل: السير اللين.

صوت

بِتُّ و الهَمُّ يا لبينى ضجيعي # و جرت مذ نأيت عني دموعي
و تنفّست إذ ذكرتك حتى # زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
/أتناساك كي يريغ[1]فؤادي # ثم يشتدّ عند ذاك و لوعي
يا لبينى فدتك نفسي و أهلي # هل لدهر مضى لنا من رجوع

عُتت في البيتين الأولين شارية خفيف رمل بالوسطى. و عني فيهما
حسين بن محرز ثاني ثقيل، هكذا ذكر الهشامي؛ و قد قيل إنه لهاشم بن
سليمان.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار حدّثني عبد الجبار
بن سعيد المساحقي عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه عن عجز لهم
يقال حمّادة بنت أبي مسافر قالت: جاورت آل ذريح بقطيع لي فيه
الرّائمة[2] و ذات البوّ و الحائل و المتبع. قالت: فكان قيس بن ذريح إلى
شرف[3] في ذلك القطيع ينظر إلى ما يلقين فيتعجب. فقلما لبث حتى عزم
عليه أبوه بطلاق لبني فكاك يموت، ثم آلى أبوه لئن أقامت لا يساكن قيسا.
فظعنت فقال: أيا كبدا طارت صدوعا نوافذا # و يا حسرتا ما ذا تغلغل في
القلب

فأقسم ما عمش العيون شوارف[4] # روائم بوّ حائمات على سقب[5]

تشمّمه لو يستطعن ارتشفنه # إذا سفنه يزدن نكبا على نكب[6]

رئمن فما تنحاش منهجّ شارف # و حالفن[7]حيسا في المحول و في الجذب

/بأوجد مني يوم ولّت حمولها # و قد طلعت أولى الرّكاب من الثّقب

و كلّ ملّمات الزمان وجدتها # سوى فرقة الأحباب هيّنة الخطب

/أخبرني عمي قال حدّثني الكراني قال سمعت ابن عائشة يقول: قال
إسحاق بن الفضل الهاشمي: لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قيس
بن ذريح: و كلّ مصيبات الزمان وجدتها # سوى فرقة الأحباب هيّنة الخطب
قال و قال ابن النطّاح قال أبو دعامة:

[1]كذا في «تجريد الأغاني»: و يريغ: يحيد. و في الأصول: «يريع»
بالعين المهملة و هو تصحيف.

[2]الرائمة: العاطفة على غير ولدها. و البؤ: جلد الحوار يحشى تماما أو تبنا أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدّر.

و الحائل: الناقة التي لا تحمل. و المتبع: التي يتبعها ولدها.

[3]الشرف: المكان العالي.

[4]الشوارف: جمع شارفة و هي الناقة المسنّة.

[5]السقب: ولد الناقة.

[6]ساف الشيء: شمه. و النكب (محرّكة و قد سكنت لضرورة الشعر) : ظلع البعير، و قيل: داء يأخذ الإبل في مناكبها تطلع منه و تمشي منحرفة.

[7]كذا في «تجريد الأغاني» : و في الأصول: «و حاولن» و هو تحريف.

خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها، و شعره في ذلك:

خرج قيس في فتية من قومه و اعتلّ على أبيه بالصيد، فأتى بلاد لبني، فجعل يتوقّع أن يراها أو يرى من يرسل إليها. فاشتغل الفتيان بالصيد؛ فلما قضوا و طرهم منه رجعوا إليه و هو واقف، فقالوا له: قد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك و أنك لم ترد الصيد و إنما أردت لقاء لبني، و قد تعدّ عليك فانصرف الآن. فقال: و ما حائمت حمن يوما و ليلة # على الماء يغشيين العصي حوان

عوافي[1] لا يصدرن عنه لوجهة # و لا هنّ من برد الحياض دوان

يرين حباب الماء و الموت دونه # فهنّ لأصوات السقاة روان

بأجهد منّي حرّ شوق و لوعة # عليك و لكنّ العدو عداني

خليليّ إني ميّت أو مكلمّ # لبيني بسرّي فامضيا و ذراني

أئل حاجتي وحدي و يا ربّ حاجة # قضيت على هول و خوف جنان

فإنّ أحقّ الناس ألا تجاوزا[2] # و تطرحا من لو يشاء شفاني

و من قادني للموت حتى إذا صفت # مشاربه السمّ الذعاف سقاني

/قال: فأقاموا معه حتى لقيها، فقالت له: يا هذا، إنك متعرّض لنفسك و فاضحي. فقال لها: صدعت القلب ثم ذررت فيه # هواك فليم فالتأم الفطور[3]

تغلغل حيث لم يبلغ شراب # و لا حزن و لم يبلغ سرور

أبو السائب المخزومي و شعر قيس:

و قال القحذميّ حدّثني أبو الوردان قال حدّثني أبي قال: أنشدت أبا السائب المخزوميّ قول قيس: صدعت القلب ثم ذررت فيه # هواك فليم فالتأم الفطور

فصاح بجارية له سنديّة تسمّى زبدة، فقال: أي زبدة عجلي. فقالت: أنا أعجن. فقال: ويحك! تعالي و دعي العجين. فجاءت فقال لي: أنشد بيتي قيس فأعدتهما. فقال لها: يا زبدة، أحسن قيس و إلا فأنت حرّة! ارجعي الآن إلى عجينك أدركيه لا يبرد.

حسرتة على فراقها و تأنيبه نفسه:

قالوا: و جعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لبني و يقول: فألاً رحلت بها عن بلده فلم أر ما يفعل و لم يرني! فكان إذا فقدني

أقلع عمّا يفعلُه و إذا فقدته لم أتحرّج من فعله! و ما كان عليّ لو اعتزلته و أقمت في حيّها أو في بعض بوادي العرب، أو عصيته فلم أطعه! هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحد! و ها أنا ذا ميّت مما فعلته، [1]العوافي: جمع عافية و هي التي ترد الماء.

[2]كذا في ج: و في سائر الأصول: «فإني أحق الناس ألا تحاورا» .

[3]الفطور: الشقوق. -

فمن يردّ رُوحِي إليّ! و هل لي سبيل إلى ابني بعد الطلاق؟! و كَلِّمَّا قرع نفسه و أنّبها بلون من التقرّيع و التأنيب بكى أحزّ بكاء و ألصق خدّه بالأرض و وضعه على أثارها ثم قال:

صوت

/

ويلي و عولي و مالي حين تفلتني # من بعد ما أحرزت كَفِّي بها الظفرا

قد قال قلبي لطرفي و هو يعذله # هذا جزاؤك منّي فاكدم الحجر

قد كنت أنهاك عنها لو تطاوعني # فاصبر فما لك فيها أجر من صبرا

غناه الغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. و فيه لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش. و في الثالث و الأوّل خفيف رمل يقال إنه لابن الهريذ.

قالوا و قال أيضا:

بانث لبيني فأنت اليوم متبول # و الرأي عندك بعد الحزم مخبول

أستودع الله ابني إذ تفارقني # بالرغم منّي و قول الشيخ مفعول

و قد أراني بليني حقّ مقتنع # و الشمل مجتمع و الحبل موصول

قال خالد بن كلثوم و قال:

ألا ليت ابني في خلاء تزورني # فأشكو إليها لوعتي ثم ترجع

صحا كلّ ذي لبّ و كلّ متيمّ # و قلبي بليني ما حييت مروّع

فيا من لقلب ما يفيق من الهوى # و يا من لعين بالصّباة تدمع

قالوا و قال في ليلته تلك:

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف # و اقض اللبّانة ما قصّيت و انصرف

قد كنت أحلف جهدا لا أفارقها # أفّ لكثرة ذاك القيل و الحلف

حتى تكثّفني الواشون فافتلتت [1] # لا تأمنن أبدا من غشّ مكثّف

هيهات هيهات قد أمست مجاورة # أهل العقيق و أمسينا على سرف

/-قال: و سرف على ستة أميال [2] من مكة. و العقيق: واد باليمامة-

حيّ يمانون و البطحاء منزلنا # هذا لعمرك شمل غير مؤتلف

من شعره في ابني و قد سنحت له ظبية:

قالوا: فلمَّا أصبح خرج متوجِّهاً نحو الطريق الذي سلكته يتنسَّم روائحها،
فسنحت له ظبية فقصدها فهربت منه فقال: [1]افتلتت: أخذت بغتة.
[2]كذا في «معجم ما استعجم» للبكري: و في الأصول: «أيام» و هو
تحريف من النساخ.

ألا يا شبه لبنى لا تراعي # و لا تتيّمي قلل القلاع

و هي قصيدة طويلة يقول فيها:

فوا كبدي و عاودني رداعي [1] # و كان فراق لبنى كالخداع

تكثفني الوشاة فأزعجوني # فيا لله للواشي المطاع

فأصحت الغداة ألوم نفسي # على شيء و ليس بمستطاع

كمغبون يعصّ على يديه # تبين غبته بعد البياع

بدار مضيعة تركتك لبنى # كذاك الحين يهدى للمضاع

و قد عشنا نلذ العيش حيناً # لو ان الدهر للإنسان داع

و لكنّ الجميع إلى افتراق # و أسباب الحتوف لها دواع

عُناه الغريض من القدر الأوسط من الثقل الأول بإطلاق الوتر في
مجرى البنصر عن/إسحاق. و فيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن
عمرو و الهشاميّ. و لشارية في البيتين الأولين ثقيل أول آخر بالوسطى. و
لابن سريج رمل بالوسطى عن الهشاميّ في: بدار مضيعة تركتك لبنى
و قبله:

فوا كبدي و عاودني رداعي

و لسياط في البيتين الأولين خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

**أعرت أمه فتيات الحي بأن يعبن عنده لبنى ليسلوها فلم يسئل،
و شعره في ذلك:**

حدّثني عمّي عن الكرانيّ عن العتبيّ عن أبيه قال: بعثت أمّ قيس بن
ذريح بفتيات من قومه إليه يعبن إليه لبنى و يعبته بجزعه و بكائه و يتعرّضن
لوصاله، فأتيته فاجتمعن حواليه و جعلن يمازحنه و يعبن لبنى عنده و يعيرنه
ما يفعله. فلما أطلن أقبل عليهنّ و قال:

صوت

يقرّ بعيني قريها و يزيدني # بها كلفا من كان عندي يعيها

و كم قائل قد قال تب فعصيته # و تلك لعمرى توبة لا أتوبها

فيا نفس صبرا لست و الله فاعلمي # بأول نفس غاب عنها حبيها

-عُناه دحمان ثقيلاً أول بالوسطى. و فيه هزج بالبنصر لسليم، و ذكر
حبش أنه لإسحاق-قال: فأنصرفن عنه إلى أمّه فأياسنها من سلوته. و قال

سائر الرّواة الذين ذكرتهم: اجتمع إليه النّسوة فأطلن الجلوس عنده و
محدثه و هو ساه [1]الرداع: النكس، و قيل: وجع الجسد كله.

عنهنّ، ثم نادى: يا لبنى! فقلن له: مالك وبحك! فقال: خدرت رجلي، و يقال: إن دعاء الإنسان باسم أحبّ الناس إليه يذهب عنه خدر الرجل فناديتها لذلك. فقم من عنده، و قال: إذا خدرت رجلي تذكرت من لها # فناديت لبنى باسمها و دعوت

دعوت التي لو أنّ نفسي تطيعني # لفارقتها من حبّها و قضيت
برت نبلها للصيد لبنى و ربّشت # و ربّشت أخرى مثلها و برت
فلما رممتني أقصدتني بسهمها # و أخطأتها بالسهم حين رميت
/ و فارقت لبنى ضلّة فكأنني # فرنت إلى العبوق ثم هويت
فيا ليت أنّي متّ قبل فراقها # و هل ترجعن فوت القصيّة ليت
فصرت و شيخي كالذي عثرت به # غداة الوغى بين العداة كميّت
فقامت و لم تضرر هناك سوّية # و فارسها تحت السّنايك ميّت
فإن يكّ تهيامي بلبنى غواية # فقد يا ذريح بن الحباب غويت
فلا أنت ما أمّلت فيّ رأيته # و لا أنا لبنى و الحياة حويت
فوطّن لهلكي منك نفسا فإنني # كأنك بي قد يا ذريح قضيت

حديثه في مرضه مع عوّاده و مع طبيبه عن لبنى، و شعره في ذلك:

و قال خالد بن كلثوم: مرض قيس، فسأل أبوه فتيات الحي أن يعدنه و يحدّثه لعله أن يتسلّى أو يعلق بعضهن، ففعلن ذلك. و دخل إليه طبيب ليداويه و الفتيات معه، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه و أطلن السؤال عن سبب علته، فقال:

صوت

عيد قيس من حبّ لبنى و لبنى # داء قيس و الحبّ داء شديد
و إذا عادني العوائد يوما # قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعودني ثم أفضي # إنها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمّن منها # داء خبل فالقلب منه عميد

-غناه ابن سريج خفيف رمل عن الهشاميّ. و فيه للحجبيّ ثقيل أوّل بالوسطى. و فيه ليحيى المكي رمل-قالوا: فقال له الطبيب: منذ كم هذه العلة؟ و منذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟ فقال:

صوت

تعلّق روعي روحها قبل خلقنا # و من بعد ما كُنّا نطافا و في المهد
فزاد كما زدنا فأصبح ناميا # و ليس إذا متنا بمنصرم العهد
/و لكنّه باق على كلّ حادث # و زائرنا في ظلمة القبر و اللّحد

-غثاه الغريض ثقيلًا أوّل بالوسطى من رواية حبش-قالوا: فقال له الطبيب: إن مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوي والمعايب وما تعافه النفس من أقدار بني آدم؛ فإن النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها. فقال: إذا عبتها شَبَّهتها البدر طالعا # و حسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضّلت لبنى على الناس مثل ما # على ألف شهر فضّلت ليلة القدر

صوت

إذا ما مشت شبرا من الأرض أرجفت # من البهر حتى ما تزيد على شبر
لها كفل يرتجّ منها إذا مشت # و متن كغصن البان مضطمر الخصر

-غثى في هذين البيتين ابن المكيّ خفيف رمل بالوسطى. و فيهما رمل ينسب إلى ابن سريج و إلى ابن طنبورة عن الهشاميّ-قالوا: و دخل أبوه و هو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأثبه و لامه و قال له: يا بنيّ! الله الله في نفسك! فإنك ميّت إن دمت على هذا! فقال: و في عروة[1] العذريّ إن متّ أسوة # و عمرو[2] بن عجلان الذي قتلت هند
و بي مثل ما ماتا به غير أنني # إلى أجل لم يأتني وقته بعد

صوت

هل الحبّ إلاّ عبرة بعد زفرة # و حرّ على الأحشاء ليس له برد
و فيض دموع تستهلّ إذا بدا # لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

غثى في هذين البيتين زيد بن الخطّاب مولى سليمان بن أبي جعفر، و قيل: إنه مولى سليمان بن عليّ، ثقيلًا أوّل بالوسطى عن الهشاميّ.

إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له:

و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الرّبير، و أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن الرّبير قال حدّثني إسماعيل بن أبي أويس قال: جلست أنا و أبو السائب في النّبالين، فأنشدني قول قيس بن ذريح:

عيد قيس من حبّ لبنى و لبنى # داء قيس و الحبّ داء شديد
ليت لبنى تعودني ثم أفضني # إنها لا تعود فيمن يعود

[1] هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة، شاعر إسلامي، أحد المتيّمين الذين قتلهم الهوى، لا يعرف له

شعر إلاّ في عفراء بنت عمه. (انظر ترجمته في ج 20 ص 152 من «الأغاني» طبع بولاق).

[2]ورد هذا الاسم في تزيين الأسواق كما جاء في الأصول. و ذكره البحتري أيضا فقال: هوى لا جميل في بثينة ناله # بمثل و لا عمرو بن عجلان في هند

و ذكر أبو الفرج ترجمته (في ج 19 ص 102 من «الأغاني» طبع بولاق) فقال: هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب، شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء و من قتله الحب منهم. و كان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم عليها. و لما زوجت زوجها غيره مات أسفا.

قال: فأنشدته أنا لقيس:

تعلّق روعي روحها قبل خلقنا # و من بعد ما كُنّا نطافا و في المهد
فزاد كما زدنا و أصبح ناميا # و ليس إذا متنا بمنتقض العهد
و لكنّه باق على كل حادث # و زائرنا في ظلمة القبر و اللحد

فحلف لا يزال يقوم و يقعد حتى يروبها. فدخل زقاق التّبالين و جعلت
أردّها عليه و يقوم و يقعد حتى رواها.
رجع الخبر إلى سياقته.

**زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوّجت لبنى، و ما قال في ذلك من
الشعر:**

و قال خالد بن جمل: فلمّا طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه
بأن يزوّجه امرأة جميلة فلعلّه أن يسلو بها عن لبنى. فدعاه إلى ذلك فأباه و
قال: لقد خفت ألاّ تقنع النفس بعدها # بشيء من الدنيا و إن كان مقنعا

و أزرع عنها النفس إذ حيل دونها # و تأبى إليها النفس إلاّ تطلّعا

/فأعلمهم أبوه بما ردّ عليه. قالوا: فمره بالمسير في أحياء العرب و
النزول عليهم فلعلّ عينه أن تقع على امرأة تعجبه. فأقسم عليه أبوه أن
يفعل. فسار حتى نزل بحيّ من فزاره، فرأى جارية حسناء قد حسرت برقع
خزّ عن وجهها و هي كالبدر ليلة تمّه، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت:
لبنى. فسقط على وجهه مغشياً عليه، فنضحت على وجهه ماء و ارتاعت لما
عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون! فأفاق فنسبته
فانتسب.

فقالت: قد علمت أنك قيس، و لكن نشدتك بالله و بحقّ لبنى إلاّ أصبت
من طعامنا. و قدّمت إليه طعاما، فأصاب منه بإصبعه. و ركب فأتى على
أثره أخ لها كان غائبا، فرأى مناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى
ردّه إلى منزله، و حلف عليه ليقيمنّ عنده شهرا. فقال له: لقد شققت عليّ،
و لكنّي سأتبع هواك، و الفزاريّ يزداد إعجابا بحديثه و عقله و روايته، فعرض
عليه الصّهر. فقال له: يا هذا إن فيك لرغبة، و لكنّي في شغل لا ينتفع بي
معه.

فلم يزل يعاوده و الحيّ يلومونه و يقولون له: قد خشينا أن يصير علينا
فعلك سبّة. فقال: دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يزل به

حتى أجابه و عقد الصّهر بينه و بينه على أخته المسماة لبنى، و قال له: أنا أسبوق عنك صداقها. فقال: أنا و الله يا أخي أكثر قومي مالا، فما حاجتك إلى تكلف هذا؟ أنا سائر إلى قومي و سائق إليها المهر. ففعل و أعلم أباه الذي كان منه، فسرّه و ساق المهر عنه. و رجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته، فلم يروه هتّ إليها و لا دنا منها و لا خاطبها بحرف و لا نظر إليها. و أقام على ذلك أياما كثيرة. ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياما فاذنوا له في ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. و كان له صديق من الأنصار بها؛ فأتاه فأعلمه الأنصاريّ أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمّها و قالت: إنه لغدار! و لقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم، و قد كان/أبوها شكّا قيسا إلى معاوية/و أعلمه تعرّضه لها بعد الطلاق. فكتب إلى مروان بن الحكم يهدر دمه إن تعرّض لها، و أمر أباه أن يزوّجها رجلا يعرف بخالد بن حلزة من بني عبد الله بن غطفان-و يقال: بل أمره بتزويجها رجلا من آل كثير بن الصّلت الكنديّ حليف قريش-فزوّجها أبوها منه. قال: فجعل نساء الحيّ يقلن ليلة زفافها:

ليبنى زوجها أصد # ح لا حرّ بواديه [1]
 له فضل على الناس # بما باتت تناجيه
 و قيس ميّت حيّ # صريع في بواكيه
 فلا يبعده الله # و بعدا لنواعيه

قال: فجزع قيس جزعا شديدا و جعل ينشج أحزّ نشيج و يبكي أحزّ بكاء. ثم ركب من فوره حتى أتى محلّة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن هاهنا! قد نقلت لبنى إلى زوجها!. و جعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة و ما أشبهها و هو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن راحلته و جعل يتمعك [2] في موضعها و يمرّغ خدّه على ترابها و يبكي أحزّ بكاء. ثم قال:

صوت

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا # إلى الله فقد الوالدين يتيم
 يتيم جفاه الأقربون فجسمه # نحيل و عهد الوالدين قديم
 بكت دارهم من نأبهم فتهلّلت # دموعي فأيّ الجازعين أوم
 أ مستعبرا يبكي من الشوق و الهوى # أمّ آخر يبكي شجوه و يهيم

/لابن جامع في البيتين الأولين ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ. و لعريب فيهما ثاني ثقيل. و في الثالث و الرابع لمياسة خفيف رمل بالبنصر عن عمرو و حبش و الهشاميّ و تمام هذه الأبيات، و ليست فيها صنعة، قوله: تهيّضني من حبّ لبنى علائق # و أصناف حبّ هولهن عظيم

و من يتعلّق حبّ لبنى فؤاده # يمت أو يعيش ما عاش و هو كليم
 فإنيّ و إن أجمعت عنك تجلّدا # على العهد فيما بيننا لمقيم
 و إنّ زمانا شئت الشمل بيننا # و بينكم فيه العدا لمشوم
 أ في الحقّ هذا أنّ قلبك فارغ # صحيح و قلبي في هواك سقيم

و قد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس و إنما خلطت بشعره، و لكنّها في هذه الرواية منسوبة إليه.

قال: و قال أيضا في رحيل لبنى عن وطنها و انتقالها إلى زوجها بالمدينة و هو مقيم في حيّها:

صوت

بانث لبينى فهاج القلب من بانا [3] # و كان ما وعدت مطلا [4] و لئانا

[1] في تزيين الأسواق (ج 1 ص 56 طبع بلاق) : «يوازيه» .

[2] يمتعك: يتمرغ.

[3] في ج: «بانت لبيني فقلبي اليوم من بانا» .

[4] ليان و مثله ليّ (بفتح اللام فيهما و كسرهما) : مصدر لوى بمعنى مطل. تقول لواه دينه و بدينه. و قال أبو الهيثم: لم يجيء من المصادر على فعلان إلا ليان. و عن ابن زيد أن كسر اللام في هذا المصدر لغية.

و أخلفتك منى قد كنت تأملها # فأصبح القلب بعد البين حيرانا
 اللّهُ يدري و ما يدري به أحد # ما ذا أجمع من ذكراك أحيانا
 /يا أكمل الناس من قرن إلى قدم # و أحسن الناس ذا ثوب و عريانا
 نعم الصّجيع بعيد النوم تجلبه # إليك ممتلئا نوما و يقطانا

/للغريض في هذه الأبيات ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن
 إسحاق و عمرو. و ذكر الهشاميّ أنّ فيه لابن محرز ثاني ثقيل آخر. و قال
 أحمد بن عبيد: فيه لحنان ليحيى المكيّ و علوبه. و تمام هذه القصيدة: لا
 بارك الله فيمن كان يحسبكم # إلاّ على العهد حتى كان ما كانا

حتى استنفقت أخيرا بعد ما نكحت # كأنما كان ذاك القلب حيرانا
 قد زاني طيفكم ليلا فأزقني # فيتّ للشوق أذري الدمع تهتنا
 إن تصرمي الحبل أو تمسي مفارقة # فالدهر يحدث للإنسان ألوانا
 و ما أرى مثلكم في الناس من بشر # فقد رأيت به حيّا و نسوانا

شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه، و شعره في ذلك:

و قال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عديّ، و رواه عمر بن شبة
 أيضا: أن أبا لبني شخص إلى معاوية فشكا إليه قيسا و تعرّضه لابنته بعد
 طلاقه إيّاها. فكتب معاوية إلى مروان أو سعيد بن العاص يهدر دمه إن ألمّ
 بها و أن يشتدّ في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء
 الذي ينزله أبو لبني كتابا و كيدا، و وجّهت لبني رسولا قاصدا إلى قيس تعلمه
 ما جرى و تحذّره. و بلغ أباه الخبر فعاتبه و تجهمه و قال له: انتهى بك الأمر
 إلى أن يهدر السلطان دمك! فقال:

صوت

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها # مقالة واش أو وعيد أمير
 فلن يمنعوا عينيّ من دائم البكا # و لن يذهبوا ما قد أجنّ ضميري
 إلى اللّهُ أشكو ما ألقى من الهوى # و من حرق تعادني و زفير
 و من حرق[1]للحّب في باطن الحشى # و ليل طويل الحزن غير قصير
 /سأبكي على نفسي بعين غزيرة # بكاء حزين في الوثاق أسير
 و كتّنا جميعا قبل أن يظهر الهوى # بأنعم حالي غبطة و سرور
 فما برح الواشون حتى بدت لهم # بطون الهوى مقلوبة لظهور
 لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا # و لكّنا الدنيا متاع غرور

-هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذريح. و ذكر الزبير بن بكّار
أنه لجدّه عبد الله بن مصعب-عنى يزيد حوراء [1]الحرق بالتحريك: النار، و
يحتمل أن تكون حرق بضم أوله جمع حرقه.

في الأوّل و الثاني و السادس و الثالث من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى. و غنّى إبراهيم في الأوّل و الثاني لحنا من كتابه غير مجنّس. و ذكر حبش أنّ فيهما لإسحاق خفيف ثقيل بالوسطى. و في الخامس و ما بعده لعريب ثقيل أوّل ابتداؤه نشيد. و قال ابن الكلبيّ في خبره: قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها: إن تكّ لبنى قد أتى دون قربها # حجاب منيع ما إليه سبيل

فإنّ نسيم الجوّ يجمع بيننا # و نبرقرن الشمس حين تزول
/ و أرواحنا بالليل في الحيّ تلتقي # و نعلم أنّا بالنهار نقي
و تجمعا الأرض القرار و فوقنا # سماء نرى فيها النجوم تجول
إلى أن يعود الدهر سلما و تنقضي # تراث بغاها عندنا و ذحول

شعره فيما حين صادفها في موسم الحج:

و مما وجد في كتاب لابن النطّاح قال العتيبيّ حدّثني أبي قال: حجّ قيس بن ذريح، و اتفق أن حجّت لبنى في تلك السنة، فأراها و معها امرأة من قومها، فدهش و بقي واقفا مكانه و مضت لسبيلها. ثم أرسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام و تسأله عن خبره؛ فألفته جالسا وحده ينشد و يبكي: و يوم منى أعرضت عني فلم أقل # بحاجة [1] نفس عند لبنى مقالها

/ و في اليأس للنفس المريضة راحة # إذا النفس رامت خطّة لا تنالها

فدخلت خباءه و جعلت تحدّثه عن لبنى و يحدّثها عن نفسه مليّا، و لم تعلمه أنّ لبنى أرسلتها إليه. فسألها أن تبلغها عنه السلام، فامتنعت عليه؛ فأنشأ يقول: إذا طلعت شمس النهار فسلمي # فأية تسليمي عليك طلوعها

بعشر تحيّات إذا الشمس أشرقت # و عشر إذا اصفرت و حان رجوعها
و لو أبلغتها جارة قولي أسلمي # بكت جزعا و ارفضّ منها دموعها
و بان الذي تخفي من الوجد في الحشى # إذا جاءها عني حديث يروعها

- غنّى في البيتين الأوّلين علّويه خفيف رمل بالوسطى- قال: و قضى الناس حجّهم و انصرفوا. فمرض قيس في طريقه مرضا شديدا أشفى منه على الموت، فلم يأت رسولها عائدا لأن قومها رأوه و علموا به؛ فقال: أ لبنى لقد جلت عليك مصيبتى # غداة غد إذ حلّ ما أتوقّع

تمنّيني نيلا و تلوينني به [2] # فنفسى شوقا كلّ يوم تقطّع

و قلبك قطّ ما يلين لما يرى # فوا كبدي قد طال هذا التضرّع

ألومك في شأني و أنت مليمة # لعمرى و أجفى للمحبّ و أقطع

[1] كذا في «تجرید الأغانى» . و فى الأصول: «لحاجة نفس» باللام.

[2] كذا فى ج و «تجرید الأغانى» و «تزيين الأسواق» . و فى سائر
الأصول «و تلوينى قلى» .

أُخْبِرْتُ أَنِّي فِيكَ مَيِّتٌ حَسْرَتِي # فَمَا فَاضٌ مِنْ عَيْنِكَ لِلْوَجْدِ مَدْمَعٌ
وَلَكِنْ لِعَمْرِي قَدْ بَكَيْتُكَ جَاهِدًا # وَ إِنْ كَانَ دَائِي كُلُّهُ مِنْكَ أَجْمَعُ
صَبِيحَةٌ جَاءَ الْعَائِدَاتُ يِعْدُنِي # فَظَلَّتْ عَلَيَّ الْعَائِدَاتُ تَفْجَعُ
فَقَائِلَةٌ جُنْنَا إِلَيْهِ وَ قَدْ قَضَى # وَ قَائِلَةٌ لَا، بَلْ تَرَكْنَاهُ يَنْزِعُ

و روى القحذمي هاهنا:

فَمَا غَشِيَتْ عَيْنِيكَ مِنْ ذَاكَ عِبْرَةٌ # وَ عَيْنِي عَلَى مَا بِي بِذِكْرِكَ تَدْمَعُ
/إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْكِي عَلَيَّ جَنَازَةً [1] # لَدَيْكَ فَلَا تَبْكِي غَدَا حِينَ أَرْفَعُ

قال: فبلغتها الأبيات، فجزعت جزعا شديدا و بكت بكاء كثيرا. ثم خرجت إليه ليلا على موعد فاعتذرت و قالت: إنما أبقى عليك و أخشى أن تقتل، فأنا أتحامك لذلك، و لو لا هذا لما/افترقنا. و ودّعته و انصرفت.

شعره فيها و قد بلغه أنها كذبت مرضه:

و قال خالد بن كلثوم: فبلغه أنّ أهلها قالوا لها: إنه عليل لما به و إنه سيموت في سفره هذا. فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها: ما أراه إلا كاذبا فيما يدّعي و متعللا لا عليلا. فبلغه ذلك فقال: تكاد بلاد الله يا أمّ معمر # بما رحبت يوما عليّ تضيق

تَكْذِبُنِي بِالْوَدِّ لِبْنِي وَلَيْتَهَا # تَكْلُفُ مَنِّي مِثْلَهُ فَتَذُوقُ
وَ لَوْ تَعْلَمِينَ الْغَيْبَ أَيْقَنْتُ أَنْنِي # لَكُمْ وَ الْهَدَايَا الْمَشْعُرَاتُ صَدِيقُ
تَتَوَقَّعُ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثَمَّ أَرْدَاهَا # حَيَاءٌ وَ مِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقُ
أَذُودُ سَوَامِ النَّفْسِ عِنْدَكَ وَ مَالِهِ # عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ طَرِيقُ
فَأَيْتِي وَ إِنْ حَاوَلْتَ صَرْمِي وَ هَجَرْتِي # عَلَيْكَ مِنْ أَحْدَاثِ الرَّدَى لَشَفِيقُ
وَ لَمْ أَرِ أَيَّامًا كَأَيَّامِنَا الَّتِي # مَرَرْنَ عَلَيْنَا وَ الزَّمَانُ أَيْقُ
وَ وَعْدُكَ إِيَّانَا، وَ لَوْ قُلْتَ عَاجِلًا، # بَعِيدٌ كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ سَحِيقُ
وَ حَدَّثْتَنِي يَا قَلْبَ أَنْكَ صَابِرًا # عَلَى الْبَيْنِ مِنْ لِبْنِي فَسَوْفَ تَذُوقُ
فَمَتَّ كَمَا أَوْ عَشِ سَقِيمًا فَإِنَّمَا # تَكْلُفْنِي مَا لَا أَرَاكَ تَطْلِيقُ
أَطْعَمْتَ وَشَاةً لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهِمْ # خَلِيلٌ وَ لَا جَارٌ عَلَيْكَ شَفِيقُ
فَإِنْ تَكُ لَمَّا تَسَلُ عَنْهَا فَإِنَّنِي # بِهَا مَغْرَمٌ صَبَّ الْفُؤَادِ مَشْوِقُ
/بِلِبْنِي أَنَادِي عِنْدَ أَوَّلِ غَشِيَةِ # وَ يَثْنِي بِهَا الدَّاعِي لَهَا فَأَفِيقُ

[1]الجنابة (بالكسر و يفتح) : الميت. و قيل: الجنابة بالكسر الميت و بالفتح السرير، و قيل عكس ذلك. و المراد هنا المريض المشرف على الموت.

شهدت على نفسي بأنك غادة # رداح و أنّ الوجه منك عتيق[1]
 و أنك لا تجزيني بصحابة # و لا أنا للهجران منك مطيق
 و أنك قسّمت الفؤاد فنصفه # رهين و نصف في الحبال وثيق
 صبحي إذا ما ذرّت الشمس ذكركم # و لي ذكركم عند المساء غبوق
 إذا أنا عزّيت الهوى أو تركته # أتت عبرات بالدموع تسوق
 كأنّ الهوى بين الحيازيم و الحشى # و بين التراقي و اللّهاة[2]حريق
 فإن كنت لّمّا تعلمي العلم فاسألني # فبعض لبعض في الفعال فثوق
 سلي هل قلاني من عشير صحبته # و هل ملّ رحلي في الرّفاق رفيق
 و هل يجتوي القوم الكرام صحابتي # إذا اغبرّ مخشيّ الفجاج عميق
 و أكنم أسرار الهوى فأميتها # إذا باح مزّاح بهنّ بروق[3]
 سعى الدهر و الواشون بيني و بينها # فقطّع حبل الوصل و هو وثيق
 هل الصبر إلا أن أصدّ فلا أرى # بأرضك إلا أن يكون طريق

قصته مع لبني و زوجها و قد باعه ناقة و هو لا يعرفه:

قال: ثم أتى قومه فاقتطع قطعة من إبله و أعلم أباه أنه يريد المدينة لبيعها و يمتار لأهله بثمنها. فعرف أبوه أنه إنما يريد لبني، فعاتبه و زجره عن ذلك؛ فلم يقبل منه، و أخذ إبله و قدم بها المدينة. فبينا هو يعرضها إذ ساومه زوج لبني بناقة منها و هما لا يتعارفان، فباعه إيّاها. / فقال له: إذا كان غد فأنتي في دار كثير بن الصّلت فاقبض الثمن؛ قال: نعم. و مضى زوج لبني إليها فقال لها: إني ابتعت ناقة من/رجل من أهل البادية و هو يأتينا غدا ليقبض ثمنها، فأعدّي له طعاما، ففعلت. فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم: قولي لسيدك: صاحب الناقة بالباب.

فعرفت لبني نعمته فلم تقل شيئا. فقال زوجها للخادم: قولي له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لبني للخادم: قولي له: يا فتى، مالي أراك أشعث أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفّس ثم قال لها: هكذا تكون حال من فارق الأحبة و اختار الموت على الحياة، و بكى. فقالت لها لبني: قولي له: حدّثنا حديثك. فلما ابتداء يحدّث به كشفت الحجاب و قالت: حسبك! قد عرفنا حديثك! و أسبلت الحجاب. فبهت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكيا و نهض فخرج. فناداه زوجها: ويحك! ما قصّتك؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك، و إن شئت زدناك. فلم يكلمه و خرج فاغترز[4] في رحله و مضى. و قالت لبني لزوجها: ويحك! هذا قيس بن دريج. فما حملك على ما فعلت به؟ قال: ما عرفته. و

جعل قيس يبكي في طريقه و يندب نفسه و يوبّخها على فعله ثم قال:
[1]الرداح: الثقيلة الأوراك. و العتيق: الجميل الكريم.

[2]الحيازيم: جمع حيزوم و هو وسط الصدر. و التراقي: جمع ترقوة و هي العظم الذي بين ثغرة النحر و العاتق. و اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

[3]في «الأمالي»: «نزوق» .

[4]أي ركب، و الغرز للجمل مثل الركاب للبعل.

صوت

أ تبكي على لبنى و أنت تركتها # و أنت عليها بالملا أنت أقدر
 فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت # عليّ فللدنيا بطون و أظهر
 لقد كان فيها للأمانة موضع # و للكفّ مرتاد و للعين منظر
 و للحائم العطشان ريّ بريقها # و للمرح المختال خمر و مسكر
 كأني لها أرجوحة بين أحبل # إذا ذكرة منها على القلب تخطر

للغريض في البيتين الأوّلين ثقل أول بالوسطى عن عمرو و الهشامي
 و فيهما لعريب رمل. و لشارية خفيف رمل من رواية أبي العبيس.

/أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني
 عبد الملك بن عبد العزيز قال: تزوّج رجل من أهل المدينة يقال له أبو درّة
 امرأة كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بطينة؛ فلقية
 زوجها الأوّل فضربه ضربة شلت يده منها. فلقية أبو السائب المخزومي
 فقال له: يا أبا درّة! أضربك أبو بطينة في زوجته؟ قال: نعم. قال: أما إني
 أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذريح في زوجته لبنى: لقد كان فيها
 للأمانة موضع # و للكفّ مرتاد و للعين منظر

و للحائم العطشان ريّ بريقها # و للمرح المختال خمر و مسكر

قال: و كانت زوجة أبي درّة هذه سوداء كأنها خنفساء.

مرضه بعد هذه الحادثة:

قال: و عاد إلى قومه بعد رؤيته إيّاها و قد أنكر نفسه و أسف و لحقه
 أمر عظيم؛ فأنكروه و سألوه عن حاله فلم يخبرهم، و مرض مرضاً شديداً
 أشرف منه على الموت. فدخل إليه أبوه و رجال قومه فكلموه و عاتبوه و
 ناشدوه الله.

فقال: و يحكم! أتروني أمرضت نفسي أو وجدت لها سلوة بعد اليأس
 فاخترت الهمّ و البلاء، أو لي في ذلك صنع! هذا ما اختاره لي أبواي و قتلاي
 به. /فجعل أبوه يبكي و يدعو به بالفرج و السلوة. فقال قيس: لقد عدّبتني يا
 حبّ لبنى # فقع إمّا بموت أو حياة

فإنّ الموت أروح من حياة # تدوم على التباعد و الشّتات

و قال الأقربون تعرّ عنها # فقلت لهم إذا حانت وفاتي

دست إليه رسولا يسأله لم تزوج حتى تزوجت هي:

قال: و دستت إليه لبنى بعد خروجه رسولا و قالت له: استنشده، فإن سألك عن سبتك فانتسب له خزاعياً؛ فإذا أنشدك فقل له: لم تزوجت بعدها حتى أجابت/إلى أن تتزوج بعدك؟ و احفظ ما يقول لك حتى تردّه عليّ. فأتاه الرسول فسلم و انتسب خزاعياً، و ذكر أنه من أهل الشام و استنشده؛ فأنشده قوله: فأقسم ما عمش العيون شوارف # روائم بوّ حانيات على سقب

-و قد مضت هذه الأبيات-فقال له الرجل: فلم تزوّجت بعدها؟ فأخبره الخبر، و حلف له أنّ عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوّجها، و أنه لو رآها في نسوة ما عرفها، و أنه ما مدّ يده إليها و لا كلمها و لا كشف لها عن ثوب. فقال له الرجل: فأني جار لها و إنها من الوجد بك على حال قد تمّني زوجها معها أن تكون بقربها لتصلح حالها بك؛ فحمّلي إليها ما شئت أوّده إليها. قال: تعود إليّ إذا أردت الرحيل، فعاد إليه لمّا أراد الرحيل. فقال تقول لها: ألا حيّ لبيّ اليوم إن كنت غاديا # و ألمم بها من قبل أن لا تلاقيا

و أهد لها منك النصيحة إنها # قليل و لا تخش الوشاة الأديا
 و قل إنّني و الراقصات إلى مّني # بأجل جمع[1]ينتظرن المناديا
 أصونك عن بعض الأمور مضّنة # و أحشى عليك الكاشحين الأعاديا
 تساقط نفسي حين ألقاك أنفسا # يردن فما يصدرن إلّا صواديا
 فإن أحي أو أهلك فليست بزائل # لكم حافظا ما بلّ ريق لسانيا
 أقول إذا نفسي من الوجد أصعدت # بها زفرة تعتادني هي ما هيا
 و بين الحشى و النحر مّني حرارة # و لوعة وجد تترك القلب ساهيا
 ألا ليت لبيّ لم تكن لي خلّة [2] # و لم ترني لبيّ و لم أدر ماهيا
 سلي الناس هل خبّرت سرّك منهم # أختة أو ظاهر الغشّ باديا
 يقول لي الواشون لمّا تظاهروا # عليك و أضحى الجبل للبين واهيا
 /لعمري لقبل اليوم حمّلت ما ترى # و أنذرت من لبيّ الذي كنت لاقيا
 خليليّ ما لي قد بليت و لا أرى # لبيّنى على الهجران إلّا كما هيا
 ألا يا غراب البين مالك كلّما # ذكرت لبيّنى طرت لي عن شماليا
 أ عندك علم الغيب أم لست [3]مخبري # عن الحيّ إلّا بالذي قد بدا ليا
 جزعت عليها لو أرى لي مجزعا # و أفنيت دمع العين لو كان فانيا
 /حياتك لا تغلب عليها فإنه # كفى بالذي تلقى لنفسك ناهيا
 تمرّ الليالي و الشهور و لا أرى # و لوعي بها يزداد إلّا تماديا
 فما عن نوال من لبيّنى زيارتي # و لا قلّة الإمام أن كنت قاليا
 و لكنّها صدّت و حمّلت من هوى # لها ما يتوّد الشامخات الرواسيا

و هذه القصيدة تخلط بقصيدة المجنون التي في وزنها و على قافيتها لتشابههما، فقلّما يتميّزان.

[1] جمع: المزدلفة.

[2] خلة: صديقة.

[3] كذا في س: و في جميع الأصول: «أم أنت» .

عَنِّي الحسين بن محرز في البيت الأوَّل و البيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلًا أوَّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بذل و الهشامي.

أنب لبني زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت:
حدَّثني المدائني عن عوانة عن يحيى بن عليِّ الكنانيِّ قال:

شهر أمر قيس بالمدينة و عَنِّي في شعره الغريض و معبد و مالك و ذووهم، فلم يبق شريف و لا وضع إلاَّ سمع بذلك فأطربه و حزن لقيس ممَّا به. و جاءها زوجها فأثبها على ذلك و عاتبها و قال: قد فضحتني بذكرك. فغضبت و قالت: يا هذا، إني و الله ما تزوّجتك رغبة فيك و لا فيما عندك و لا دلس أمري عليك، و لقد علمت أني كنت زوجته قبلك و أنه أكره علي طلاقي. و و الله ما قبلت التزويج حتى أهدر/دمه إن ألمَّ بحينا، فخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل، فتزوّجتك. و أمرك الآن إليك، ففارقني فلا حاجة بي إليك. فأمسك عن جوابها و جعل يأتيها بجواري المدينة يغنيها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك؛ فلا تزدد إلاَّ تماديا و بعدا، و لا تزال تبكي كلما سمعت شيئًا من ذلك أحرَّ بكاء و أشجاء.

وسط بريكة في لقائها، و شعره في ذلك:

رجع الحديث إلى سياقه.

و قال الحرمازيِّ و خالد بن جمل: كانت امرأة من موالي بني زهرة يقال لها بريكة من أطرف النساء و أكرمهنَّ، و كان لها زوج من قريش له دار ضيافة. فلما طالت علة قيس قال له أبوه: إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لبني فارحل إلى المدينة. فرحل إليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بريكة. فوثب غلمانها إلى رحل قيس ليحطوه.

فقال: لا تفعلوا فليست نازلا أو ألقى بريكة فأثبي قصديتها في حاجة؛ فإن وجدت لها عندها موضعا نزلت بكم و إلا رحلت. فأتوها فأخبروها. فخرجت إليه فسلمت عليه و رحبت به و قالت: حاجتك مقضية كائنة ما كانت، فانزل.

فنزل و دنا منها فقال: أذكر حاجتي؟ قالت: إن شئت. قال: أنا قيس بن ذريح. قالت: حيَّاك الله و قرَّبك! إنَّ ذكرك لجديد عندنا في كل وقت. قال: و حاجتي أن أرى لبني نظرة واحدة كيف شئت. قالت: ذلك لك عليِّ. فنزل بهم و أقام عندها و أخفت أمره، ثم أهدى لها هدايا كثيرة و قال: لاطفيها و زوجها بهذا حتى يأنس بك. ففعلت وزارتها مرارا، ثم قالت لزوجها: أخبرني

عنك: أنت خير من زوجي؟ قال: لا. قالت: فلبني خير مني؟ قال: لا. قالت:
فما بالي أزورها و لا تزورني؟ قال: ذلك إليها. فأنتها و سألتها الزيارة و
أعلمتها أن قيسا عندها. فتسارعت إلى ذلك و أتتها. فلما رآها/ و رآته بكيا
حتى كادا يتلفان. ثم جعلت تسأله عن خيره و علته فيخبرها، و يسألها
فتخبره. ثم قالت: أنشدني ما قلت في علك؛ فأنشدها قوله: أعالج من
نفسي بقايا حشاشة[1] # على رمق و العائدات تعود

/فإن ذكرت لبني هسشت لذكرها # كما هسّ للثدي الدرور وليد

أجيب بلبنى من دعاني تجلدا # و بي زفرات تتجلى و تعود

[1]الحشاشة: بقية الروح في المريض و الجريح.

تعيد إلى روجي الحياة و إنني # بنفسي لو عاينتني لأجود

قال: و في هذه القصيدة يقول:

صوت

ألا ليت أياما مضين تعود # فإن عدن يوما إنني لسعيد

سقى دار لبني حيث خلّت و خيّمت # من الأرض منهلّ الغمام رعود

في هذين البيتين لعريب خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى،
و قيل: إنه لغيرها. و تمام هذه القصيدة: على كلّ حال إن دنت أو تباعدت #
فإن تدن منّا فالدنوّ مزيد

فلا اليأس يسليني و لا القرب ناعفي # و لبني منوع ما تكاد تجود

كأني من لبني سليم مسهّد # يظلّ على أيدي الرجال يמיד

رمتني لبيني في الفؤاد بسهمها # و سهم لبيني للفؤاد صيود

سلا كلّ ذي شجو علمت مكانه # و قلبي للبنى ما حييت ودود

و قائلة قد مات أو هو ميّت # و للنفس منّي أن تفيض رصيد

أعالج من نفسي بقايا حشاشة # على رمق و العائدات تعود

/و قال الحرمازيّ في خبره خاصّة: و عاتبته على تزوّجه؛ فحلف أنه لم
ينظر إليها ملء عينيه و لا دنا منها، فصدّقته.

و قال:

صوت

و لقد أردت الصبر عنك فعاقني # علق بقلبي من هواك قديم

يبقى على حدث الزمان و ريبه # و على جفائك، إنه لكريم

فصرمته و صححت و هو بدائه # شتان بين مصحّح و سقيم

و اربته[1]زمنّا فعاد بحمله # إنّ المحبّ عن الحبيب حلیم

-لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل، و للدّارميّ خفيف رمل من رواية
الهشاميّ. و من الناس من ينسب خفيف الثّقيل إليه و خفيف الرمل إليها-
قالوا: فلم يزل يومه معها يحدثها و يشكو إليها أعفّ شكوى و أكرم حديث
حتى أمسى؛ فانصرفت و وعدته الرجوع إليه من غد فلم ترجع. و شاع خبره

فلم ترسل إليه رسولا. فكتب هذه الأبيات في رقعة و دفعها إلى بركة و
سألها أن توصلها إليها، و رحل متوجّها إلى معاوية. و الأبيات:

صوت

بنفسي من قلبي له الدهر ذاكر # و من هو عني معرض القلب صابر

و من حبه يزداد عندي جدّة # و حبي لديه مخلق العهد دائر

[1]المواربة: المخاتلة و المخادعة.

شكا إلى يزيد ما به و امتدحه فحقن دمه:

/-عُتت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رمل قالوا: ثم ارتحل إلى معاوية، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه و امتدحه؛ فرق له و قال: سل ما شئت، إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت. /قال: لا أريد ذلك، و لكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أتعرف أخبارها و أقنع بذلك من غير أن يهدر دمي. قال: لو سألت هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لما وجب أن تمنعه، فأقم حيث شئت؛ و أخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث شاء و أحب و لا يعترض عليه أحد، و أزال ما كان كتب له في إهدار دمه؛ فقدم إلى بلده. و بلغ الفزاريين خبره و إمامه بلبنى، فكاتبوه في ذلك و عاتبوه. فقال للرسول: قل للفتى (يعني أبا الجارية التي تزوجها) : يا أخي ما غررتك من نفسي، و لقد أعلمتك أنني مشغول عن كل أحد، و قد جعلت أمر أختك إليك فأمض فيه من حكمك ما رأيت. فتكرّم الفتى عن أن يفرّق بينهما، فمكثت في حاله[1]مدة ثم ماتت.

لقبه عياش السعدي ذاهلا شاردا للب و أنشده من شعره فيها:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني سليمان بن عياش السعديّ عن أبيه قال: أقبلت ذات يوم من الغابة[2]؛ فلما كنت بالمذاد[3]، إذا ريع حديث العهد بالساكن، و إذا رجل مجتمع في جانب ذلك الربع يبكي و يحدّث نفسه. فسلمت فلم يردّ عليّ سلاما. فقلت في نفسي: رجل ملتبس[4]به فوليت عنه. فصاح بي بعد ساعة: و عليك السلام، هلمّ هلمّ إليّ يا صاحب السلام! فأتيته فقال: أما و الله لقد فهمت سلامك و لكّني رجل مشترك اللبّ يضلّ عني أحيانا ثم يعود إليّ. فقلت: و من/أنت؟ قال: قيس بن ذريح الليثي.

قلت: صاحب لبنى؟ قال: صاحب لبنى لعمرى و قتيلاها!. ثم أرسل عينيه كأنهما مزادتان؛ فما أنسى حسن قوله: أبائنة لبنى و لم تقطع المدى # بوصل و لا صرم فيياس طامع

نهاري نهار الوالهيّن صباة # و ليلي تنبو فيه عني المضاجع

و قد كنت قبل اليوم خلوا و إنّما # تقسّم بين الهالكين المصارع

فلو لا رجاء القلب أن تسعف[5]التوى # لما حبسته بينهنّ الأضالع

له وجبات إثر لبنى كأنها # شقائق برق في السماء لوامع

أبى الله أن يلقي الرشاد متيم # ألا كلّ أمر حمّ لا بدّ واقع

هما بَرّحا بي معولين كلاهما # فؤاد و عين جفنها الدّهر داعم

[1] كذا في ج و «تجريد الأغاني» . و في سائر الأصول: «في خباء له»
و هو تحريف.

[2] الغابة: بريد من المدينة على طريق الشام.

[3] المذاد: موضع بالمدينة حيث حفر رسول الله صلى الله عليه و سلم
الخدق. و قيل: هو واد بين سلع و خندق المدينة. (راجع «معجم ما
استعجم» للبكري و «معجم البلدان» لياقوت و «لسان العرب» مادة مذد) .

[4] في «تجريد الأغاني»: «ملتبس» بدون كلمة «به» . و في الأصول:
«مكتنس عنه» . و قد اعتمدنا في إصلاحه على ما ورد في حديث المبعث:
«فجاء الملك فشق عن قلبه قال فخفت أن يكون قد التبس بي» أي
خولطت في عقلي.

[5] كذا في «تجريد الأغاني» . و في الأصول: «تسعر» و لعلها محرفة
عن «تسعد» .

عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد من شعره:
 أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزبير
 قال، و أخبرنا به وكيع عن أبي أيوب المدينيّ، قال الزبير قال حدّثني طيبة
 قالت: سمعت عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد زوجي قول قيس بن
 ذريح:

إذا ذكرت لبنى تأوّه و اشتكى # تأوّه محموم عليه البلايل
 بيت و يضحى تحت ظلّ منية # به رمق تبكي عليه القبائل
 قتيل للبنى صدّع الحبّ قلبه # و في الحبّ شغل للمحبين شاغل

فصاح زوجي: أوّه! وا حرباه وا سلباه!. ثم أقبل على ابن جندب فقال:
 ويلك! أتتشد هذا كذا! قال: فكيف أنشده؟ قال: لم لا تتأوّه كما يتأوّه و
 تشتكي كما يشتكي!.

استنشد ابن أبي عتيق أحراً ما قال في لبنى:
 و قال القحذميّ: قال ابن أبي عتيق لقيس يوماً: أنشدني أحراً ما قلت
 في لبنى. فأنشده قوله: /

و إني لأهوى النّوم في غير حينه # لعلّ لقاء في المنام يكون
 تحدّثني الأحلام أنّي أراكم # فيا ليت أحلام المنام يقين
 شهدت بأنّي لم أحل عن موّدة # و أنّي بكم لو تعلمين ضنين
 و أن فؤادي لا يلين إلى هوى # سواك و إن قالوا بلى سيلين

فقال له ابن أبي عتيق: لقلّ ما رضيت به منها يا قيس. قال: ذلك جهد
 المقلّ.

عنى في البيتين الأوّلين قفا النجار ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش.

أنشد ثعلب من شعره و كان يستحسنه:
 أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لقيس
 بن ذريح و كان يستحسن هذه الأبيات من شعره: سقى طلل الدار التي أنتم
 بها # حيا ثم وبل صيف [1] و ربيع

مضى زمن و الناس يستشفعون بي # فهل لي إلى لبنى الغداة شفيع
 سأصرم لبنى حبلك اليوم مجملاً # و إن كان صرم الحبل منك يروع
 و سوف أسلّي النفس عنك كما سلا # عن البلد النائي البعيد نزع [2]

وإن مسّني للصرّ منك كآبة # و إن نال جسمي للفراق خشوع
يقولون صب بالنساء موكل # و ما ذاك من فعل الرجال بديع

[1] في ب، س: «صيب» بالباء الموحدة.

[2] نزع: غريب.

ندمت على ما كان مئى ندامة # كما ندم المغبون حين يبيع
فقدتك من نفس شعاع أ لم أكن # نهيتك عن هذا و أنت جميع
فقرّبت لي غير القريب و أشرفت # هناك ثنانيا ما لهنّ طلوع
إلى الله أشكو نيّة شقّت العصا # هي اليوم شئى و هي أمس جميع
فيا حجات الدار حيث[1]تحملوا # بذي سلم لا جادكنّ ربيع

صوت

فلو لم يهجني الطاعنون لها جني # حمائم ورق في الدّيار وقوع[2]
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى # نوائح لم تقطر لهنّ دموع
-غنى في هذين البيتين ابن سريج خفيف ثقيل أوّل عن الهشاميّ-

صوت

إذا أمرتني العاذلات بهجرها # أبت كبد عمّا يقلن صديع
و كيف أطبع العاذلات و ذكرها # يؤرّقني و العاذلات هجوع
غنى في هذين البيتين إبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

فكاهات لأبي السائب المخزومي في شعره و في سيرته:
أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عبد الملك بن
عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب المخزوميّ قول قيس بن ذريح:

صوت

أحبك أصنافا من الحبّ لم أجد # لها مثلا في سائر الناس يوصف
/فمنهنّ حبّ للحبيب و رحمة # بمعرفتي منه بما يتكلّف
و منهنّ ألاّ يعرض الدّهر ذكرها # على القلب إلاّ كادت النفس تلتف
و حبّ بدا بالجسم و اللون ظاهر # و حبّ لدى نفسي من الرّوح ألطف
قال أبو السائب: لا جرم و الله لأخلصنّ له الصّفاء و لأغضبنّ لغضبه و
لأرضينّ لرضاه. غنى في البيتين الأوّلين الحسين بن محرز خفيف ثقيل عن
الهشامي و بذل.

/أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز
عن أبي السائب المخزوميّ أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله

بن كثير في سقيفة دار كثير، إذ مرّ بجنّازة؛ فقال لي: يا أبا السائب، جارك ابن [1] كذا في ج: و في سائر الأصول: «كيف» .

[2] يقال: وقع الطير على شجر أو أرض، إذا نزلت، فهن وقوع و وقع.

كلدة، أ لا تقوم بنا فنصلِّي عليه! قال: قلت: بلى و الله فديتك!. فقمنا حتى إذا كُتّا عند دار أويس إذ ذكرت أن جدّه كان تزوّج لبنى و نزل بها المدينة، فرجعت فطرحت نفسي في السَّقيفة و قلت: لا يراني الله أصلي عليه. فرجع الكثيري فقال: أ كنت جنبا؟ قلت: لا و الله. قال: فعلى غير وضوء؟ قلت: لا و الله. قال: فما لك؟ قلت: ذكرت أن جدّه كان تزوّج لبنى و فرّق بينها و بين قيس بن ذريح لمّا ظعن بها من بلادها، فما كنت لأصلي عليه.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدّثنا أحمد بن يحيى قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثني هارون بن موسى الفروي قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال: مررت بسوق الطير، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضا، فاطلعت فإذا أبو السائب المخزومي قائم على غراب يباع و قد أخذ بطرف رده و هو يقول للغراب: يقول لك قيس بن ذريح: ألا يا غراب البين قد طرت بالذي # أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

لم لا تقع! و يضربه بردائه و الغراب يصيح. قال: فقال قائل له: أصلحك الله يا أبا السائب! ليس هذا ذاك الغراب.

فقال: قد علمت، و لكن أخذ البريء حتى يقع الجريء [1].

آلت لبنى أ لا ترى غرابا إلا قتله لبيت قاله من قصيدة، و ذكر المختار منها:

و قال الحرمازي في خبره: لمّا بلغ لبنى قول قيس:

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي # أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

/آلت ألا ترى غرابا إلا قتله؛ فكانت كلّمّا رأته أو رأته خادم لها أو جارة ابتيع ممن هو معه و ذبحته.

و هذه القصيدة العينية أيضا من جيّد شعر قيس. و المختار منها قوله: أ تبكي على لبنى و أنت تركتها # و كنت كأت حتفه و هو طائع

فيا قلب صبرا و اعترافا لما ترى [2] # و يا حبّها قع بالذي أنت واقع
و يا قلب خبّرتني إذا شطّبت التوى # بلبنى و بانث عنك ما أنت صانع
أتصبر للبين المشتّ مع الجوى # أم أنت امرؤ ناسي الحياء [3] فجازع
كأئك بدع [4] لم تر الناس قبلها # و لم يطلّعك الدهر فيمن [5] يطالع
ألا يا غراب البين قد طرت بالذي # أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

فليس محبّ دائماً لحبيبه # و لا ثقة إلاّ له الدهر فاجع
/كأنّ بلاد الله ما لم تكن بها # و إن كان فيها الناس قفر[6]بلاقع

- [1] في جـ: «النطف» . و النطف: المريب.
- [2] كذا في «الأمالي» (جـ 2 ص 315 و «لسان العرب» مادة عرف) .
و اعترف للأمر: صبر. و في الأصول: «و اعترافا بحبها» .
- [3] كذا في «تجريد الأغاني» و «الأمالي» . و في الأصول: «الحياة» و
هو تحريف.
- [4] البدع: الغمر من الرجال، و هو الذي لم يجرب الأمور.
- [5] كذا في «الأمالي» . و في الأصول: «فيما» .
- [6] كذا في «الأمالي» : و في الأصول: «وحش بلاقع» .

فما أنت إذ بانتي لبيني بهاجع # إذا ما اطمأنت بالتيام المضاجع

صوت

أقصي نهاري بالحديث و بالمنى # و يجمعني و الهم بالليل جامع
 نهاري نهار الناس حتى إذا دجا [1] # لي الليل هزنتني إليك المضاجع
 لقد رسخت في القلب منك مودّة # كما رسخت في الراحتين الأصابع
 /أحال عليّ الهمّ من كلّ جانب # و دامت فلم تبرح عليّ الفواجع
 ألا إنّما أبكي لما هو واقع # فهل جزعي من وشك ذلك نافع
 و قد كنت أبكي و التوى مطمئنة # بنا و بكم من علم ما البين صانع
 و أهجركم هجر البغيض و حبّكم # على كبدي منه كلوم [2] صوادع
 و أعمد للأرض التي لا أريدها # لترجعني يوما إليك الرواجع
 و أشفق من هجرانكم و تروعني # مخافة وشك البين و الشّمل جامع
 فما كلّ ما متّك نفسك خاليا # تلاقي و لا كلّ الهوى أنت تابع
 لعمرى لمن أمسى و لبني ضجيعه # من الناس ما اختيرت عليه المضاجع
 فتلك لبيني قد تراخى مزارها # و تلك نواها غربة ما تطاوع [3]
 و ليس لأمر حاول الله جمعه # مشتّ و لا ما فرّق الله جامع
 فلا تبكين في إثر لبني ندامة # و قد نزعته من يدك النوازع

غنى الغريص في الثالث و الرابع و الأوّل و العشرين و هو «لعمرى لمن أمسى و لبني ضجيعه» ثقيلًا أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و غنى إبراهيم الموصليّ في العاشر و هو: «أقصي نهاري بالحديث و بالمنى» و الحادي عشر و الثاني عشر رملا بالوسطى عن عمرو. و قد قيل: إن ثلاثة أبيات من هذه و هي: «أقصي نهاري بالحديث و بالمنى» [و البيتان اللذان بعده [4]] لابن الدّمينه الخثعميّ؛ و هو الصحيح؛ و إنما أدخلها الناس من هذه الأبيات لتشابهها.

مصير قيس و لبني و هل ماتا زوجين أو مفترقين:

و قد اختلف في آخر أمر قيس و لبني؛ فذكر أكثر الرّواة أنّهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلها و بلغها ذلك فماتت أسفا عليه. و منهم من قال: بل ماتت قبله و مات بعدها أسفا عليها، و ممن ذكر ذلك [1] في الأصول: «بدا» .

[2] كذا في «الأمالى» و في الأصول: «شئون» .

[3] رواية «الأمالى» :

ألا تلك لبنى قد تراخى مزارها # و للبين غم ما يزال يناع

[4] زيادة يقتضيها السياق. (راجع «الأغانى» ج 15 ص 154 طبع بولاق) .

اليوسفي عن علي بن صالح المصلي؛ قال قال لي أبو عمرو المدني:
ماتت لبني، فخرج قيس و معه جماعة من أهله فوقف على قبرها فقال:
ماتت لبيني فموتها موتي # هل تنفعن حسرتي على الفوت

و سوف أبكي بكاء مكتئب # قضى حياة وجدا على ميت

ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه؛ فرفعه أهله إلى منزله و هو
لا يعقل، فلم يزل عليلا لا يفيق و لا يجيب مكلما ثلاثا حتى مات فدفن إلى
جنبها.

و ذكر القحذمي و ابن عائشة/و خالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار
إلى الحسن و الحسين ابني علي بن أبي طالب و عبد الله بن جعفر رضي
الله عنهم و جماعة من قريش، فقال لهم: إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن
يردني فيها، و إني أستعين بجاهكم و أموالكم فيها عليه. قالوا: ذلك لك
مبتذل منا. فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبني. فلما رأهم
أعظم مصيرهم إليه و أكبره. فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي
عتيق. قال: هي مقضية كائنة ما كانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة
ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال نعم. قال: تهب لهم و لي لبني زوجتك
و تطلقها. قال: فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثا. فاستحيا القوم و اعتذروا و
قالوا: و الله ما عرفنا حاجته، و لو علمنا أنها هذه ما سألناك إيها. و قال ابن
عائشة: فعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم و حملها ابن أبي عتيق إليه.
فلم تزل عنده حتى انقضت عدتها. /فسأل القوم أباه فزوجها قيسا، فلم
تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق: جزى الرحمن
أفضل ما يجازي # على الإحسان خيرا من صديق

فقد جرّبت إخواني جميعا # فما ألفت كابن أبي عتيق

سعى في جمع شملي بعد صدع # و رأي حدث فيه عن الطريق

و أطفأ لوعة كانت بقلبي # أغصتني حرارتها بريقي

قال: فقال له ابن أبي عتيق: يا حبيبي أمسك عن هذا المديح؛ فما
يسمعه أحد إلا ظنني قوادا. مضى الحديث.

صوت من مدن معبد في شعر عنتره:

و من مدن معبد و هو الذي أوّله:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

و قد جمع معه سائر ما يغنى فيه من القصيدة.
منها:

صوت

هل غادر الشعراء من متردّم # أم هل عرفت الدار[1] بعد توهم
يا دار عيلة بالجواء تكلمّي # و عمي صباحا دار عيلة و اسلمي

[1] و يروي: «أم هل عرفت الربع» و هي الرواية التي كتب عليها
المؤلف.

و تحلّ عبلة بالجواء و أهلنا # بالحزن فالصّمان فالمتثلّم [1]
 كيف القرار [2] و قد ترّبع أهلها # بعنيزتين و أهلنا بالغيلم
 حيّيت من طلل تقادم عهده # أقوى و أقفر بعد أمّ الهيثم
 / و لقد نزلت فلا تطّبي غيره # منّي بمنزلة المحبّ المكرم
 و لقد خشيت بأن أموت و لم تدر # للحرب دائرة على ابني ضمضم
 الشّامي عرضي و لم أشتمهما # و التّاذرين إذا لم القهما دمي
 و لقد شفى نفسي و أبرأ سقمها # قيل الفوارس ويك عنتر فاقدم
 / ما زلت أرميهم بنغرة نحره # و لبانه حتى تسربل بالدم
 هلاً سألت الخيل يا ابنة مالك # إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
 يخبرك من شهد الواقعة أنّي # أغشى الوعى و أعفّ عند المغنم
 يدعون عنتر و الرّماح كأثها # أشطان بئر في لبان الأدهم
 فشككت بالرّمح الطويل ثيابه # ليس الكريم على القنا بمحرّم
 فإذا شربت فإنني مستهلك # مالي، و عرضي وافر لم يكلم
 و إذا صحت فما أقصّر عن ندى # و كما علمت شمائلي و تكرمي

الشعر لعنترة بن شدّاد العسبيّ، و قد تقدّمت أخباره و نسبه. و غنّي في البيت الأوّل، على ما ذكره ابن المكيّ، إسحاق خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، و ما وجدت هذا في رواية غيره. و غنّي معبد في البيت الثاني و الثالث خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، و هو الصوت المعدود في مدن معبد. و غنّي سلامّ الغسّال في السابع و الثامن و الثالث و العاشر رملا بالسبّابة في مجرى البنصر، و وجدت في بعض الكتب أن له أيضا في السابع و جده ثاني ثقيل أيضا، و ذكر عمرو بن بانه أن هذا الثقيل الثاني بالوسطى لمعبد و وافقه يونس، و ذكر ابن المكيّ أن هذا الثقيل الثاني للهدليّ، و ذكر غيره أنه لابن محرز. و ذكر أحمد بن عبيد أنّ في السابع ثقيلًا أوّل للهدليّ، و وافقه حبش. و ذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيلًا أوّل، و أن لابن سريج فيه رملا آخر غير رمل ابن الغسّال، و أن لابن مسجح/أيضا فيه خفيف ثقيل بالوسطى. و في كتاب أبي العبيس: له في الثالث لحن. و في كتاب أبي أيّوب المدينيّ: لابن جامع في هذه الأبيات لحن. و لمعبد في الحادي عشر و الثاني عشر و الخامس عشر و السادس عشر خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا. و لعلّويه في السادس و الرابع ثاني ثقيل، و له أيضا في الرابع عشر و الثالث

عشر رمل. و في كتاب هارون بن الرّيات لعبد آل في الخامس ثقيل أوّل؛ و قد نسب الثقيل الثاني المختلف فيه لابن محرز. و في كتاب هارون: لأحمد النّصبيّ في الرابع و الخامس لحن.

«هل غادر الشعراء» البيت، يدفع أكثر الرواة أن يكون لعنترة؛ و ممن يدفعه الأصمعيّ و ابن الأعرابيّ. و أوّل [1]الصمان: موضع، و يقال: هو جبل. و قال أبو جعفر: الجواء بنجد، و الحزن لبني يربوع، و الصمان لبني تميم. و المتثلّم: مكان.

(انظر «شرح القصائد العشر» للتبريزي) .

[2]في «المعلقات» : «كيف المزار» . .

القصيدة عندهما «يا دار عبله» . فذكر أبو عمرو الشيباني أنه لم يكن يرويه حتى سمع أبا حزام العكلي يرويه له.

قوله: «هل غادر الشعراء من متردّم» يقول: هل تركوا شيئاً ينظر فيه لم ينظروا فيه؟. و المتردّم: المتعطف، وهو مصدر. يقول: هل تركوا شيئاً يتردّم عليه أي يتعطف؛ ويقال: تردّمت الناقة على ولدها إذا تعطفت عليه، و ثوب مردّم و ملدّم إذا سدّت خروقه بالرقاع. و الرّبع: المنزل، سمّي ربعا لارتباعهم فيه؛ و الرّبيعة: الصخرة. حكى أبو نصر أنه يقول: هل ترك الشعراء من خرق لم يرقعوه و فتق لم يرتقوه! و هو أشبه بقوله من متردّم. و قال غيره:

يعني بقوله من متردّم البناء و هو الرّدم، أي لم يتركوا بناء إلا بنوه؛ قال الله عز و جل: **أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا** يعني بناء؛ و ردم فلان حائطه أي بناه. / و الجواء: بلد بعينه؛ و الجواء أيضا: جمع جوّ و هو البطن الواسع من الأرض. عمي صباحا، و انعمي صباحا: تحية. ترّبع أهلها: نزلوا في الرّبع. و عنيزتين: أكمة سوداء بين البصرة و مكة. و الغيلم: موضع. و الطلل: ما كان/ له شخص من الدار مثل أثفية[1] أو وتد أو نؤي، و تقول العرب: حيّا الله طللک، أي شخصک. و ابنا ضمضم: حصين و هرم المرّبان. و ثغرة نحره: موضع لبته. و اللبان: مجرى لبيه من صدره و هو الصدر نفسه. و يروى «بغرّة وجهه» . و تسربل، أي صار له سربال من الدم. و قوله: «هلا سألت الخيل» يريد فرسان الخيل؛ كما قال الله تعالى: **وَ سَأَلِ الْقَرْيَةَ** . و الوقية: الوقعة. و الوغى و الوحى: أصوات الناس و جلبتهم في الحرب؛ و قال الشاعر:

و ليل كساج[2] الحميريّ ادرعتّه # كأنّ وغي حافاته لغط العجم

و الأشطان: الحبال، واحدها شطن. شبّه اختلاف الرّماح في صدر فرسه بالأشطان. و شككت بالرمح: نظمت.

و قال أبو عمرو: يعني بشباه قلبه. و العرض: موضع المدح و الذّم من الرجل؛ يقال: طيّب العرض أي طيّب ریح الجسم. و الكلوم: الجراح. و الوافر: التأمّ. و شمائلي: أخلاقي، واحدها شمال. يقال: فلان حلو الشّمائل و التّحائت و الصّرائب و الغرائز.

عنتره يقول معلقته لأن رجلا سبه و غيره سواده:

أخبرني عليّ بن سليمان الأحفش قال حدّثنا أبو سعيد السكّريّ قال قال أبو عمرو الشيبانيّ:

قال عنّرة هذه القصيدة لأن رجلا من بني عبس ساّبه فذكر سواده و سواد أمّه وإخوته و عيّره ذلك. فقال عنّرة:

و الله إن الناس ليتراقدون [3] بالطّعمة، فو الله ما حضرت مرقد الناس أنت و لا أبوك و لا جدك قطّ. و إنّ الناس ليدعون في الفزع فما رأيتك في خيل قطّ، و لا كنت في أوّل النساء. و إن اللبس (يعني الاختلاط) ليكون بيننا فما حضرت أنت و لا أحد من أهل بيتك لخطّة فيصل قطّ، / و كنت فقعا بقرقرة [4]. و لو كنت في مرتبتك و مغرسك الذي أنت فيه ثم ما جدتك لمجدتك، أو طاولتك لطلتك. و لو سألت أمك و أباك عن هذا لأخبراك بصحته. و إني لأحتضر الوغى، [1] الأثفية: الحجر توضع عليه القدر.

[2] الساج: الطيلسان الأسود.

[3] يتراقدون: يتعاونون.

[4] و يقال أيضا فقع قرقرة. و هو مثل يضرب للضعيف الذليل الذي لا يمتنع على من يضيّمه. و الفقع: هجين الكمأة، و هو أبيض ضخم سريع الفساد قليل الصبر عن الحيا لا يمتنع على من اجتناه، و قيل: لأنه يداس دائما بالأرجل، و قيل: لأنه لا أصل له و لا أغصان.

و القرقرة و القرقر: الأرض المستوية السهلة. (انظر ما يعول عليه في المضاف و المضاف إليه) .

و أوقى المغنم، و أعفّ عن المسألة، و أجود بما ملكت، و أفصل الخطة الصّمعاء[1]. فقال له الآخر: أنا أشعر منك.

فقال: ستعلم!. و كان عنتره لا يقول من الشّعْر إلاّ البيت أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة. و يزعمون أنها أوّل قصيدة قالها. و كانت العرب تسمّيها المذهّبة.

بقية مدن معبد:

نسبة الأصوات التي جعلت مكان بعض هذه الأصوات في مدن

معبد، و هنّ:

> صوت من مدنه في شعر كثير عزة: <

صوت

تقطّع من ظلّامة الوصل أجمع # أخيرا على أن لم يكن يتقطّع

و أصبحت قد ودّعت ظلّامة التي # تصرّ و ما كانت مع الصرّ تنفع

الشعر لكثير. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو و

يونس.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السعديّ قال قال السائب راوية كثير، و أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة قال زعم/ابن الكلبيّ عن أبي المقوم قال حدّثني سائب راوية كثير قال: كنت مع كثير عند ظلّامة فأقمنا أيّاما. فلما أردنا الانصراف عقدت له في علاقة سوطه عقدا و قالت: احفظها.

ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضمرة، /فقال: إن في هذه الأخبية جارية ظريفة ذات جمال، فهل لك أن تستبرزها؟ فقلت: ذاك إليك. قال: فملنا إليهم فخرجت إلينا جاريتها فأخرجتها إلينا، فإذا هي عرّة، فجلس معها يحادثها، و طرح سوطه بينه و بينها إلى أن غلبته عيناه. و أقبلت عرّة على تلك العقد تحلها واحدة واحدة. فلما استيقظ انصرفنا. فنظر إلى علاقة سوطه فقال: أحلتها؟ قلت: نعم! فلا وصلها الله! و الله إنك لمجنون. قال: فسكت عني طويلا ثم رفع السوط فضرب به واسطة رحله و أنشأ يقول: تقطّع من ظلّامة الوصل أجمع # أخيرا على أن لم يكن يتقطّع

و أصبحت قد ودّعت ظلّامة التي # تصرّ و ما كانت مع الصرّ تنفع

و قد سدّ من أبواب ظلّامة التي # لنا خلف للنفس منها و مقنع

ثم وصل عِزَّة بعد ذلك و قطع ظلّامة.

و منها:

و هو الذي أوّله:

«خمصانة قلق موشحها»

.

[1]الصمعاء: الحازمة.

صوت من مدنه في شعر الحارث بن خالد: صوت

أقوى من آل ظليمة الحزم # فالغمرتان فأوحش الخطم[1]
فجنوب أثيرة فملحدها # فالسدرتان فما حوى دسم[2]
و بما أرى شخصا به حسنا # في القوم إذ حيتكم نعم
إذ ودها صاف و رؤيتها # أمنيّة و كلامها غنم
/لفاء[3] مملوء مخلخلها # عجزاء ليس لعظمها حجم
خمصانة قلق موثّحها # رؤد الشباب علا بها عظم
و كأنّ غالية[4] تباشرها # تحت الثياب إذا صغا[5] النّجم
أ ظليم إنّ مصابكم رجلا # أهدى السلام تحية ظلم
أقصيته و أراد سلمكم # فليهنه إذ جاءك السّلم

عروضه من الكامل. الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ. و الغناء
لمعبد، و لحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى
البنصر. قال: و لحن معبد[6]: خمصانة قلق موثّحها
و أوّل لحن[7] مالك:

أقوى من آل ظليمة الحزم

[1] أقوى: خلا. و الحزم: موضع أمام خطم الحجول. و الغمرة: منهل
من مناهل طريق مكة و منزل من منازلها.
[2] «أثيرة: عدة جبال بمكة، واحدها ثبير. و السدرتان: موضع. و دسم:
موضع قرب مكة فيه قبر ابن سريج المغني.
[3] كذا في ج. و في سائر الأصول: «هيفا». و لفاء: ضخمة الفخذين
مكتنزة.

[4] الغالية: ضرب من الطيب.

[5] صغا النجم: مال للغروب.

[6] لعله: «و أوّل لحن معبد».

[7] يلاحظ أنه لم يتقدم لمالك لحن في هذا الشعر.

10- ذكر الحارث بن خالد و نسبه و خبره في هذا الشعر

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ و قد تقدّم ذكره و أخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرها له و هو: إنّ امرأ تعتاده ذكر

تزوّج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال: بلغني/أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة-و يقال: بل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة-كان تزوّج حميدة بنت النعمان بن بشير بدمشق لمّا قدم على عبد الملك بن مروان. فقالت فيه: نكحت المدنيّ إذ جاءني # فيا لك من نكحة غاويه

كهول دمشق و شبّانها # أحبّ إلينا من الجالية

صنان لهم كصنان الثيو # س أعيأ على المسك و الغالية

فقال الحارث يجيبها:

صوت

أسنا ضوء نار ضمرة بالقف # رة أبصرت أم سنا ضوء برق

قاطنات الحجون أشهى إلى قل # بي من ساكنات دور دمشق

يتضوّعن لو تضمّخن بالمسد # ك صنانا كأته ربح مرق[1]

غناه مالك بن أبي السّمح خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. و فيه لابن محرز[2] لحن من رواية عمرو بن بانة ثقيل أوّل بالوسطى.

[1] المرق (بالفتح) : صوف العجاف و المرضى و هو منتن، أو هو الجلد

المنتن.

[2] في ج: لابن مسجع» .

رجعت الرواية إلى خبر الحارث

قال: و طَلَّقَهَا الحارث؛ فِخلف عليها روح بن زنباع. قال: و كان الحارث خطب أمة لمالك بن عبد الله بن خالد، بن أسيد، و خطبها عبد الله بن مطيع. فتزوَّجها عبد الله ثم طَلَّقَهَا أو مات عنها، فتزوَّجها الحارث بن خالد بعد ذلك و قال فيها قبل أن يتزوَّج: أقوى من آل ظليمة الحزم # فالغمرتان فأوحش الخطم

الآبيات التي فيها الغناء.

قال و أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا محمد بن الحكم عن عوانة بهذا الخبر فذكر مثله، و لم يذكر أنّ الحارث هو المتزوَّجها، و فسّر قولها: أحبّ إلينا من الجالية

و قال: الجالية أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمّونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم إلى الشام. و قال في الحديث: فبلغ عبد الملك قولها فقال: لو لا أنها قدّمت الكهول على الشبان لعاقبتها.

قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار:

قال عوانة: و كانت لحميدة أخت يقال لها عمرة، و كانت تحت المختار بن أبي عبيد التّقيّ، فأخذها مصعب بعد قتله المختار و أخذ امرأته الأخرى و هي بنت سمرة بن جندب، فأمرهما بالبراءة من المختار. أمّا بنت سمرة فبرئت منه، و أبت ذلك عمرة. فكتب به مصعب إلى أخيه عبد الله. فكتب إليه: إن أبت أن تبرأ منه فاقتلها.

فأبت فحفر لها حفيرة و أقيمت فيها فقتلت. فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك: /

إنّ من أعجب العجائب عندي # قتل بيضاء حرّة عطبول[1]

قتلت حرّة على غير جرم # إنّ لله درّها من قتيل

كتب القتل و القتال علينا # و على الغايات جرّ الذبول

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شبة

/قال أبو زيد و حدّثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر و نحوه، و زاد فيه أن الحارث لمّا تزوّجها قالت فيه: نكحت المدينيّ إذ جاءني # فيا لك من نكحة غاويه

تهاجي حميدة مع زوجها روح بن زنباع:

و ذكر الأبيات المتقدّمة. و قال عمر بن شبة فيه: و تزوّجها روح بن زنباع؛ فنظر إليها يوماً تنظر إليّ قومه جذام، و قد اجتمعوا عنده فلامها. فقالت: و هل أرى إلا جذام! فوالله ما أحبّ الحلال منهم فكيف بالحرام!.

و قالت تهجوه:

[1]العطبول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

بكى الخزر من روح و أنكر جلده # و عجت عجبا من جذام المطارف
و قال العبا قد كنت حينا لباسكم # و أكسية كردية و قطائف

فقال روح:

إن تبك منّا تبك ممن يهينها # و إن تهوكم تهو اللئام المقارفا[1]

و قال روح:

أثني[2] عليّ بما علمت فإثني # مثن عليك لبئس حشو المنطق[3]

فقالت:

أثني عليك بأنّ باعك ضيق # و بأن أصلك في جذام ملصق

/فقال روح:

أثني عليّ بما علمت فإثني # مثن عليك بمثل ريح الجورب

فقالت:

فتناؤنا شرّ الثناء عليكم # أسوا و أنتن من سلاح التعلب

و قالت:

و هل أنا إلا مهرة عربيّة # سليفة أفراس تجلّ لها بغل
فإن نتجت مهرا كرما فبالحرى # و إن يك إقراف[4] فما أنجب الفحل

فقال روح:

فما بال مهر رائع عرضت له # أتان فبالت عند جحفة[5] البغل

إذا هو ولى جانباً ربخت[6] له # كما ربخت قمراء[7] في دمس سهل

و قالت عمرة لأخيها أبان بن التّعمان: أطال[8] الله شأوك من غلام #
متى كانت مناكحنا جذام

أ ترضى بالأكارع[9] و الدّناى # و قد كئنا يقرّ بنا السنّام

[1]المقارف: الأندال. و يروى: «و ما صانها إلا اللئام المقارف» .

[2]الثناء: ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم، و خص بعضهم به المدح.

[3]المنطق و النطاق (وزان منبر و كتاب) : شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به. و في حديث أم إسماعيل: أوّل ما اتخذ النساء المنطق.

[4]المقرف: الذي أمه عربية و أبوه ليس كذلك، ضد الهجين و المقرف أيضا: النذل. و عليه وجه هذا البيت.

[5]الجحفة: لذي الحافر كالشفة للإنسان.

[6]ربخت: استرخت.

[7]القمرء: البيضاء.

[8]ستأتي فيه رواية أخرى (ج 14 ص 129 طبع بولاق) : «أضل الله حلمك من غلام» .

[9]في الأصول هنا: «بالفواسق و الذنابي» . و التصويب عن الموضوع المذكور.

و قال ابن عمّ لروح:

رضي الأشياخ بالفطيون[1] فحلا # و ترغب للحماقة عن جذام
/يهوديّ له بضع العذارى # فقيحا للكهول و للغلام
ترفّ إليه قبل الزوج خود # كأن شمسا تدلّت من غمام
فأبقى ذلكم عارا و خزيا # بقاء الوحي[2] في صمّ السّلام
يهود جمّعوا من كلّ أوب # و ليسوا بالغطاريف الكرام

و قالت:

سمّيت روحا و أنت الغمّ قد علموا # لا رّوح الله عن روح بن زنباع

فقال روح:

لا رّوح الله عمّن ليس يمنعا # مال رغيب و بعل غير ممناع
كشافع[3] جونة تجل مخاصرها # دبّابة شنّنة الكفّين جبّاع

قال: و الجبّاع: القصيرة. و الجبّاع من السهام: الذي لا نصل له. و
الجبّاع: الرّصف[4]. و قالت: /

تكحلّ عينيك برد العشيّ # كأثك مومسة زانية
و آية ذلك بعد الخفوق # تغلّف رأسك بالغاليه
و أنّ بنيك لريب الزما # ن أمست رقابهم حاله
فلو كان أوس لهم حاضرا # لقال لهم إنّ ذا ماليه

و أوس رجل من جذام يقال: إنه استودع روحا مالا فلم يرده عليه.
فقال لها روح: إن يكن الخلع من بالكم # فليس الخلاعة من باليه

/و إن كان من قد مضى مثلكم # فأفّ و تفّ على الماضيه
و ما إن برا الله فاستيقب # ه من ذات بعل و من جاريه
شبيها بك اليوم فيمن بقي # و لا كان في الأعصر الخاليه

[1] كذا في «نسخة الشنقيطي» مصححة بقلمه. و الفطيون (بكسر
الفاء و سكون الطاء) : رجل من اليهود سيئ فاجر كانت اليهود تدين له إلى
أن كانت لا تتزوّج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، و
يقال إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس و الخزرج. حتى كان زفاف أخت لمالك
بن العجلان فأثارت في أخيها عوامل الحمية و الغيرة فقتله. (راجع الجزء

الثالث من هذه الطبعة ص 40 الحاشية رقم 3) . و في «الأصل» هنا:
«القيطون» و هو تحريف.

[2]الوحي: الكتابة. و السلام: الحجارة.

[3]الشافع من النوق و الشاء: التي في بطنها ولد و يتبعها آخر. و
جونة: سوداء. و ثجل: جمع أثجل أو ثجلاء. و الثجل: عظم البطن وسعته. و
شنة الكفين: غليظتهما.

[4]الرصف: جمع رصفة و هي العقبة (و العقب: العصب الذي تعمل
منه الأوتار) تلوي فوق الرعظ (و رعظ السهم: مدخل سنخ السهم في
النصل) .

فبعدا لمحيك إذ ما حبيت # وبعدا لأعظمك البالية

تزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم:

و قال روح في بعض ما يتنازعان فيه: اللهم إن بقيت بعدي فابتلها ببعل
يلطم وجهها و يملأ جبرها قيئاً: فتزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم بن
أبي عقيل و كان شاباً جميلاً يصيب من الشراب فأحبته. فكان ربّما أصاب
من الشراب مسكراً فيلطم وجهها و يقيء في جبرها؛ فتقول: يرحم الله أبا
زرعة! قد أجيت دعوته فيّ.

و قالت لفيض:

سمّيت فيضا و ما شيء تفيض به # إلا سلاحك بين الباب و الدار
فتلك دعوة روح الخير أعرفها # سقى الإله صداه الأوطف [1] السّاري

و قالت لفيض أيضاً:

ألا يا فيض كنت أراك فيضا # فلا فيضا أصبت و لا فراتا

و قالت:

و ليس فيض بفيّاض العطاء لنا # لكنّ فيضا لنا بالقيء فيّاض
ليث اللبوث علينا باسل شرس # و في الحروب هبوب الصدر جيّاض [2]

تزوّج ابنتها من الفيض الحجّاج بن يوسف:

فولدت من الفيض ابنة فتزوّجها الحجّاج بن يوسف؛ و قد كانت قبلها
عند الحجّاج أمّ أبان بنت التّعمان بن بشير. فقالت حميدة للحجّاج: إذا
تذكّرت نكاح الحجّاج # من النّهار أو من الليل الدّاج

فاضت له العين بدمع تجّاج # و أشعل القلب بوجد وهّاج

/لو كان نعمان قتيل الأعلاج [3] # مستوي الشّخص صحيح الأوداج

لكنت منها بمكان التّسّاج # قد كنت أرجو بعض ما يرجو الرّاج

أن تنكحيه ملكاً أو ذا تاج

فقدمت حميدة على ابنتها زائرة. فقال لها الحجّاج: يا حميدة، إني كنت
أحتمل مزاحك مرّة [4]، و أمّا اليوم فإني بالعراق و هم قوم سوء فإيّاك!.
فقالت: سأكفّ حتى أرحل.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيوب قال حدّثنا
المدائني عن مسلمة بن محارب قال: قالت حميدة بنت التّعمان لزوجها روح

بن زنباع، و كان أسود ضخماً: /كيف تسود و فيك ثلاث خصال: [1]الأوظف
من السحاب: الداني من الأرض.

[2]الجياض: الروّاغ.

[3]في جـ: «قتيل الإدلاج» .

[4]لعله: «مدة» .

أنت من جذام، و أنت جبان، و أنت غيور. فقال: أمّا جذام فأنا في أرومتها[1]، و بحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه. و أما الجبن فإنما لي نفس واحدة، و لو كان لي نفسان لجدت بإحداهما. و أمّا الغيرة فهو أمر لا أحبّ أن أشارك فيه، و إن المرء لحقيق بالغيرة على المرأة مثلك الحمقاء الورهاء لا يأمن أن تأتي بولد من غيره فتقذفه في حجره. ثم ذكر باقي خبرها مثل ما تقدّم، و قال فيه: فخلف بعده عليها الفيض بن محمد عمّ يوسف بن عمر، فكان يشرب و يلطمها و يقيء في حجرها، فقالت: سمّيت فيضا و ما شيء تفيض به # إلا سلاحك بين الباب و الدار

قال المدائني: و تمثّل فيض يوما بهذا البيت: إن كنت ساقية يوما على كرم # صفو المدامة فاسقيها بني قطن

ثم تحرّك فصرط. فقالت: واسق هذه أيضا بني قطن!.

أبو عثمان المازني و الواثق:

و هذا الصوت أعني:

أقوى من آل ظليمة الحزم

هو الصوت الذي أشخص الواثق له أبا عثمان المازنيّ بسبب بيت منه اختلف في إعرابه بحضرته، و هو قوله: أ ظليم إنّ مصابكم رجلا # أهدى السّلام تحية ظلم

و قال آخرون: «رجل». حدّثني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي العباس محمد بن يزيد عن أبي عثمان، و أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا القاسم بن إسماعيل و عون بن محمد و عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد و الطيّب بن محمد الباهليّ، يزيد بعضهم على بعض، قالوا حدّثنا أبو عثمان المازنيّ قال: كان سبب طلب الواثق لي أنّ مخارقا غنّي في مجلسه: أ ظليم إنّ مصابكم رجلا # أهدى السّلام تحية ظلم

فغناه مخارق «رجل» فتابعه بعض القوم و خالفه آخرون. فسأل الواثق عمّن بقي من رؤساء النحويين فذكرت له، فأمر بحملي. فلما وصلت إليه قال: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن. قال: أ من مازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة أم مازن اليمن؟ قلت: من مازن ربيعة. فقال لي با اسمك؟ (يريد ما اسمك و هي لغة كثيرة في قومنا) فقلت على القياس: مكر (أي

بكر) . فضحك فقال[2]: اجلس و اطبئن (يريد: و اطمئن) فجلست. فسألني عن البيت.

فقلت: «إن مصابكم رجلا» فقال: أين خبر «إن»؟ قلت: «ظلم» و هو الحرف الذي في آخر البيت. و قال الأخفش في خبره: و قلت له: إن معنى «مصابكم» إصابتكم، مثل ما تقول: /إنّ قتلکم رجلا حیّاکم ظلم. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إن البيت كله معلق لا معنى له حتى يتم بقوله «ظلم». ألا ترى أنه لو قال: أظلم إن مصابكم رجل أهدى السلام تحية، لما احتج إلى «ظلم» و لا كان له معنى، إلا أن يجعل التحية بالسلام ظلما، و ذلك محال، و يجب حينئذ أن يقول: [1]الأرومة (بالفتح و تضم) : الأصل.

[2]لعله: «و قال» .

أظلم إن مصابكم رجل # أهدى السّلام تحيّة ظلما

و لا معنى لذلك، و لا هو، لم كان له وجه، معنى قول الشاعر في شعره. فقال: صدقت، أ لك ولد؟ قلت: بنية لا غير. قال: فما قالت حين ودعتها؟ قال قلت: أنشدت شعر الأعشى: تقول ابنتي حين جدّ الرّحيل # أرانا سواء و من قد يتم

/أبانا فلا رمت من عندنا # فإنا بخير إذا لم ترم

أرانا إذا أضمرتك البلا # د نجفى و تقطع منّا الرّحم

قال: فما قلت لها؟ قال: قلت لها قول جرير: ثقي بالله ليس له شريك # و من عند الخليفة بالنّجاح

فقال: ثق بالنّجاح إن شاء الله تعالى. إنّ هاهنا قوما يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم، فمن كان منهم عالما ينتفع به ألزمناهم إيّاه، و من كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم. فأمر فجمعوا إليّ فامتحنتهم فما وجدت فيهم طائلا؛ و حذروا ناحيتي، فقلت: لا بأس على أحد. فلمّا رجعت إليه قال: كيف رأيتمهم؟ قلت: يفضل بعضهم بعضا في علوم، و يفضل الباقون في غيرها، و كلّ يحتاج إليه. فقال لي الواصل: إنى خاطبت منهم واحدا فكان في نهاية من الجهل في خطابه و نظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثر من تقدّم منهم بهذه الصفة؛ و لقد أنشدت فيهم: /

إنّ المعلّم لا يزال مضغفا # و لو ابنتى فوق السماء بناء

من علّم الصبيان أضنوا عقله # مما يرقى غدوة و مساء

مضى الحديث:

صوت من مدن معبد في شعر الأعشى:

و منها:

صوت

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد # د أسيل تزينه الأطواق

و شتيت كالأقحوان جلاه الطلّ فيه عذوبة و اتساق الشعر للأعشى. و الغناء لمعبد. و ذكر إسحاق أن لحنه خفيف ثقيل من أصوات قليلات الأشباه، و ذكر عمرو بن بانه أن لحنه من الثقيل الأوّل بالنصر. و لإسحاق لحن من الثقيل أيضا و هو مما عارض فيه معبدا فانتصف منه، و من أوائل أغانيه و صدورها.

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشَّيعِيّ قال حدَّثنا عمر بن شُبَّة عن إسحاق
قال ذكر الحسن بن عتبة اللُّهبيّ المعروف بفورك قال: قتيلات معبد:
قال لي الوليد بن يزيد: أريد الحجَّ، فما يمنعني منه إلا أن يلقاني أهل
المدينة بقتيلات معبد و بقصره و نخله

فأفتضح به طربا. يعني ثلاثة أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قتيلة هذه، و نسبتها تأتي بعد. و يعني بقصره و نخله لحنه: القصر فالنخل فالجماء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق و حدّثني عبد الملك بن هلال: و بلغني أن فتنة من قريش دخلوا إلى قينة و معهم روح بن حاتم المهلبّي، فتماروا فيما يختارونه من الغناء. فقالت لهم: أعني لكم صوتا يزيل الاختلاف و يوقع بينكم الاجتماع، فرضوا بها. فعنت: /

يوم تبدي لنا قتيلة عن جـ # د أسيل تزينه الأطواق

فرضوا به و اتفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه، و أقاموا عندها أسبوعا لا يسمعونه غيره.

نسبة أصوات معبد في قتيلة الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى: منها:

أثوى و قصر ليلة ليزودا # فمضى و أخلف من قتيلة موعدا

يجحدن ديني بالتهار و أقتضي # ديني إذا وقد[1]النعاس الرّقد

/و أرى الغواني لا يواصلن امرأ # فقد الشباب و قد يصلن الأمردا

الشعر للأعشى. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أبو شراة في مجلس الرّياشيّ قال: حدّثت أنّ رجلا نظر إلى الأعشى يدور بين البيوت ليلا؛ فقال له: يا أبا بصير، إلى أين في هذا الوقت؟ فقال: يجحدن ديني بالتهار و أقتضي # ديني إذا وقد النّعاس الرّقد

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال حدّثني أبي قال: عنيت بين يدي الرشيد و ستارته منصوبة:

و أرى الغواني لا يواصلن امرأ # فقد الشباب و قد يصلن الأمردا

/فطرب و استعاده و أمر لي بمال. فلما أردت أن أنصرف قال لي: يا عاضّ كذا و كذا! أ تغني بهذا الصوت و جواربيّ من وراء ستارة يسمعه! لو لا حرمتك لضربت عنقك!. فتركته و الله حتى أنسيته.

و منها:

صوت

ألمّ خيال من قتيلة بعد ما # و هى حبلها من حبلنا فتصرّما

[1] وقذه النعاس: غلبه.

فبت كأي شارب بعد هجعة # سخاميّة [1] حمراء تحسب عندما

الشعر للأعشى. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو. و فيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عنه و عن ابن المكيّ.

سبعة ابن سريج:

فأمّا السبعة التي جعلت لابن سريج بإزار سبعة معبد فإني قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن، قال حدّثني الحسين بن أحمد الأکثمّي عن أبيه قال: ذكرنا عند إسحاق يوما أصوات معبد السبعة فقال: و الله ما سبعة ابن سريج بدونهنّ. فقلنا له: و أيّ سبعة؟ فقال: إن معنيّ المكيين لما سمعوا بسبعة معبد و شهرتها لحقتهم لذلك غيرة، فاجتمعوا فاختروا من غناء ابن سريج سبعة فجعلوها بإزاء سبعة معبد، ثم خيروا [2] أهل المدينة فانتصفوا منهم. فسألوا إسحاق عن السبعة السّريجيّة؛ فقال: منها.

تشكّي الكميّت الجري لما جهده

و قد مضت نسبته في الثلاثة الأصوات المختارة.

و

لقد حبّبت نعم إلينا بوجهها

/و

قرّب جيراننا جمالهم

و

أرقت و ما هذا السّهاد المؤرّق

و قد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مدن معبد- و

بيننا كذاك إذا عجاجة موكب

و

فلم أر كالتّجمير منظر ناظر

-و قد مضى في الأرمال المختارة- و

تضوّع مسكا بطن نعمان إن مشت

-و قد ذكر في المائة مع غيره في شعر التّميريّ- و

إن جاء فليأت على بغلة

[1] خمر سخام و سخامية: لينة سلسة.

[2] أي غالبوهم، يقال: خيره في العلم و خيره مخايرة فخاره، أي غالبه فغلبه و كان خيرا منه.

نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد
مضى متقدِّماً
الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هذه السبقة:
فمنها:

صوت

/

لقد حَبِّتْ نعم إلينا بوجهها # مساكن ما بين الوتائر[1] فالنَّع
و من أجل ذات الخال أعملت ناقتي # أكلفها سير الكلال مع الطَّلَع

عروضه من الطويل. و الشعر لعمر بن أبي ربيعة، و الغناء لابن سريج
ثاني ثقل بالبنصر. و ذات الخال التي عنها هاهنا عمر امرأة من ولد أبي
سفيان بن حرب، كان عمر يكني عنها بذلك.

عمر بن أبي ربيعة و ذات الخال:

حدَّثني عليُّ بن صالح بن الهيثم قال حدَّثني أبو هفان عن إسحاق بن
إبراهيم الموصلي عن الزبيرِ و المسيبيِّ و محمد بن سلام و المدائنيِّ، و
أخبرنا به الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني عمِّي و لم
يتجاوزهُ: / أن عمر بن أبي ربيعة و ابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة، إذ
مَرَّت بهما امرأة من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف[2] فكتب إليها و كنى
عن اسمها:

صوت

ألقا بذات الخال فاستطلعا لنا # على العهد باق ودها أم تصرِّما

و قولاً لها إنَّ التوى أجنبيَّة # بنا و بكم قد خفت أن تتيِّمنا

-عُثاه ابن سريج خفيف ثقل أوّل بالسِّيابة في مجرى البنصر عن
إسحاق- قال فقال له ابن أبي عتيق: سبحان الله! ما تريد إلى امرأة مسلمة
محرمة أن تكتب إليها مثل هذا! قال: فكيف بما قد سيَّرته في الناس من
قولي: لقد حَبِّتْ نعم إلينا بوجهها # مساكن ما بين الوتائر و النَّع

و من أجل ذات الخال أعملت ناقتي # أكلفها سير الكلال مع الطَّلَع

و من أجل ذات الخال يوم لقيتها # بمنذفع الأخاب[3] أخضلني دمعي

و من أجل ذات الخال ألف منزلاً # أحلَّ به لا ذا صديق و لا زرع

و من أجل ذات الخال عدت كأني # مخامر سقم داخل أو أخو ريع[4]

[1] الوتيرة: ماء بأسفل مكة لخزاعة. و النقع: موضع قرب مكة في جنبات الطائف.

[2] في ب، س: «بكاتب» و هو تحريف.

[3] موضع قرب مكة. و في الأصول: «الأجناب» بالجيم و النون و هو تصحيف.

[4] الربع: النعش، و يكنى به عن الموت. -

أَلَمَّا بَدَاتِ الْخَالَ إِنِّ مَقَامَهَا # لَدَى الْبَابِ زَادَ الْقَلْبُ صَدْعًا عَلَى صَدْعٍ

وَأُخْرَى لَدَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ نَظَرْتُهَا # إِلَيْهَا تَمَشَّتْ فِي عِظَامِي وَ فِي سَمْعِي

وَقَالَ الْحَرَمِيُّ فِي خَبْرِهِ: أَمَا تَرَى مَا سَارَ لِي مِنَ الشَّعْرِ! مَا عَلَّمَ اللَّهُ
أَنْبِيَّ اطَّلَعَتْ حَرَامًا قَطًّا! ثُمَّ انصرفنا. فلما كان من الغد التقينا. فقال عمر:
أشعرت أن ذلك الإنسان قد ردّ الجواب؟ قال: و ما كان من ردّه؟ قال: كتب.

صوت

أَمْسَى قَرِيبُكَ بِالْهَوَى نَمَامًا # فَارِيعَ هَدَيْتَ وَ كُنْ لَهُ كَثَامًا

وَ اعْلَمْ بِأَنَّ الْخَالَ حِينَ وَصَفْتَهُ # قَعَدَ الْعَدُوَّ بِهِ عَلَيْكَ وَ قَامَا

لَا تَحْسِبَنَّ الْكَاشِحِينَ عَدَمَتَهُمْ # عَمَّا يَسُوؤُكَ غَافِلِينَ نِيَامَا

لَا تَمَكِّنَنَّ مِنَ الدَّفِينَةِ كَاشِحًا # يَتَلَوُّ بِهَا حِفْظًا عَلَيْكَ إِمَامَا

عُنِّي فِيهِ سَلِيمٌ خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو. قَالَ: وَ فِيهِ لِفَرِيدَةٍ وَ
إِبْرَاهِيمَ لِحَنَانٍ.

وَ فِي بَعْضِ النُّسخِ: لِإِسْحَاقَ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ غَيْرٌ مَنْسُوبٌ. وَ ذَكَرَ حَبَشٌ
أَنَّ خَفِيفَ الرَّمْلِ لِفَرِيدَةٍ.

/أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعٌ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ
بْنِ سَلَامٍ، قَالَ وَ أَخْبَرَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ:
سَأَلْتُ عَمْرَ بْنَ خَلِيفَةَ الْعَبْدِيِّ-وَ كَانَ عَابِدًا وَ كَانَ يَعْجِبُهُ الْغِنَاءُ-أَيُّ الْقَوْمِ كَانَ
أَحْسَنَ غِنَاءً؟ قَالَ: ابْنُ سَرِيحٍ إِذَا تَمَعَبَدَ-يُرِيدُ: إِذَا غَنَّى فِي مَذْهَبِ مَعْبَدٍ مِنَ
الثَّقِيلِ-قُلْتُ: مِثْلُ مَا ذَا؟ قَالَ: مِثْلُ صَوْتِهِ [1]

صوت

لَقَدْ حَبَّبْتَ نَعْمَ إِلَيْنَا بِوَجْهِهَا # مَسَاكِنَ مَا بَيْنَ الْوَتَائِرِ فَالْتَّقِعْ

وَ قَالَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَامِرِيُّ قَالَ:

جَلَسَ مَعْبَدٌ وَ الْأَبَجْرُ وَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغَنِّينَ فَتَذَاكُرُوا ابْنَ سَرِيحٍ وَ مَا
اشْتَهَاهُ النَّاسُ مِنْ غِنَائِهِ، فَقَالُوا: مَا هُوَ إِلَّا مِنْ غِنَاءِ الرَّقَافِ وَ الْمُخْتَبِينَ.
فَنَمِي الْحَدِيثَ إِلَى ابْنِ سَرِيحٍ فَعُنِّي: لَقَدْ حَبَّبْتَ نَعْمَ إِلَيْنَا بِوَجْهِهَا

/فَلَمَّا جَاءَ مَعْبَدٌ وَ أَصْحَابُهُ وَ اجْتَمَعُوا غَنَّاهُمْ إِيَّاهُ. فَلَمَّا سَمِعُوهُ قَامُوا
هَارِبِينَ، وَ جَعَلَ ابْنُ سَرِيحٍ يَصْفُقُ خَلْفَهُمْ وَ يَقُولُ: إِلَى أَيْنَ؟!! إِنَّمَا هُوَ ابْنُ لَيْلَتِهِ

فكيف لو اختتمر! قال فقال معيد: دعوه مع طرائقه الأول و لا تهيجوه على طرائقكم، وإلاّ لم يدع لكم و الله خبزا تأكلونه.

قال الزبير في خبره عن عمّه: و علق نعماً هذه فقال فيها شعراً كثيراً. و نحن نذكرها ها هنا ما فيه غناء من ذلك.

فمنه قوله:

[1] كذا في أ، م و في سائر الأصول: «قوله» .

صوت

خطرت لذات الخال ذكرى بعد ما # سلك المطي بنا على الأنصاب [1]

أنصاب عمرة و المطي كأنها # قطع القطا صدرت عن الأحباب [2]

فانهل دمعى في الرداء صباة # فسترته بالبرد عن أصحابى

فرأى سوابق دمة مسكوبة # بكر فقال بكى أبو الخطاب

عروضه من الكامل. «بكر» الذي ذكره هاهنا عمر هو ابن أبي عتيق و هو يسميه في شعره ب بكر و بعتيق، و إياه يعني بقوله: لا تلمني عتيق حسبي الذي بي # إن بي يا عتيق ما قد كفاني

الغناء في «خطرت لذات الخال» للغريض، و لحنه ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. و ذكر عمرو بن بانه أن فيه ثقيلًا أول بالبنصر لأبي سعيد مولى فائد.

و أخبرني الحرمي قال حدّثني الزبير قال حدّثني عمي:

أن عمر بن أبي ربيعة وافقها و هي تستلم الركن، فقرب منها. فلما رآته تأخرت و بعثت إليه جاريتها. فقالت له: تقول لك ابنة عمك: إن هذا مقام/لا بد منه كما ترى، و أنا أعلم أنك ستقول في موقفنا هذا فلا تقول هجرا.

فأرسل إليها: لست أقول إلا خيرا. ثم تعرّض لها و هي ترمي الجمار، فأعرضت عنه و استترت؛ فقال:

صوت

دين هذا القلب من نعم # بسقام ليس كالسقم

إن نعمًا أقصدت رجلا # آمنا بالخيف إذ ترمي

/اسمعي مئا تحاورنا # و احكمي رصيت بالحكم

بشتيت [3]نبته رتل # طيب الأنياب و الطعم [4]

بأتكم [5]منه بحجته # فله العتبي و لا أحمي [6]

عروضه من المديد. الغناء لإسحاق خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. و فيها لمالك ثقيل أول من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق. و فيه لابن سريج رمل بالبنصر عن حبش. و فيه لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى عن حبش أيضا. و ذكر الهشامي أن الصوت مما يشك فيه أنه لمعبد أو غيره.

- [1] الأنصاب: موضع.
- [2] الأجباب: جمع جب و هو البئر التي لم تطو أي لم تبن.
- [3] الشتيت: المتفرق. و الرتل: بياض الأسنان و حسن تناسقها.
- [4] كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «و اللغم» .
- [5] كذا في «ديوانه» . و قد ورد فيه قبل هذا البيت بيت يرجح رواية «الديوان» و هو: و انشديه هل أتيت له # سخطا مني على علم
و في الأصول: «و ليأتكم» .
- [6] كذا في «الديوان» . و في الأصول: «و لم أحم» .

قال: و قال فيها أيضا:

صوت

أبيني اليوم أي نعم # أوصل منك أم صرم
فإن يك صرم عاتبة[1] # فقد نغنى و هو سلم
/تلومك في الهوى نعم # و ليس لها به علم
صحيح لو رأى نعمًا # لخالط جسمه سقم

عروضه من الهزج. غنّاه مالك و لحنه ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى
الوسطى عن إسحاق. و فيه لميّة خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق[2]، و
ذكر أنّ فيه أيضا صنعة لابن سريج.

و مما يغنى فيه مما قاله فيها- و هو من قصيدة طويلة:-

صوت

فقلت لجناد خذ السيف و اشتمل # عليه بحزم و انظر الشمس تغرب
و أسرج لنا الدّهماء و اعجل بمطري[3] # و لا تعلمن خلقا من الناس مذهبي

عروضه من الطويل. غنّاه زرور غلام المارقيّ خفيف ثقيل بالبنصر.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عمّي قال: قيل لعمر بن
أبي ربيعة: ما أحبّ شيء أصبته إليك؟ قال: بينا أنا في منزلي ذات ليلة إذ
طرقني رسول مصعب بن الزبير بكتابه يقول: إنه قد وقعت عندنا أثواب مما
يشبهك، و قد بعثت بها إليك و بدنانير و مسك و طيب و بغلة. قال: فإذا
بثياب من وشي و خزّ العراق لم أر مثلها قطّ و أربعمئة دينار و مسك و
طيب كثير و بغلة. فلمّا أصبحت لبست بعض تلك الثياب و تطيّبت و أحرزت
الدنانير و ركبت البغلة و أنا نشيط لا همّ لي قد أحرزت نفقة سنتي؛ فما
أفدت فائدة كانت أحبّ إليّ منها. و قلت في ذلك: /

أ لا أرسلت نعم إلينا أن اتنا # فأحب بها من مرسل متغصّب

فأرسلت أن لا أستطيع فأرسلت # تؤكّد أيمان الحبيب المؤتّب

فقلت لجناد خذ السيف و اشتمل # عليه بحزم و انظر الشمس تغرب

و أسرج لي الدّهماء و اعجل بمطري # و لا تعلمن خلقا من الناس مذهبي

و موعدك البطحاء أو بطن يأجج[4] # أو الشّعب بالممروخ[5] من بطن مغرب

- [1] كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «غانية» و هو تصحيف.
- [2] في جـ: «عن حبش» .
- [3] الممطر: ما يلبس للوقاية من المطر.
- [4] يأجج: مكان من مكة على ثمانية أميال.
- [5] كذا في «الديوان» . و في الأصول: «أو الشعب ذي المسروح» .

/

فلما التقينا سلّمت و تبسّمت # و قالت مقال المعرض المتجنّب
أ من أجل واش كاشح بنميمة # مشى بيننا صدّقه لم تكذّب
قطعت وصال الحبل منّا و من يطع # بذي[1]ودّه قول المحرّش يعتب
فبات وسادي ثني كفّ مخصّب # معاود عذب لم يكدرّ بمشرب
إذا ملت مالت كالكتيب رخيمة # منعمة حسّانة المتجلبب
أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الرّبير قال حدّثني عمّي قال:
بلغ عمر بن أبي ربيعة أنّ نعمًا اغتسلت في غدير؛ فنزل عليه و لم يزل
يشرب منه حتى نضب.
قال الرّبير قال عمّي: «و قال فيها أيضا:

صوت

طال ليلي و عادني اليوم سقم # و أصابت مقاتل القلب نعم
و أصابت مقاتلي بسهام # نافذات و ما تبينّ كلم
حرّة الوجه و الشمائل و الجو # هر تكليمها لمن نال غنم
/هكذا وصف ما بدا لي منها # ليس لي بالذي تغيب علم
غير أني أرى الثياب ملاء # في يفاع يزبن ذلك جسم
و حديث بمثله تنزل العص # م رخم يشوب ذلك حلم
عروضه من الخفيف. عنّي ابن سريج في الأربعة الأبيات لحنا ذكره
إسحاق و أبو أيّوب المدني في جامع غنائه و لم يجنّسه، و ذكر حبش أنه
خفيف رمل بالبنصر.

مناقشة بين إسحاق و إبراهيم بن المهدي في معبد و ابن

سريج:

أخبرني عمي قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدّثني
عمرو بن بانة قال: كنت حاضرًا مع إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عند إبراهيم
بن المهديّ. فتفاوضنا حديث المغنّين، حتى انتهوا إلى أن حكى إسحاق قول
عمر بن أبي خليفة: «إذا تمعبد ابن سريج كان أحسن الناس غناء». فقال
إبراهيم لإسحاق: حاشاك يا أبا محمد أم تقول هذا! فقد رفع الله علمك و قدر
ابن سريج عن مثل هذا القول، و أغنى ابن سريج بنفسه عن أن يقال له

تمعبدا؛ و ما كان معبدا يضع نفسه هذا الموضوع؛ و كيف ذلك و هو إذا أحسن يقول: أصبحت اليوم سريجياً. و ما قد أنصف أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي معبدا في هذا القول؛ لأن معبدا و إن كان يعظم ابن سريج و يوقيه حقه فليس بدونه و لا هو بمرذول عنده. و قد مضى في صدر الكتاب خبر ابن سريج لما قدم المدينة مع الغريص ليستمنحا أهلها، فسمعا و هو يصيد الطير يغني لحنه: القصر فالنخل فالجماء بينهما [1] كذا في ج و «ديوانه». و في الأصول: «لدى وده» .

فرجع ابن سريج و ردّ الغريض و قال: لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلام فيهم يصيد الطير، فكيف بمن داخل الجونة!.

تعظيم ابن سريج لمعبد و أخذه عنه:

و أظرف من ذلك من أخباره و أدلّ على تعظيم ابن سريج معبدا ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليّ بن سليمان التّوفليّ، قال حدّثني أبي قال: التقى ابن سريج و معبد ليلة بعد افتراق طويل و بعد عهد؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد افتراقهما؛ فتغنّى هذا و تغنّى هذا؛ ثم تغنّى ابن سريج لحنه في: /

أنا الهالك المسلوب مهجة نفسه # إذا جاوزت مرّا [1] و عسغان غيرها

فغنّاه مرسلًا لا صيحة فيه. فقال له معبد: أ فلا حسنته بصيحة! قال: فأين أضعها؟ قال: في: غدت سافرا و الشمس قد ذرّ قرنهما

قال: فصح أنت فيه حتى أسمع منك. قال: فصاح فيه معبد الصّيحة التي يغنّى بها فيه اليوم. فاستعاده ابن سريج حتى أخذه فغنّى صوته كما رسمه معبد فحسن به جدّا. و في هذا دليل يبين فيه التحامل على معبد في الحكاية.

صوت

غدت سافرا و الشمس قد ذرّ قرنهما # فأغشى شعاع الشمس منها سفورها

و قد علمت شمس النهار بأنّها # إذا ما بدت يوما سيذهب نورها

أنا الهالك المسلوب مهجة نفسه # إذا جاوزت مرّا و عسغان غيرها

أهاجتك سلمى إذ أجدّ بكورها # و هجر يوما للزّواح بعيرها

الشعر يقال: إنه لطريف العنبريّ. و الغناء لابن سريج خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن ابن المكيّ، و ذكر عمرو أنه لسياط. و لإبراهيم في الثالث و الأوّل و الرابع خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق و عمرو.

و فيه لبسباسة ثقيل/أوّل بالبنصر عن حبش. و فيه لابن جامع لحن عن حبش من رواية أبي أيّوب المدنيّ.

و من سبعة ابن سريج:

صوت

<أصوات من سبعة ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة: >

قرب جيراننا جمالهم # ليلا فأضحوا معا قد ارتفعوا

ما كنت أدري بوشك بينهم # حتى رأيت الحداة[2] قد طلعا

[1] يريد مر الظهران و هو موضع على مرحلة من مكة. و عسفان على مرحلتين منها.

[2] كذا أ، م. و في سائر الأصول: «الغداة» و هو تحريف.

على مصكّين من جمالهم # و عنتريسين فيهما شجع[1]

يا نفس صبرا فإنّه سفه # بالحرّ أن يستفرّه الجزع

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو. و ذكر حبش أن فيه للغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر. و ذكر ابن أبي حسان أن هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ حدّثه عن أبيه عن ابن جامع قال: عيب على ابن سريج خفة غنائه، فأخذ أبيات عمر بن أبي ربيعة: قرّب جيراننا جمالهم

فغنى فيها في كل إيقاع لحنا. فجميع ما فيها من الألحان له.

و أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني منصور بن أبي مزاحم قال حدّثني رزام أبو قيس مولى خالد بن عبد الله قال: قال لي إسماعيل بن عبد الله: يا أبا قيس، أيّ رجل أنت لو لا أنك تحب السّماع!. قلت: أصلحك الله! أما و الله لو سمعت فلانة تغنيك: قرّب جيراننا جمالهم # ليلا فأضحوا معا قد ارتفعوا

لعذرتني. فقال: يا أبا قيس، لا عاتبتك بعد هذا أبدا.

/و منها:

صوت

بيننا كذلك إذ عجاجة موكب # رفعوا ذميل العيس في الصحراء

قالت أبو الخطاب أعرف زيّه [2] # و لباسه لا شكّ غير خفاء

الشعر لابن أبي ربيعة. و الغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالبنصر، و ذكر الهشاميّ و أبو العبيس أنه لمعبد؛ و ليس الأمر كما ذكرنا.

و منها:

صوت

و هو الذي أوّله:

إن جاء فليأت على بغلة

[1]المصكّ: القوي. و العنتريس: الناقة الغليظة الوثيقة. و الشجع في الإبل: سرعة نقل القوادم.

[2] كذا في «ديوانه» . و قبل البيت: قالت لجارتها انظري ها من أولى
و تأملي من راكب الأدماء
و في الأصول: «تعرف» .

سلمى عديه سرحتي مالك # أو الرّبا دونهما منزلا

إن جاء فليأت على بغلة # إنني أخاف المهر أن يصهلا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لابن سريج من رواية يحيى بن
المكّي و الهشاميّ ثقيل أوّل بالبنصر، و ذكر يونس أنه للغريض، و ذكره
إسحاق في أغاني الغريض و لم يجنّسه.

11-أغاني الخلفاء و أولادهم و أولاد أولادهم

من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى و من لم يثبت عنه ذلك:
قال مؤلف هذا الكتاب: المنسوب إلى الخلفاء من الأغاني و الملتصق بهم منها لا أصل لجله و لا حقيقة لأكثره، لا سيما ما حكه ابن خرداذبه فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنى في هذا البيت:

كأن ركبها غصن بمروحة

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحدا بعد واحد، حتى كأن ذلك عنده ميراث من موارث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بد منه و لا معدل عنه، يخبط خبط العشواء و يجمع جمع حاطب الليل. فأما عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يروى عن كل أحد لبعد عنه؛ و إنما روي أنه تمثّل بهذا البيت و قد ركب ناقة فاستوطأها، لا أنه غنى به، و لا كان الغناء العربي أيضا عرف في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من التّصب [1] و الحداء، و ذلك جار مجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب و ترجيع يسير و رفع للصوت. و الذي صحّ من ذلك عن رواة هذا الشأن فأنا ذاك من ما كان متقن الصنعة لا حقا بجيد الغناء قريبا من صنعة الأوائل و سالكا مذاهبهم لا ما كان ضعيفا سخيفا، و جامع منه ما اتصل به خبر له يستحسن و يجري مجرى هذا الكتاب و ما تضمّنه.

فأول من دوّنت له صنعة منهم عمر بن عبد العزيز؛ فإنه ذكر عنه أنه صنع في أيام إمارته على الحجاز سبعة ألحان يذكر سعاد فيها كلها؛ فبعضها عرفت الشاعر القائل له فذكرت خبره، و بعضها لم أعرف قائله فأتيت به كما وقع إليّ. فإن مرّ/بي بعد وقتي هذا أثبتّه في موضعه و شرحت من أخباره ما اتصل بي، و إن لم يقع لي و وقع إلى بعض من كتب هذا الكتاب فمن أقلّ الحقوق عليه أن يتكلف إثباته و لا يستثقل تجسّم هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جمّة تجسّمناها له و لنظرائه في هذا الكتاب، فحظي بها من غير نصب و لا كدح؛ فإن جمال ذلك موقر عليه إذا نسب إليه، و عيبه عتّا ساقط مع/اعتذارنا عنه إن شاء الله.

و من الناس من ينكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة و يقول: إنها أصوات محكمة العمل لا يقدر على مثلها إلا من طالت دربته بالصنعة و حذق الغناء و مهر فيه و تمكن منه. و لم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات و لا حال من الحالات اشتهر بالغناء و لا عرف به و لا بمعاشرة أهله، و لا جالس من ينقل ذلك عنه و يؤدّيه؛ و إنما هو شيء يحسن المغنّون نسبه إليه. و روي من غير وجه خلاف لذلك و إثبات لصنعتة

إِبَاهَا، وَهُوَ أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ لَمْ يَأْتُوا عَلَىٰ إِنكَارِهِمْ بِحُجَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الظَّنِّ وَالدَّعْوَىٰ، وَمُخَالَفَتِهِمْ قَدْ أُيِّدَتْهُمْ أَخْبَارٌ رُوِيَتْ.

[1]النصب: غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق.

عمر بن عبد العزيز و الغناء:

أخبرني محمد بن خلف وكيع و الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي عن أبيه و عن إسماعيل ابن جامع عن سباط عن يونس الكاتب عن شهدة أمّ عاتكة بنت شهدة عن كردم بن معبد عن أبيه: أنّ عمر بن عبد العزيز طارحه لحنه في:

أ لَمَّا صاحبيّ نزر سعادا

و نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدّثني أبو يعلى زرقان غلام أبي الهذيل و صاحب أحمد بن أبي داود قال حدّثني محمد بن يونس قال/حدّثني هاتف أراه قال أمّ ولد المعتصم قالت حدّثني عليّة بنت المهديّ قالت حدّثني عاتكة بنت شهدة عن أمّها شهدة عن كردم قال: طرح عليّ عمر بن عبد العزيز لحنه:

علق القلب سعادا # عادت القلب فعادا

كلّما عوتب فيها # أو نهى عنها تمادى

و هو مشغوف بسعدى # قد عصى فيها و زاد

قال كردم: و كان عمر أحسن خلق الله صوتا، و كان حسن القراءة للقرآن.

و نسخت من كتاب ابن الكرنبيّ بخطّة حدّثني أحمد بن الفتح الحجّاجيّ في مجلس حمّاد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال: رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم و عليه عمامة و رأيت الشّجّة في وجهه تدلّ على أنها ضربة حافر، فسمعتة يقول: قال عمر بن الخطاب: لا تعلموا نساءكم الخلع [1]. قال حدّثني محمد [2] بن الحسين: فأقبلت عليه في نومي فقلت له: يا أمير المؤمنين، صوت يزعم الناس أنك صنعتة في شعر جرير: أ لَمَّا صاحبيّ نزر سعادا # لوشك فراقها و ذرا البعادا

لعمرك إنّ نفع سعاد عنيّ # لمصروف و نفعي عن سعادا

إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى # و مروان الذي رفع العمادا

فتبسّم عمر و لم يردّ عليّ شيئا.

نسبة هذين الصوتين

صوت

أ لَمَّا صاحبيّ نزر سعادا # لوشك فراقها و ذرا البعادا

/لعمرك إنّ نفع سعاد عنيّ # لمصروف و نفعي عن سعادا

[1]الخلع: تطليق المرأة ببذل منها للزوج.

[2]كذا في الأصول. و لعل صوابه «أحمد بن الحسين» .

إلى الفاروق ينتسب ابن ليلي # و مروان الذي رفع العمادا

الشعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان. و الغناء لعمر بن
عبد العزيز ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر. و فيه خفيف ثقيل ينسب
إلى معبد.

صوت

علق القلب سعادا # عادت القلب فعادا

كلّما عوتب فيها # أو نهى عنا تمادى

و هو مشغوف بسعدى # قد عصى فيها و زادا

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيف ثقيل. و فيه ثاني ثقيل ينسب إلى
الهدليّ.

12- ذكر عمر بن عبد العزيز و شيء من أخباره

هو أشج بني مروان:

عمر بن عبد العزيز مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. و يكنى أبا حفص.

و أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. و كان يقال له أشج قريش؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافر. فذكر يحيى بن سعيد الأموي عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كان يؤثر عمر بن عبد العزيز و يرق عليه و يدنيه، و إذا دخل عليه رفعه فوق ولده جميعاً إلا الوليد. فعاتبه بعض بنيه على ذلك، فقال له: أ و ما تعلم لم فعلت ذلك؟ قال لا. قال: إن هذا سيلي الخلافة يوماً و هو أشج بني مروان الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تملأ جوراً، فمالي لا أحبّه و أدنيه!

أخبرني محمد بن يزيد قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا سالم بن عجلان قال:

خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمحته بغلة على جبينه. فبلغ الخبر أمّه أم عاصم، فخرجت في خدمها، و أقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت: أمّا الكبير فيخدم، و أمّا الصغير فيكرم، و أما الوسط فيضيع! لم لا تتخذ لا بني حاضنا حتى أصابه ما ترى! فجعل عبد العزيز يمسح الدّم عن وجهه، ثم نظر إليها و قال لها: ويحك! إن كان أشج بني مروان، أو أشج بني أمية، إنه لسعيد!

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن أحمد المقدّميّ قال حدّثنا عبيد الله بن سعد الزّهرّيّ قال حدّثنا هارون بن معروف قال حدّثنا ضمرة قال سمعت ثروان مولى عمر بن عبد العزيز قال:

/دخل عمر بن عبد العزيز و هو غلام إصطبل أبيه، فضربه فرس على وجهه، فأتي به أبوه يحمل. فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه و يقول: لئن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد.

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب:

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا مصعب الزّبيريّ قال:

كانت بنت لعبيد الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نعيم النّخام فماتت، فأخذ عاصم بن عمر بيده فأدخله منزله، و أخرج إليه ابنته حفصة و أم عاصم، فقال له: اختر فاختر حفصة فزوّجها إياه. فقيل له: تركت أمّ

عاصم و هي أجملهما! فقال: رأيت جارية رائعة، و بلغني أن آل مروان ذكروها فقلت: عليهم أن يصيبوا من/دنياهم.

فتزوَّجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له أبا بكر و عمر و كانت عنده. و قتل إبراهيم بن نعيم يوم الحرّة. و ماتت أمّ عاصم عند عبد العزيز بن مروان؛ فتزوَّج أختها حفصة بعدها، فحملت إليه بمصر؛ فمّرت بأيلة[1] و بها مخنث أو [1]أيلة: هي المعروفة الآن باسم «العقبة» و هي التي تقع على نهاية الساحل الشرقي لخليج العقبة. و كانت قديما تابعة لمصر، و هي الآن من بلاد إمارة شرق الأردن.

معتوه و قد كان أهدى لأُمَّ عاصم حين مرّت به فأثابته. فلمّا مرت به حفصة أهدى لها فلم تشبه. فقال: «ليست حفصة من رجال أُمَّ عاصم» فذهبت مثلاً.

لما ولي بدأ بأهل بيته و أخذ ما كان في أيديهم و سمى أعمالهم المظالم:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أبو بكر الرّماديّ و سليمان بن أبي شيخ قالا حدّثنا أبو صالح كاتب الليث قال حدّثني الليث قال: لمّا ولي عمر بن عبد العزيز، بدأ بلحمته [1] و أهل بيته، فأخذ ما كان في أيديهم و سمى أعمالهم المظالم.

ففرغت بنو أميّة إلى فاطمة بنت مروان عمّته. فأرسلت إليه: إنه قد عناني أمر لا بدّ من لقاءك فيه. فأتته ليلاً فأنزلها عن دابّتها. فلمّا أخذت مجلسها قال: يا عمّة، أنت أولى بالكلام لأنّ الحاجة لك فتكلمي. قالت: تكلم يا أمير المؤمنين. فقال: إنّ الله تبارك و تعالی بعث محمداً صلى الله عليه و سلم رحمة، لم يبعثه عذاباً، إلى الناس كافّة، ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه، و ترك لهم نهراً شربهم فيه سواء. ثم قام أبو بكر فترك النّهر على حاله. ثم ولي عمر فعمل على عمل صاحبه، فلما ولي عثمان اشتقّ من ذلك النهر نهراً. ثم ولي معاوية فشقّ منه الأنهار. ثم لم يزل ذلك النهر يشقّ منه يزيد و مروان و عبد الملك و الوليد و سليمان حتى أفضى الأمر إليّ، و قد يبس النهر الأعظم و لن يروى أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى ما كان عليه. فقالت له: قد أردت كلامك و مذاكرتك. فأما إذ كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئاً أبداً. و رجعت إليهم فأبلغتهم كلامه.

و قال سليمان بن أبي شيخ في خبره: فلمّا رجعت إلى بني أميّة قالت لهم: ذوقوا مغبّة أمركم في تزويجكم آل عمر بن الخطاب.

كثير و الأحوص و نصيب عند عمر بن عبد العزيز:

أخبرني محمد بن خلف و كيع قال أخبرني عبد الله بن دينار مولى بني نصر بن معاوية قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التّيميّ قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهيل عن حمّاد الراوية، و أخبرني محمد بن حسين الكندي خطيب القادسيّة قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا شيبان بن مالك قال حدّثنا عبد الله بن إسماعيل الجحدريّ عن حمّاد الراوية، و الروايتان متقاربتان و أكثر اللفظ للرّياشي، قال: دخلت المدينة ألتمس العلم، فكان أوّل من لقيت

كثير عزة. فقلت: يا أبا صخر، ما عندك من بضاعتي؟ قال: عندي ما عند الأحوص و نصيب. قلت: و ما هو؟/قال: هما أحقّ بإخبارك. فقلت له: إنا لم نحتّ المطيِّ نحوكم شهرا نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكر، و قلّ من يفعل ذلك، فأخبرني عما سألتك ليكون ما تخبرني به حديثا أخذه عنك. فقال: إنه لمّا كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان، قدمت أنا و نصيب و الأحوص و كلّ واحد منا يدلّ بسابقته عند عبد العزيز و إخائه لعمر. فكان أوّل من لقينا مسلمة بن عبد الملك و هو يومئذ فتى العرب، و كلّ واحد منّا ينظر في عطفه لا يشكّ أنه شريك الخليفة في الخلافة، فأحسن ضيافتنا و أكرم مثوانا، ثم قال: أ ما علمتم أن إمامكم لا يعطي الشعراء شيئا؟ قلنا: قد جننا الآن، فوجّه لنا في هذا الأمر/وجهها. فقال: إن كان ذو دين من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي ذوي دنياهم من يقضي حوائجكم و يفعل بكم ما أنتم له أهل. فأقمنا على بابه [1]لحمته: قرابته.

أربعة أشهر لا نصل إليه، و جعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن. فقلت: لو أتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئاً!. فأتيت المسجد فاتناً أول من حفظ كلامه، سمعته يقول في خطبة له: لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التَّقوى، و كونوا كمن عاين ما أعدَّ الله له من ثوابه و عقابه، فعمل طلباً لهذا و خوفاً من هذا. و لا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، و تنقادوا لعدوكم. و اعلّموا أنه إنما يطمئنُّ بالدنيا من وثق بالنَّجاة من عذاب الله في الآخرة. فأما من لا يداوي جرحاً إلاَّ أصابه جرح من ناحية أخرى، فكيف يطمئنُّ بالدنيا! أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسي عنه فتخسر صفقتي، و تبدو عيلتي، و تظهر مسكنتي يوم لا ينفع فيه إلاَّ الحقُّ و الصدق. فارتجَّ المسجد بالبكاء، و بكى عمر حتى بلَّ ثوبه، حتى ظننا أنه قاض نحبه. فبلغت إلى صاحبي فقلت: جدِّداً لعمر من الشَّعر غير ما أعددناه، فليس الرجل بدنيوي. ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعد ما أذن للعامَّة. فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فردَّ علينا. فقلت له: /يا أمير المؤمنين، طال التَّواء و قلت الفائدة و تحدَّت بجفائك إيانا وفود العرب. فقال: يا كثير، أ ما سمعت إلى قول الله عزَّ و جلَّ في كتابه **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْعَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** أ فمن هؤلاء أنت؟ فقلت له و أنا ضاحك: أنا ابن سبيل و منقطع به. قال: أ و لست ضيف أبي سعيد؟ قلت بلى. قال: ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل و لا منقطعاً به. ثم استأذنته في الإنشاد، فقال: قل و لا تقل إلاَّ حقاً؛ فإنَّ الله سائلك. فقلت: وليت فلم تشتم علياً و لم تخف # برياً و لم تتبع مقالة مجرم

و قلت فصدقت الذي قلت بالذي # فعلت، فأضحى راضياً كلَّ مسلم
 ألاَّ إنما يكفي الفتى بعد زيغه # من الأود الباقي ثقاف المقوم
 لقد لبست لبس الهلوك ثيابها[1] # و أبدت لك الدنيا بكفَّ و معصم
 و تومض أحياناً بعين مريضة # و تبسم عن مثل الجمان المنظم
 فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما # سقتك مدوفاً[2] من سام و علقم
 و قد كنت من أجيالها في ممع # و من بحرهما في مزيد الموج مفعم
 و ما زلت سبّاقاً إلى كلِّ غاية # صعدت بها أعلى البناء المقدم
 فلما أتاك الملك عفوا و لم يكن # لطالب دنيا بعده من تكلم
 تركت الذي يفنى و إن كان مونقاً # و آثرت ما يبقى برأي مصمم

فأضررت بالفاني و شمّرت للذي # أمامك في يوم من الهول مظلم
و مالك أن كنت الخليفة مانع # سوى الله من مال رغب و لا دم
/سما لك همّ في الفؤاد مؤرّق # سعدت به أعلى المعالي بسلم

[1]الهلوك من النساء: الفاجرة المتساقطة على الرجال. و في
الأصول: «لبس الملوك ببابها». و ظاهر «أنه تحريف» .
[2]مدوفا: مخلوطا. و أكثر ما يستعمل هذا اللفظ في الدواء و الطيب.
و السمّام: السم. -

فما بين شرق الأرض و الغرب كلُّها # مناد ينادي من فصيح و أعجم
يقول: أمير المؤمنين ظلّمتني # بأخذ لدينار و لا أخذ درهم
و لا بسط كفّ لامرئ ظالم له # و لا السفك منه ظالما ملء محجم
فلو يستطيع المسلمون تقسّموا # لك الشّطر من أعمارهم غير ندم
فعشت به ما حجّ لله راكب # مغدّ مطيف بالمقام و زمزم
فأريح بها من صفقة لمبايع # و أعظم بها أعظم بها ثم أعظم

فقال لي: يا كثير، إن الله سائلك عن كل ما قلت. ثم تقدّم إليه
الأحوص فاستأذنه فقال: قل و لا تقل إلّا حقّاً؛ فإن الله سائلك. فأنشده: و ما
الشعر إلّا خطبة من مؤلف # بمنطق حقّ أو بمنطق باطل

فلا تقبلن إلّا الذي وافق الرضا # و لا ترجعنا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تعدل عن الحقّ يمّنة # و لا يسرة فعل الظلوم المجادل
و لكن أخذت القصد جهدك كلّه # و تقفو مثال الصالحين الأوائل
فقلنا و لم نكذب بما قد بدا لنا # و من ذا يرّد الحقّ من قول عادل
و من ذا يرّد السّهم بعد مروقه [1] # على فوقه إن عار [2] من نزع نابل
و لو لا الذي قد عوّدتنا خلائف # غطاريف كانت كالليوث البواسل
لما وخذت شهرا برحلي جسرة # تفلّ متون البید بين الرّواحل
و لكن رجونا منك مثل الذي به # صرفنا قديما من ذويك الأفاضل
/ فإن لم يكن للشعر عندك موضع # و إن كان مثل الدّر من قول قائل
و كان مصيبا صادقا لا يعيبه # سوى أنه يبنى بناء المنازل
فإنّ لنا قربي و محض موّدة # و ميراث آباء مشوا بالمناصل
فذاودا عدوّ السّلم عن عقر دراهم # و أرسوا عمود الدّين بعد تمايل
فقبلك ما أعطى الهنيذة [3] جلّة # على الشعر كعبا من سديس و بازل
رسول الإله المصطفى بنبوّة # عليه سلام بالصّحى و الأصائل [4]
[1] كذا في أ. و في سائر الأصول: «صدوفه» و هو تحريف.
[2] السهم العائر: «الذي لا يدري من أين أتى. و أنشد أبو عبيده:
أخشى على وجهك يا أمير # عوئرا من جندل تعير

و في الأصول: «عاد» بالدال و هو تحريف.

[3]هنيذة: اسم للمائة من الإبل خاصة، و قيل اسم للمائة من الإبل و غيرها. و يريد بكعب كعب بن زهير. و السديس من الإبل ما دخل في السنة الثامنة. و البازل الذي فطر نابه أي انشق، و ذلك في السنة التاسعة.

[4]المعروف المحفوظ في كتب السير أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما أنشده كعب بن زهير قصيدته اللامية «بانت سعاد» و وصل فيها إلى قوله:

فكلّ الذي عدّدت يكفيك بعضه # و نيلك خير من بحور السوائل

فقال له عمر: يا أحوص، إنّ الله سائلك عن كلّ ما قلت. ثم تقدّم إليه نصيب فاستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذن له و غضب غضبا شديدا، و أمره باللحاق بدابق[1]. و أمر لي و للأحوص لكلّ واحد بمائة و خمسين درهما.

و قال الرّياشيّ في خبره: فقال لنا: ما عندي ما أعطيكم، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم منه. فانتظرنا حتى خرج، فأمر لي و للأحوص بثلاثمائة درهم، و أمر لنصيب بمائة و خمسين درهما. فما رأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التي أعطاني، ابتعت بها و صيفة فعلمتها الغناء فبعتها بألف دينار.

خبر دكين الراجز معه:

أخبرني عمّي عبد العزيز بن أحمد قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ قال: /قال دكين/الراجز: امتدحت عمر بن عبد العزيز و هو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم، فكرهت أن أرمي بهنّ الفجاج، و لم تطب نفسي ببيعهنّ. فقدمت علينا رفقة من مصر، فسألتهنّ الصّحبة، فقالوا: ذاك إليك، و نحن نخرج الليلة، فأتيته فودّعته و عنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يا دكين، إن لي نفسا تواقّة، فإن صرت إليّ أكثر مما أنا فيه فأنتي و لك الإحسان. قلت: أشهد لي بذلك. قال: أشهد الله به. قلت: و من خلقه؟ قال: هذين الشّيوخين. فأقبلت على أحدهما فقلت: من أنت أعرفك؟ قال: سالم بن عبد الله بن عمر. فقلت له: لقد استسمنت الشاهد. و قلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. فخرجت إلى بلدي بهنّ، فرمى الله في أذنا بهنّ بالبركة حتى اعتقدت[2] منهن الإبل و العبيد. فإني لبصحراء فلج[3] إذا ناع ينعي سليمان. قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبد العزيز. فتوجّهت نحوه، فلقيني جرير متصرفا من عنده. فقلت: يا أبا حذرة، من أين؟ فقال: من عند من يعطي الفقراء، و يمنع الشعراء. فانطلقت فإذا هو في عرصة دار و قد أحاط الناس به، فلم أخلص إليه فناديت: يا عمر الخيرات و المكارم # و عمر الدّسائع[4]العظام

إني امرؤ من قطن بن دارم # طلبت ديني من أخي مكارم

إذ تنتحي و الليل غير نائم[5] # عند أبي يحيى و عند سالم

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدوي عندي شهادة عليك، فقال: أعرفها! أدن يا دكين، أنا كما ذكرت لك، إن نفسي لم تنل شيئا

قطّ إلاّ تاقّت/لما هو فوقه، و قد نلت غاية الدنيا فنفسى تتوق إلى الآخرة، و
الله -

إن الرسول لنور يستضاء به # مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه بردة كانت عليه، يذل له فيها معاوية عشرة آلاف درهم،
فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه و سلم أحدا. فلما مات
كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم.

[1]دابق: قرية قرب حلب بينها و بين حلب أربعة فراسخ.

[2]اعتقد الشيء: اشتراه أو اقتناه.

[3]فلج: واد بين البصرة و حمى ضرية.

[4]الدسائع: الشمائل أو العطايا.

[5]كذا في «العقد الفريد» : و في الأصول: إذا تنتحي و الله غير نائم.

ما رزأت من أموال الناس شيئاً، و لا عندي إلا ألف درهم، فخذ نصفها.
قال: فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظم بركة منه. قال: و دكين الذي يقول:

إذا المرء يندس من اللؤم عرضه # فكلّ رداء يرتديه جميل

و إن هو لم يرفع عن اللؤم نفسه # فليس إلى حسن الثناء سبيل[1]

زهده بعد أن ولي الخلافة:

أخبرني الحرمي عن الزبير عن هارون بن صالح عن أبيه قال:

كنا نعطي الغسّال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في أثر ثياب عمر
بن عبد العزيز من كثرة الطيب فيها يعني المسك. قال: ثم رأيت ثيابه بعد
ذلك و قد ولي الخلافة فرأيت غير ما كنت أعرف.

حبه آل البيت:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا الرياشي قال حدّثنا
الأصمعي عن نافع بن أبي نعيم قال:

قدم عبد الله بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال:
إنك لا تغنم أهلك شيئاً خيراً من نفسك فارجع، و أتبعه حوائجه.

قال الرياشي و حدّثنا نصر بن علي قال حدّثنا أبو أحمد محمد بن الزبير
الأسدي عن سعيد بن أبان قال:

رأيت عمر بن عبد العزيز آخذاً بسرة عبد الله بن حسن و قال: اذكرها
عندك تشفع لي يوم القيامة.

/حدّثني أبو عبيد الصيرفي قال حدّثنا الفضل بن الحسن المصري قال
حدّثنا عبد الله بن عمر القواريري قال حدّثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن
أبان القرشي قال:

دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز و هو حديث السنّ و
له وفرة[2]، فرفع مجلسه و أقبل عليه/ و قضى حوائجه، ثم أخذ عكنة من
عكته فغمزها حتى أوجعه و قال له: اذكرها عندك للشفاة. فلمّا خرج لأمه
أهله و قالوا:

فعلت هذا بسلام حديث السنّ! فقال: إن الثقة حدّثني حتى كأني أسمع
من في رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «إنما فاطمة بضعة مني
يسرنني ما يسرها» و أنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيّة لسرها ما فعلت بابنها.

قالوا: فما معنى غمزك بطنه و قولك ما قلت؟ قال: إنه ليس أحد من بني هاشم إلا و له شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى عليّ:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مورك قال:

كنت بالشام زمن ولي عمر بن عبد العزيز، و كان بخاصرة [3]، و كان يعطي الغرباء مائتي درهم. قال: فجئته [1] المعروف أن هذين البيتين للسموأل بن عادياء اليهودي. و يروى، كما في «الحماسة و الأمالي» لأبي علي القالي، صدر البيت الثاني:

و إن هو لم يحمل عن النفس ضيمها

[2] الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس.

[3] خاصرة: بلدة من أعمال حلب.

فأجده متكئا على إزار و كساء من صوف. فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيهم؟ قلت: من أهل المدينة. قال: من أيهم؟ قلت: من قريش. قال: من أي قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أي بني هاشم؟ قلت: مولى عليّ. قال: من عليّ؟ فسكت. قال: من؟! فقلت: ابن أبي طالب. فجلس و طرح الكساء ثم وضع يده على صدره و قال: و أنا و الله مولى عليّ، ثم قال: أشهد على عدد ممّن أدرك النبيّ صلى الله عليه و سلم/يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». أين مزاحم[1]؟ كم تعطي مثله؟ قال: مائتي درهم. قال: أعطه خمسين ديناراً لولائه من عليّ. ثم قال: أ في فرض أنت؟ قلت لا. قال: و افرض له، ثم قال: الحق بلادك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرك.

سمى عمر بن علي نحلته غلامه مورقا:

قال أبو زيد فحدّثني عيسى بن عبد الله قال حدّثني أبي عن أبيه قال قال أبي:

ولد لي غلام يوم قام عمر بن عبد العزيز، فغدوت عليه فقلت له: ولد لي في هذه الليلة غلام. فقال لي:

ممن؟ قلت: من التّغليبيّة. قال: فهب لي اسمه. قلت نعم. قال: قد سمّيته اسمي و نحلته غلامي مورقا، و كان نوبياً فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك؛ فولده اليوم موالينا.

كان يكرم عبد الله بن الحسن:

أخبرني محمد بن العبّاسي قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عيسى بن عبد الله قال أخبرني موسى بن عبد الله بن حسن عن أبيه قال:

كان عمر بن عبد العزيز يراني إذا كانت لي حاجة أتبرّد إلى بابه. فقال لي: أ لم أقل لك: إذا كانت لك حاجة فارفع بها إليّ! فوالله إني لأستحي من الله أن يراك على بابي.

لم يفد من ولايته شيئاً و خلف ولده فقراء:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ قال حدّثني العمريّ عن العتبيّ عن أبيه قال:

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله، فلما رآهم استعبر ثم قال: بأبي و أمّي من خلفتهم بعدي فقراء!. فقال له مسلمة بن

عبد الملك: يا أمير المؤمنين، فتعقب فعلك و أغنهم، فما يمنحك أحد في حياتك و لا يرتجعه الوالي بعدك. فنظر إليه نظر مغضب متعجب فقال: يا مسلمة، منعتهم إياه في حياتي و أشقى به/بعد وفاتي! إن ولدي بين رجلين: إمّا مطيع لله فالله مصلح له شأنه و رازقه ما يكفيه، أو عاص له فما كنت لأعينه على معصيته. يا مسلمة، إني حضرت أياك لمّا دفن فحملتني عيني عند قبره فرأيتته قد أفضى إلى أمر من أمر الله راعني و هالني، فعاهدت الله ألاّ أعمل بمثل عمله إن وليت؛ و قد اجتهدت في ذلك طول حياتي، و أرجو أن أفضي إلى عفو من الله/و غفران. قال مسلمة: فلمّا دفن حضرت دفنه، فما فرغ من شأنه حتى حملتني عيني، فرأيتته فيما يرى النائم و هو في روضة خضراء نضرة فيحاء و أنهار مطردة و عليه ثياب بيض؛ فأقبل عليّ فقال: يا مسلمة، لمثل هذا فليعمل العاملون. هذا أو نحوه، فإن الحكاية تزيد أو تنقص.

[1] هو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز.

رثاه مسلمة بن عبد الملك:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن يحيى بن سعيد الأمويّ قال:

لما مات عمر بن عبد العزيز وقف مسلمة عليه بعد أن أدرج في كفته فقال: رحمك الله يا أمير المؤمنين! فقد أورثت صالحينا بك اقتداءً و هدى، و ملأت قلوبنا بمواعظك و ذكرك خشيةً و تقى، و أثّلت لنا بفضلك شرفاً و فخراً، و أبقيت لنا في الصالحين بعدك ذكراً.

كتابه إلى أسارى قسطنطينية:

أخبرني الحسن قال أخبرنا الغلابيّ عن ابن عائشة عن أبيه: أنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى بقسطنطينية: أمّا بعد، فإنكم تعدّون أنفسكم أسارى و لستم أسارى.

معاذ الله! أنتم الحبساء في سبيل الله. و اعلموا أنّي لست أقسم شيئاً بين رعيتي إلاّ خصصت أهلكم بأوفر ذلك و أطيبه. و قد بعثت إليكم خمسة دنانير، خمسة دنانير. و لو لا أنّي خشيت إن زدتكم أن يحبسه عنكم/طاغية الروم لزدتكم. و قد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم و كبيركم، ذكركم و أنثاكم، حرّكم و مملوككم بما يسأل، فأبشروا ثم أبشروا.

كتاب الحسن البصري له و ردّه عليه:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال زعم لنا سليمان بن أرقم قال:

كتب الحسن البصريّ إلى عمر بن عبد العزيز، و كان يكتابه، فلما استخلف كتب إليه: «من الحسن البصريّ إلى عمر بن عبد العزيز». ف قيل له: إن الرجل قد ولي و تغير. فقال: لو علمت أنّ غير ذلك أحبّ إليه لاتبعت محبته.

ثم كتب: «من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز. أمّا بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، و كأنك بالآخرة لم تزل». قال: فمضيت إليه بالكتاب فقدمت عليه به. فإني عنده أتوقّع الجواب إذ خرج يوماً غير يوم الجمعة حتى صعد المنبر و اجتمع الناس. فلما كثروا قام فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أيها النَّاس، إنكم في أسلاب الماضين، و يسيرتكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين. كلُّ يوم تجهزون غاديا إلى الله و رائحا، قد حضر أجله، و طوي عمله، و عاين الحساب، و خلع الأسلاب، و سكن التراب، ثم تدعونه غير موسّد و لا ممهّد. ثم وضع يديه على وجهه فيكى مليّا ثم رفعهما فقال: يا أيها الناس، من وصل إلينا منكم بحاجته لم نأله خيرا، و من عجز فو الله لوددت أنه و آل عمرٍ في العجز سواء. قال: ثم نزل. فأرسل إليّ فدخلت إليه؛ فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعد، فإنك لست بأوّل من كتب عليه الموت، و قد مات. و السلام.» .

آخر خطبة له:

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا أبو مطرّف المغيرة بن مطرّف عن شعيب بن صفوان عن أبيه:

/أنّ عمر بن عبد العزيز خطب بخاصرة خطبة لم يخطب بعدها، حمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيها الناس،

إنكم لم تخلقوا عبثاً و لم تتركوا سدى؛ و إن لكم معاداً يتولّى الله فيه الحكم فيكم و الفصل بينكم، /فخاب و خسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، و حرم الجنة التي عرضها السماوات و الأرض. و اعلموا أنّ الأمان غدا لمن حذر الله و خافه، و باع قليلاً بكثير، و نافداً بباقي، و خوفاً بأمان. أ لا ترون أنكم في أسلاب الهالكين و سيخلفها من بعدكم الباقون، و كذلك حتى تردّوا إلى خير الوارثين. ثم إنكم في كل يوم و ليلة تشيعون غادياً إلى الله و رائحاً، قد قضى نحبه، و انقضى أجله، ثم تضعونه في صدع من الأرض في بطن لحد، ثم تدعون غير مؤسّد و لا ممهّد، قد خلع الأسلاب، و فارق الأحباب، و وجهه للحساب، غنياً عمّا ترك، فقيراً إلى ما قدّم. و ايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة و لا أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندي، و أستغفر الله لي و لكم. و ما يبلغنا أحد منكم حاجته يسعها ما عندنا إلا سدّنا من حاجته ما قدرنا عليه، و لا أحد يتّسع له ما عندنا إلا وددت أنه بدئ بي و بلحمتي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا و عيشكم. و ايم الله لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به منّي ناطقاً ذلولاً عالماً بأسبابه، و لكنه من الله عزّ و جلّ كتاب ناطق، و سنّة عادلة، دلّ فيهما على طاعته و نهى فيهما عن معصيته. ثم بكى فتلقّى دموعه بطرف رداءه؛ ثم نزل فلم ير على تلك الأعواد بعد حتى قبضه الله إليه. رحمه الله عليه.

اشترى موضع قبره بعشرة دنانير:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أبو سلمة المدنيّ. عن إبراهيم بن ميسرة: أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير.

وفاته:

أخبرني اليزيديّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أبو سلمة المدنيّ قال أخبرني ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدّثني أبي مسلمة قال:

كنا عند عمر في اليوم الذي توفّي فيه أنا و فاطمة بنت عبد الملك؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، إنّنا نرى أنّنا قد منعناك التّوم، فلو تأخّرنا عنك شيئاً عسى أن تنام! قال: ما أبالي لو فعلتما. قال: فتخّيت أنا و هي و بيننا و بينه ستر.

قال: فما نشبنا أن سمعناه يقول: حيّ الوجوه حيّ الوجوه. فابتدرناه أنا و هي فجئناه و قد أغمض ميّنا، فإذا هاتف يهتف في البيت لا نراه: **تلك**

الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فَسَادًا
وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

من أصواته في سعاد:

<و من أصوات عمر في سعاد>

صوت

ألا يا دين قلبك من سليمان # كما قد دين قلبك من سعادا

هما سبتا الفؤاد و أصبتاه # و لم يدرك بذلك ما أرادا

قفا نعرف منازل من سليمان # دوارس بين حومل أو عرادا[1]

[1] عراد: جبل.

ذكرت بها الشَّبَاب و آل ليلي # فلم يرد الشباب بها مرادا

فإن تشب الذَّوَابَة أمُّ زيد # فقد لاقيت أيا ما شدادا

عروضه من الوافر. الشعر لأشهب بن رميلة فيما ذكر ابن الأعرابيِّ و أبو عمرو الشَّيباني. و حكى ابن الأعرابيِّ أنه سمع بعض بني ضبَّة يذكر أنها لابن أبي رميلة الضَّبِّيِّ. و الغناء لعمر/بن عبد العزيز رمل بالوسطى عن الهشاميِّ و حبش و غيرهما. و في نسخة عمرو بن بانة الثانية: لخرج رمل بالبنصر.

13-نسب الأشهب بن رميلة و أخباره

نسبه:

رميلة أمّه، و هي أمة لخالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن عمرو بن تميم. و هو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد الدار بن جندل بن نهشل بن دارم في النسب. قال أبو عمرو: و ولدها يزعمون أنها كانت سبيّة من سبايا العرب، فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر، و هم رباب، و حنّاء، و الأشهب، و سويد.

إخوته و عزّهم في الجاهلية و الإسلام:

فكانوا من أشدّ إخوة في العرب لسانا و يدا، و أمنعهم جانبا. و كثرت أموالهم في الإسلام. و كان أبوهم ثور ابتاع رميلة في الجاهليّة، و ولدتهم في الجاهليّة، فعزّوا عزّا عظيما، حتى كانوا إذا وردوا ماء من مياه الصّمان [1] حظروا على الناس ما يريدون منه. و كانت لرميلة قطيفة حمراء، فكانوا يأخذون الهدب من تلك القطيفة فيلقونه على الماء، أي قد سبقنا إلى هذا، فلا يرده أحد لعزّهم، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه و يدعون ما يستغنون عنه.

يوم الصمان بينهم و بين أبناء عموماتهم:

فوردوا في بعض السنين ماء من مياه الصّمان و ورد معهم ناس من بني قطن بن نهشل. و كانت بنو قطن بن نهشل و بنو زيد بن نهشل و بنو مناف بن درام حلفاء. و كانت الأعجاز حلفاء عليهم، و هم جندل و جرول و صخر بنو نهشل. فأورد بعضهم بغيره فأشرعه حوضا قد حظروا عليه. و بلغهم ذلك فغضبوا منه و اجتمعوا و أحلافهم، و اجتمعت الأحلاف عليهم، فاقتتلوا قتالا شديدا، فضرب رباب بن رميلة رأس نسير بن صبيح المعروف بأبي بدّال، و أمّه بنت أبي الحمام بن قراد بن مخزوم. و قال رباب في ذلك:

/

ضربته عشية الهلال # أوّل يوم عدّ من شؤال

ضربا على رأس أبي بدّال # ثمت ما أبت و لا أبالي

الأيتوب آخر الليالي

فجمع كلّ واحد منهما لصاحبه. فقالت بنو قطن: يا بني جرول و يا بني صخر و يا بني مناف [2]، ضرب صاحبكم صاحبا ضربة لا ندري أيموت منها أم يعيش، فأنصفونا؛ فأبى القوم أن يفعلوا؛ فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل.

و كان أبيّ بن أشيم أخو بني جرول و هو سيّدهم خرج في حاجة له،
فلقيه بعض بني قطن فأسره و أتى به أصحابه.

فقال نهشل[3] بن حرّيّ: يا بني قطن، أطيعوني اليوم و اعصوني أبدا.
قالوا: نعم، فقل. فقال: إن هذا لم يشهد [1]الصمان: جبل في أرض تميم.

[2]يلاحظ أن بني مناف ليسوا حلفاء لبني جرول و بني صخر، و إنما
هم حلفاء بني قطن بن نهشل و بني زيد بن نهشل.

[3]هو نهشل بن حرّيّ بن ضمرة، كان شاعرا و هو القائل:

شركم و لا حربكم، و لا يحلّ لكم دمه، و إنّ قومه أحرّ من يقاتلكم و شوكتهم؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم و خلّوا سبيله. قالوا: افعل ما رأيت. فأتاه نهشل بن حرّي فقال له: يا أبا أسماء، إنّ قومك قد حالوا بيننا و بين حقنا و قاتلوا دونه، و قد أمكننا الله منك، و أنت و الله أوفى دما عندنا من بني رميلة، فو الله لأقتلنك أو تعطيني ما أسألك.

قال: سل. قال: تجعل أن تصرف بني جرول جميعا، فإن لم يطيعوك انصرفت ببني أشيم، فإن لم يطيعوك أتيتنا.

قال نعم. فخلّي سبيله/تحت الليل. فأتاهم و هم بحيث يرى بعضهم بعضا فقال: يا بني جرول انصرفوا؛ أ تعترضون على قوم يريدون حقهم! لا تتقون الله! و الله لقد أسرني القوم و لو أرادوا قتلي لكان/فيه وفاء بحقهم، و لكنهم يكرهون حربكم فلا تبغوا عليهم. فانصرف منهم أكثر من سبعين رجلا. فلما رأى ذلك بنو صخر و بنو جرول قالوا: و الله إنا لنظلم [1] قومنا إن قاتلناهم؛ و انصرفوا، و تخاذل القوم. فلما رأى ذلك الأشهب بن رميلة قال: ويلكم! أ في ضربة من عصا لم تصنع شيئا تسفكون دماءكم! و الله ما به من بأس، فأعطوا قومكم حقهم. فقال حنّاء و رباب: و الله لننصرفنّ فلنلحقنّ بغيركم و لا نعطي ما بأيدينا. فجعل الأشهب بن رميلة يقول: ويلكم! اتخرّبون دار قومكم في ضربة عصا لم تبلغ شيئا!. فلم يزل بهم حتى جاءوا برباب فدفعوه إلى بني قطن، و أخذوا منهم أبا بدّال و هو المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم؛ فكتموه، و أرسلوا إلى عبّاد بن مسعود، و مالك بن ربعي، و مالك بن عوف، و الققعاع بن معبد، فعرضوا عليهم الدية. فقالوا: و ما الدية و صاحبنا حيّ! قالوا: فإن صاحبكم ليس بحيّ. فأمسكوا و قالوا: ننظر. ثم جاءوا إلى رباب فقالوا: أوصنا بما بدا لك. قال: دعوني أصلي. قالوا: صلّ. فصلّى ركعتين ثم قال: أما و الله إني إلى ربّي لذو حاجة، و ما منعني أن أزيد في صلاتي إلا أن تروا أن ذلك فرق من الموت، فليضربني منكم رجل شديد السّاعد حديد السيف. فدفعوه إلى أبي خزيمة بن نسير المكنيّ بأبي بدّال فضرب عنقه، فدفنوه؛ و ذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفّان. فقال الأشهب يرثي أخاه و يلوم نفسه في دفعه إليهم لتسكن الحرب: أ عينيّ قلت عبرة من أحيكما # بأن تسهرا ليل التمام و تجزعا

و باكية تبكي الرّباب و قائل # جزى الله خيرا ما أعفّ و أمنعا

و أضرب في الهيجا إذا حمس الوغى # و أطعم إذ أمسى المراضيع جوعا

/إذا ما اعترضنا من أحيانا أخاهم # رونا و لم نشف الغليل فينقعا

قرونا دما و الصّيف منتظر القرى # و دعوة داع قد دعانا فأسمعا
مردنا[2] و كانت هفوة من حلومنا # بثدي إلى أولاد ضمرة أقطعا
و قد لامني قومي و نفسي تلومني # بما قال رأيي في رباب و ضيِّعا

-

إنا بني نهشل لا ندّعي لأب # عنه و لا هو بالأبناء يشرينا
إن تبدر غاية يوما لمكرمة # تلق السوابق منا و المصلينا
(انظر ترجمته في «الشعر و الشعراء» ص 404-405) .
[1] في أ، م: «لنضيع» .
[2] مرد الصبي ثدي أمه: مرسه.

فلو كان قلبي من حديد أذابه # و لو كان من صم الصفا لتصدعا

مضى الحديث.

أصوات عمر في سعاد:

و نسيخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال: لعمر بن عبد العزيز في سعاد سبعة ألحان.

منها:

يا سعاد التي سبتني فؤادي # و رقادي هبي لعيني رقادي

و لحنه رمل مطلق.

و منها:

حظّ عيني من سعاد # أبدا طول الشهاد

و لحنه رمل بالسبابة في مجرى البنصر.

و منها:

سبحان ربّي برا سعادا # لا تعرف الوصل و الوداد

/و لحنه خفيف[1]رمل.

/و منها:

لعمري لئن كانت سعاد هي المنى # و جنة خلد لا يملّ خلودها

و لحنه ثقيل أوّل.

و منها:

أسعاد جودي لا شقيت سعادا # و اجزي محبّك رافة و ودادا

و لحنه خفيف رمل.

و منها:

ألمّا صاحبيّ نزر سعادا

و منها:

ألا يا دين قلبك من سليمي

و قد ذكرت طريقتهما.

[1] في جـ: «خفيف ثقيل» .

كان محدثا و فقيها و راويا:

و قد روي عن عمر بن عبد العزيز حديث كثير و فقه، و حمل عنه أهل العلم.

أخبرنا محمد بن جرير الطبري قال حدّثنا عمران بن بكّار الكلاعي قال حدّثنا خالد بن عليّ قال حدّثنا بقة بن الوليد عن مبشر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عمر عن جدّه عبد العزيز عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من أحبّ أن تمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار» .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي و عمّي قالا حدّثنا العنزيّ قال حدّثني وزير بن محمد أبو هاشم الغسانيّ قال حدّثني محمد بن أيّوب بن سعيد السّكريّ عن عمر بن عبد العزيز عن أمّه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «نعم الإدام الخلّ» .

غناء يزيد بن عبد الملك:

و ممن حكي عنه أنه صنع في شعره غناء يزيد بن عبد الملك، و لم يأت ذلك برواية عمّن يحصل قوله كما حكي عن عمر بن عبد العزيز، و إنما وجد في الكتب أنه صنع لحنا في شعره، و ذكره من لا يوثق به، و لم نروه عن أحد فلم نأت بأخباره هاهنا مشروحة، و أتيت بها في أخباره مع حباة بحيث يصلح. و أما اللحن الذي ذكر أنه صنعه فهو:

صوت

أبلغ حباة أسقى ربعا المطر # ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر

إن سار صحتي لم أملل بذكركم # أو عزّسوا فهموم النفس و الفكر

في هذين البيتين ثقيل أوّل يقال إنه ليزيد بن عبد الملك. و ذكر ابن المكيّ أنه لحباة.

و حكي عن الهيثم بن عديّ أن يزيد بن عبد الملك لمّا رأى حباة تعلّقها و لم يقدر على ابتياعها خوفا من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز، و قال فيها هذين البيتين و هو راحل عن الحجاز، و غنّاه فيهما معبد، فوصله بعد ذلك بما كان يغنيه، و أخذته حباة و غيرها عنه. و ذكر الهشاميّ أنه مما

لا يشكُّ فيه من غناء معبد. و قد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك و حبابة في صدر هذا الكتاب فاستغني عن إعادتها هنا.

غناء الوليد بن يزيد:

و ممن غنّى منهم الوليد بن يزيد:

و له أصوات صنعها مشهورة، و قد كان يضرب بالعود و يوقع بالطبل و يمشي بالدّفّ على مذهب أهل الحجاز.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد عن الفطرائيّ عن محمد بن جبر قال حدّثني من سمع خالد/صامة يقول: /كنت يوما عند الوليد بن يزيد و أنا أغنّيه:

أراني الله يا سلمى حياتي

و هو يشرب حتى سكر. ثم قال لي: هات العود، فدفعت له إليه، فغناه أحسن غناء؛ فنفست عليه إحسانه، و دعوت بطبل فجعلت أوقع عليه و هو يضرب حتى دفع العود و أخذ الطبل فجعل يوقع به أحسن إيقاع، ثم دعا بدف فأخذه و مشى به و جعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش، ثم جلس و قد انبهر. فقلت: يا سيدي، كنت أرى أنك تأخذ عتًا و نحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك! فقال: أسكت وبلك! فو الله أن سمع هذا منك أحد ما دمت حيًا لأقتلنك. فو الله ما حكيتة عنه حتى قتل.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرنا أبو أيوب المديني قال ذكر أبو الحسن المدائني أن يحيى مولى العبلات المعروف بفيل و هو الذي عني:

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا

كان مقيما بمكة. فلما قدمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غناء و حكاية لابن سريج؛ ف قيل له: فيل.

فدعاه و قال له: امش لي بالدَّفِّ، ففعل. ثم قال له الوليد: هاته حتى أمشي به، فإن أخطأت فقومني. فمشى به أحسن من مشية فيل. فقال له يحيى: جعلت فداءك! ائذن لي حتى أختلف إليك لأتعلم منك.

فمن مشهور صنعته في شعره:

و صفراء في الكأس كالزعفران # سبأها التَّجِيبي من عسقلان

تريك القذاة و عرض الإناء # ستر لها دون لمس البنان

لحنه فيه خفيف رمل. و فيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق و يونس. و لعمر الوادي فيه ثقيل أول بالوسطى عن يونس و الهشامي. و قد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة.

غناء الواثق:

و من دؤنت صنعته من خلفاء بني العباس الواثق بالله.

و لم نعلمه حكى ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدّمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبه؛ فإنه حكى أن للسقّاح و المنصور و سائرهم غناء و أتى فيها بأشياء عتّة لا يحسن لمحصّل ذكرها.

غنى الواثق في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق و وصله:

و أخبرني يحيى بن محمد الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلت يوماً دار الواثق بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً. فسمعت صوت عود من بيت و ترنّماً لم أسمع أحسن منه قطّ، فأطلع خادم رأسه ثم ردّه و صاح بي فدخلت فإذا الواثق. فقال: أيّ شيء سمعت؟ فقلت:

الطلاق لازم لي و كلّ مملوك لي حرّ لقد سمعت ما لم أسمع مثله قطّ حسناً! فضحك فقال: و ما هو! إنما هذه فضلة أدب و علم مدحه الأوائل و اشتهاه أصحاب رسول الله صليّ الله عليه و سلم و سلم و رحمهم و التابعون بعدهم و كثر في حرم الله و مهاجر رسول الله. أ تحبّ أن تسمعه منّي؟ قلت: إي و الذي شرفني بخطابك و جميل رأيك. فقال: يا غلام، هات العود و أعط إسحاق رطلاً. فدفع الرّطل إليّ و ضرب و غنّى في شعر لأبي العتاهية بلحن صنعه فيه:

أضحت قبورهم من بعد عزّهم # تسفي عليها الصّبا و الحرجف السّمل

/

لا يدفعون هوما عن وجوههم # كأنهم خشب بالقاع منجدل

فشربت الرّطل ثم قيمت فدعوت له؛ فأجلسني و قال: أ تشتهي أن تسمعه ثانية؟ فقلت: إي و الله، فغنّانيه و دعا لي برطل، ففعلت كما فعلت ثانية ثم ثالثة. و صاح ببعض خدمه و قال له: احمل إلى إسحاق ثلاثمائة ألف درهم. ثم قال: يا إسحاق، /قد سمعت ثلاثة أصوات و شربت ثلاثة أرطال و أخذت ثلاثمائة ألف درهم، فانصرف إلى أهلك ليسرّوا بسرورك؛ فانصرفت بالdraهم.

صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط:

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفرات يقول سمعت عرب تقول: صنع الواصل مائة صوت ما فيها صوت ساقط. و لقد صنع في هذا الشعر: هل تعلمين وراء الحبّ منزلة # تدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني

هذا كتاب فتى طالت بليته # يقول يا مشتكى بئى و أحزاني

لحنا من الرّمل تشبّه فيه بصنعة الأوائل.

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرّبعيّ المخزوميّ. و الغناء للواصل رمل بالوسطى من رواية الهشاميّ.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ و الحرميّ بن أبي العلاء و عليّ بن سليمان الأخفش قالوا حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال قال الرّبير بن بكار: كتب ابن أبي مسرّة المكيّ إلى أهل المدينة بيتين و هما:

هذا كتاب فتى طالت بليته # يقول يا مشتكى بئى و أحزاني

هل تعلمين وراء الحبّ منزلة # تدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني

قال الرّبير: و كنت غائبا، فلما قدمت قال لي أهل المدينة ذلك. فقلت لهم: أ يكتب إليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تجيبونه!

شعر يعقوب بن إسحاق الرّبعي:

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرّبعيّ المخزوميّ لنفسه:

قال الوشاة لهند عن تصارمنا # و لست أنسى هوى هند و تنساني

يعقوب ليس بمتبول و لا كلف # ويح الوشاة فإنّ الداء أضواني

/ما بي سوى الحبّ من هند و إن بخلت # حبّي لهند برى جسمي و أبلاني
قد قلت حين بدا لي بخل سيّدتي # و قد تتابع بي بئّي و أحزاني
هل تعلمين وراء الحبّ منزلة # تدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني
قالت نعم قلت ما ذاكم أ سيّدتي # و طاعة الحبّ تنفي كلّ عصيان

قالت فدعنا بلا صرم و لا صلة # و لا صدود و لا في حال هجران
حتى يشكّ وشاة قد رموك بنا # و أعلنوا بك فينا أيّ إعلان

و من غناء الواثق بالله: صوت

<غناؤه في شعر لذي الرمة: >

خليليّ عوجا من صدور الرّواحل # بجرعاء حزوى و ابكيا في المنازل
/لعلّ انحدار الدمع يعقب راحة # من الوجد أو يشفي نجيّ البلابل

الشعر لذي الرّمة. و الغناء للواثق بالله رمل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ. و لإسحاق فيهما رمل بالسبابة في مجرى البنصر. و لحن الواثق منهما الذي أوّله البيت الثاني و هو اللحن المحثوث المسجح و له ردّة في «لعلّ». و لحن إسحاق أوّله البيت الأوّل ثم الثاني و هو أشدّهما إمساكا و فيه صياح.

غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتا أخذته عنه شاجي فأجازه:

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ و قد كان تكلم له في حاجة فقضيت. فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تحط به أمنيّة و لم تبلغه رغبة. قال: فاشتهدني هذا الكلام فاستعاده فأعدته. قال: ثم مكثنا ما شاء الله؛ و أرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنّي فيه و هو: لقد بخلت حتى لو أتني سألتها

/فأمر لي بمائة ألف درهم. فأقمت ما شاء الله ليس أحد من مغنّيهم يقدر على أن يأخذ هذا الصوت منّي. فلما طال مقامي قلت: يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنّين يقدر على أن يأخذ هذا الغناء منّي. فقال لي: و لم ويحك؟ قلت: لأنني لا أصحّحه و لا تسخو نفسي لهم به. فلما فعلت يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتها منّي؟ (يعني شجا، و هي التي كان أهداها إلى الواثق و عمل لها المصنّف الذي في أيدي الناس لإسحاق). قال: و كيف؟ فقلت: لأنها تأخذه منّي و أطيب به لها نفسا، و هم يأخذونه منها. قال: فأمر بها فأخرجت و أخذته على المكان.

فأمر لي بمائة ألف درهم أخرى، و أذن لي في الانصراف. و كان
إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضرا عنده، فقلت له عند وداعي إياه: أعطاك
الله يا أمير المؤمنين ما لم تحط به أمنيّة و لم تبلغه رغبة. فالتفت إليّ
إسحاق بن إبراهيم فقال لي: ويحك يا إسحاق! تعيد الدعاء! فقلت: إي و الله
أعيدة قاصّ أنا أو مغرّ. فانصرفت إلى بغداد و أقمت، حتى قدم إسحاق
فجئته مسلما. فقال: ويلك يا إسحاق! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد
خروجك من عنده؟ قلت: لا، أيها الأمير. قال: قال لي: ويحك! كُنّا أغنى الناس
عن أن نبعث إسحاق على لحننا فيفسده علينا. هذه رواية أبي أيّوب.

تقدير إسحاق لغناء الواصل:

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى و أخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال: لَمَّا صَنَعْتُ لِحْنِي فِي: خَلِيلِي عَوْجَا مِنْ صَدُورِ الرُّوَا حِلِّ

عُنَيْتِهِ الْوَاثِقِ فَاسْتَحْسَنَهُ وَ عَجِبَ مِنْ صِحَّةِ قَسْمَتِهِ، وَ مَكَثَ صَوْتُهُ أَيْامًا ثُمَّ قَالَ لِي: يَا إِسْحَاقُ، قَدْ صَنَعْتَ لِحْنًا فِي صَوْتِكَ وَ فِي إِيقَاعِهِ، وَ أَمْرٌ فَعْنَيْتَ بِهِ؛ فَقُلْتُ: /يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بَغَّضْتَ إِلَيَّ لِحْنِي وَ سَمَّجْتَهُ عِنْدِي. وَ قَدْ كُنْتُ اسْتَأْذَنْتَهُ مَرَّاتٍ فِي الْإِنْحِدَارِ إِلَى بَغْدَادٍ بَعْدَ أَنْ أَلْقَيْتَ اللَّحْنَ الَّذِي كَانَ أَمْرِي بِصَنْعِهِ فِي: لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِي سَأَلْتُهَا فَمَنْعَنِي وَ دَافَعَنِي بِذَلِكَ. فَلَمَّا صَنَعْتُ لِحْنَهُ الرَّمْلِ فِي: خَلِيلِي عَوْجَا مِنْ صَدُورِ الرُّوَا حِلِّ

قُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ وَ اللَّهُ اقْتَصَصْتَ وَ زِدْتَ؛ فَأَذِنَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قُلْتُ لِإِسْحَاقَ: فَأَيُّهُمَا أَجُودُ الْآنَ لِحْنُكَ / فِيهِ أَوْ لِحْنُهُ؟ فَقَالَ: لِحْنِي أَجُودُ قِسْمَةً وَ أَكْثَرُ عَمَلًا، وَ لِحْنُهُ أَظْرَفُ، لِأَنَّهُ جَعَلَ رَدَّتَهُ مِنْ نَفْسِ قَسْمَتِهِ، فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهِ إِلَّا مَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ. قَالَ أَبُو الْحَسَنِ: فَتَأَمَّلْتُ اللَّحْنَيْنِ بَعْدَ ذَلِكَ فَوَجَدْتُهُمَا كَمَا ذَكَرَ إِسْحَاقُ. قَالَ وَ قَالَ لِي إِسْحَاقُ: مَا كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الْوَاثِقِ أَعْلَمَ مِنْهُ بِالْغِنَاءِ.

فَأَمَّا نِسْبَةُ هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ، فَإِنَّ أَحَدَهُمَا قَدْ مَضَى وَ مَضَتْ نَسْبَتُهُ. وَ الْآخَرُ:

صوت

أيا منشتر الموتى أقدني من التي # بها نهلت نفسي سقاما و علّت

لقد بخلت حتى لو اتى سألته # قذى العين من ضاحي التراب لصنّت

الشعر لأعرابي رواه إسحاق عنه و لم يذكر اسمه، و الناس يغلطون فينسبونه إلى كثير و يظنون من قصيدته التي أولها: خليلي هذا رسم عزة فاعقلا # قلوبكما ثم ابكيا حيث حلت

و هذا خطأ ممن قال ذلك. و الغناء للواصل ثاني ثقيل بالوسطى. و لإسحاق في البيت الثاني و بعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. و البيت الذي ألحقه إسحاق به من شعره: /

فإن بخلت فالبخل منها سجية # و إن بذلت أعطت قليلا و أكدت

كان يعرض غناؤه على إسحاق فيدلي فيه برأيه:

أخبرني عمِّي رحمه الله قال حدّثني أبو جعفر بن الدهقانة النّديم قال:
كان الّواثق إذا أراد أن يعرض صنّعه على إسحاق نسبها إلى غيره و قال:
وقع إلينا صوت قديم من بعض العجائز ما سمعه أحد، و يأمر من يغنّيه إياه.
و كان إسحاق يأخذ نفسه في ذلك بقول الحق أشدّ أخذ، فإن كان جيّدًا من
صنّاعته قرّظه و وصفه و استحسّنه، و إن كان مطرّحا أو فاسداً أو متوسّطا
ذكر ما فيه. فربّما كان للواثق فيه هويّ فيسأله عن تقويمه و إصلاح فساده،
و ربما اطّرحه بقول إسحاق فيه؛ إلى أن صنع لنا في قول الشاعِر:

لقد بخلت حتى لو آتني سألتها # قذى العين من ضاحي التراب لصنت

كان عنده مخارق لإسحاق فجفاه و أصلحت بينهما فريدة:
فأعجب به و استحسنته، و أمر المغنّين فغنّوا فيه، و أمر بإشخاص
إسحاق إليه من بغداد ليسمعه.

فكاده مخارق عنده و قال: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق شيطان خبيث
داهية، و إن قولك له فيما تصنعه: هذا صوت وقع إلينا، لا يخفى عليه به أن
الصوت لك و من صنعتك و لا يوقع في فهمه أنه قديم، فيقول لك و
بحضرتك ما يقارب هواك، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدّ ذلك. فأحفظ
الوائق قوله و غاظه، و قال له: أريد على هذا القول منك دليلاً. قال: أنا أقيم
عليه الدليل إذا حضر. فلما قدم به و جلس في أوّل مجلس اندفع مخارق
يغني لحن الواثق: لقد بخلت حتى لو آتني سألتها

فزاد فيه زوائد أفسدت قسمته فسادا شديدا و خفيت على الواثق
لكثرة زوائد مخارق في غنائه. فسأله الواثق عنه؛ فقال: هذا غناء/فاسد غير
مرضيّ عندي. فغضب الواثق و أمر بإسحاق فسحب حتى أخرج من
المجلس. فلما كان من الغد/قالت فريدة للواثق: يا أمير المؤمنين، إن
إسحاق رجل يأخذ نفسه بقول الحق في صناعته على كل حال ساءته أو
سرته، لا يخاف في ذلك ضررا و لا يرجو نفعاً؛ و ما لك منه عوض. و قد كاده
مخارق عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تعرف، و تركه في
المصرع الثاني على حاله، و نقص من البيت الثاني، و قد تبين ذلك.

و أنا أعرضه على إسحاق و أغنيه إياه على صحته، و اسمع ما يقول. و
ما زالت تلتف للواثق حتى رضي عنه و أمر بإحضاره. فغنّته إياه فريدة كما
صنعه الواثق. فلما سمعه قال: هذا صوت صحيح الصنعة و القسمة و
التجزئة، و ما هكذا سمعته في المرة الأولى. ثم أخبر الواثق عن مواضع
فساده حينئذٍ و أبان ذلك له بما فهمه. و غنّته فريدة عدّة أصوات من القديم
و الحديث كلها يقول فيها بما عنده من مدح لبعضها و طعن على بعض.
فاستحسن الواثق ذلك و أجازه يومئذٍ و حباه، و جفا مخارقاً مدّة لما فعله
به.

أخبرني جحظة قال حدّثني ابن المكيّ عن أبيه قال: كان الواثق إذا
صنع شيئاً من الغناء أخبر إسحاق به و عرضه عليه حتى يصلح ما فيه ثم
يظهره.

و قد أخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد المهلبيّ بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرته هاهنا و في ألفاظه اختلاف. و قد تقدّم ذكره [1] و ابتدأناه في أخبار إسحاق. و الأبيات الثانية التي غنّي فيها الواثق و إسحاق أنشدنيها عليّ بن سليمان الأخفش و عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى جميعا عن هارون بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق لأعرابيّ، و أنشدناها محمد بن العباس اليزيديّ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض الأعراب: /

ألا قاتل الله الحمامة غدوة # على الغصن ما ذا هيّجت حين غنّت

فغنّت بصوت أعجميّ فهيجت # هواي الذي كانت ضلوعي أكنّت

فلو قطرت عين امرئ من صباية # دما قطرت عيني دما و ألمّت

فما سكتت حتى أويت لصوتها # و قلت أرى هذي الحمامة جئت

[1] راجع ج 5 ص 360-361 من هذه الطبعة.

و لي زفرات لو يدمن قتلني # بشوق إلى نادي التي قد تولت
 إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت # فمن لي بأخرى في غد قد أطلت
 أيا منشتر الموتى أعني على التي # بها نهلت نفسي سقاما و علّت
 لقد بخلت حتى لو أتي سألتها # قذى العين من سافي[1]التراب لصنّت
 فقلت ارحلا يا صاحبي فليتنني # أرى كلّ نفس أعطيت ما تمنّت
 حلفت لها بالله ما أمّ واحد # إذا ذكرته آخر الليل أنت
 و ما وجد أعرابيّة قذفت بها # صروف التوى من حيث لم تك ظنّت
 إذا ذكرت ماء العضاه و طيبه # و بطن الحصى من بطن خبت أرنت
 بأعظم من وجدي بها غير أنني # أجمجم أحشائي على ما أجنت

غناه إسحاق فوصله و شعره فيه:

أخبرني جحظة و ابن أبي الأزهر و يحيى بن عليّ و الحسين بن يحيى
 قالوا جميعا أخبرنا/حمّاد بن إسحاق عن أبيه، و قد جمعت روايتهم في هذا
 الخبر و زدت فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه، قال: ما
 وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواصل؛ و ما كان أحد منهم
 يكرمني إكرامه. و لقد غنّيته لحنيا: لعلك إن طالت حياتك أن ترى # بلادا بها
 مبدى لليلي و محضر

فاستعاده منّي ليلة[2] لا يشرب على غيره، ثم وصلني بثلاثمائة ألف
 درهم. و لقد قدمت عليه في بعض قدماتي، فقال لي: وبحك يا إسحاق! ما
 اشتقت إليّ! فقلت: بلى و الله يا سيدي! و قلت في ذلك أبياتا إن أمرتني
 أنشدتها.

قال: هات؛ فأنشدته:

أشكو إلى الله بعدي عن خليفته # و ما أقاسيه من همّ و من كبر
 لا أستطيع رحيلًا إن هممت به # يوما إليه و لا أقوى على السفر
 أنوي الرحيل إليه ثم يمنعني # ما أحدث الدهر و الأيام في بصري

ثم استأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها فأذن لي؛ فأنشدته قصيدتي
 التي أقول فيها: لَمَّا أمرت بإشخاصي إليك هوى # قلبي حنينا إلى أهلي و
 أولادي

ثم اعتزمت فلم أحفل بينهم # و طابت النفس عن فضل و حمّاد
 كم نعمة لأبيك الخير أفردي # بها و خصّ بأخرى بعد إفرادي

فلو شكرت أياديكم و أنعمكم # لما أحاط بها وصفي و تعدادي
لأشكرتكم ما غار النجوم و ما # حدا على الصبح في إثر الدجى حاد

[1] و يروى: «ضاحي التراب» (راجع ص 280 ص 15) .

[2] في حـ: «جمعة» .

قال عليّ بن يحيى خاصّة في خبره: فقال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، أخبرني لو قال الخليفة لإسحاق: أحضر لي فضلا وحمّادا أليس كان يفتضح إسحاق! (يعني من دمامة خلقتهما و تخلف شاهدهما) .

خرج معه إسحاق إلى النجف، و شعره فيها و في حنينه إلى ولده:

قال إسحاق: ثم انحدرت مع الواصل إلى النجف، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النجف قصيدة.

فقال: هاتها؛ فأنشدته قولي:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف # نحيّ دارا لسعدى ثم ننصرف
/لم ينزل الناس في سهل و لا جبل # أصفى هواء و لا أغذى من النجف
حقت بئر و بحر في جوانبها # فالبرّ في طرف و البحر في طرف
ما إن يزال نسيم من يمانية # يأتيك منها بريّا روضة أنف

حتى انتهيت إلى مديحه فقلت و قد انتهيت إلى قولي فيه:

لا يحسب الجود يفني ماله أبدا # و لا يرى بذل ما يحوي من السرف

فقال لي: أحسنت يا أبا محمد! فكثاني، و أمر لي بألف درهم. و انحدرنا إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نواس: فالصالحية من أكناف كلواذا [1]

و ذكرت الصبيان و بغداد فقلت:

أ تبكي على بغداد و هي قريبة # فكيف إذا ما ازددت منها غدا بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلبي # لو آثا وجدنا من فراق لها بدّا
/إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت # من الشوق أو كادت تموت بها وجدا
كفى حزنا أن رحمت لم تستطع لها # وداعا و لم تحدث لساكنها عهدا

فقال لي: يا موصليّ، لقد اشتقت إلى بغداد! فقلت: لا و الله يا أمير المؤمنين، و لكنني اشتقت إلى الصبيان، و قد حضرني بيتان. فقال هاتهما. فقلت: حننت إلى الأصبية الصغار # و شاقك منهم قرب المزار

و كلّ مفارق يزداد شوقا # إذا دنت الديار من الديار

فقال لي: يا إسحاق، سر إلى بغداد فأقم شهرا مع صبيانك ثم عد إلينا، و قد أمرت لك بمائة ألف درهم.

امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه:

أخبرني جحظة عن ابن حمدون: أن إسحاق كان يحضر مجالس الخلفاء إذا جلسوا للشرب في جملة المغنين و عوده معه إلى أيام الواثق، فإنه كان إذا قدم عليه يحضر مع الجلساء بغير عود، و يدينه الواثق و لا يغني حتى يقول له: غنّ، فإذا قال له غنّ جاءوه بعود فغنّي به، و إذا فرغ رفع العود من بين يديه إكراما من الواثق له.

[1]راجع الحاشية رقم 1 ص 357 ج 5 من هذه الطبعة.

بَرَزَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ فِي لَحْنِ اشْتِرَاكَ فِيهِ:

أخبرني الحسين بن يحيى عن وسوسة بن الموصلي عن حماد بن إسحاق قال: كتب حمدون بن إسماعيل إلى أبي: إن أمير المؤمنين الواصل يأمرك أن تصنع لحنًا في هذا الشعر: لقد بخلت حتى لو أتيت سألته

و قد كان الواصل غنى فيه غناء أعجبه؛ فغنى فيه أبي. فلما سمعه الواصل قال: أفسد علينا إسحاق ما كنا أعجبنا به من غنائنا. قال حماد: ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناء حتى مات.

و من مشهور أغاني الواصل: صوت

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله # غزالان مكحولان مؤتلغان
أرغتهما ختلا فلم أستطعهما # و رميا ففاتاني و قد رمياني [1]

و لحنه فيه من الثقيل الأول. و لإسحاق فيه رمل.

قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن عليّة القرشيّ قال أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر الهاشمي عن إسحاق بن سليمان بن عليّ قال: /لقيت أعرابياً بالسّميّة [2] فصيحاً، فاستخففته و تأملته فإذا هو مصفرّ شاحب ناحل الجسم، فاستنشدته فأنشدني الشيء بعد الشيء على استكراه منّي له. فقلت له: ما بالك؟ فوالله إنك لفصيح! فقال: أما ترى الجبلين؟ قلت بلى. قال: في ظلالهما و الله يمنعني من إنشادك و يشغلني و يذهلني عن الناس. قلت: و ما ذاك؟ قال: بنت عمّ لي قد تيممتني و ذهبت بعقلي، و الله إنه لتأتي عليّ ساعات ما أدري أ في السماء أنا أم في الأرض، و لا أزال ثابت العقل ما لم يخامر ذكرها قلبي، فإذا خامره بطلت جواسسي و عزب عني لبّي. قلت: فما يمنعك منها؟ أ قلة ما في يدك؟ قال: و الله ما يمنعني منها غير ذلك. قلت: و كم مهرها؟ قال: مائة ناقة. قلت: فأنأ أدفعها إليك إذا لتدفعها إليهم. قال: و الله لئن فعلت ذلك إنك لأعظم الناس عليّ منّة. فوعده بذلك و استنشدته ما قال فيها، فأنشدني أشياء كثيرة منها قوله: /

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله # غزالان مكحولان مؤتلغان

البيتان. فقلت له: يا أعرابي، و الله لقد قتلتنني بقولك «ففاتاني و قد قتلتني» و أنا بريء من العباس أن لم أقم بأمرك.

ثم دعوت بمركوب فركبته و حملت معي الأعرابي، فصرنا إلى أبي الجارية في جماعة من أهلي و موالي حتى زوّجته إياها و ضمننت عنه الصّدّاق و اشتريت له مائة ناقة فسقتها عنه؛ و أقمت عندهم ثلاثا و نحررت لهم ثلاثين جزورا، و وهبت للأعرابي عشرة آلاف درهم و للجارية مثلها، و قلت: استعينا بهذا على اتّصالكما و انصرفت. فكان الأعرابي يطرقنا في كل سنة و امرأته معه فأهب له و أصله و ينصرف.

[1] و يروى: «و قد قتلاني» (انظر الصفحة الآتية) .

[2] السمية: جبل، كما في «معجم البلدان» لياقوت.

غناؤه في شعر حسان:

و من أغانيه-أخبرني به ذكاء وجه الرّزة عن أحمد بن العلاء عن مخارق
و أنه أخذه عنه:-

صوت

إنّ التي عاطيتها فرددتها # قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاها حلب العصير فعاطني # بزجاجة أرخاهما للمفصل

يروى: «كلتاها حلب العصير» و «حلب العصير» . و يروى:
«للمفصل» و «للمفصل» . و المفصل: الواحد من المفاصل، و المفصل هو
اللسان. ذكر ذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول
عن ابن الأعرابي.

الشعر لحسان بن ثابت. و الغناء للوائح خفيف رمل بالبنصر. و فيه
لإبراهيم الموصليّ رمل مطلق في مجرى الوسطى. و هذه الأبيات من
قصيدة حسان المشهورة التي يمدح بها بني جفنة، و أولها: أ سألت رسم
الدار أم لم تسأل

و هي من فاخر المديح، منها قوله:

أولاد جفنة عند قبر أبيهم # قبر ابن مارية الكريم المفصل
يسقون من ورد البريص[1]عليهم # بردى يصقّق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أنسابهم # شمّ الأنوف من الطراز الأول
يغشون حتى ما تهزّ كلابهم # لا يسألون عن السواد المقبل

تفسير القاضي عبيد الله بن الحسن لهذا الشعر:

نسخت من كتاب الشاهينيّ: حدّثني ابن عليل العنزيّ قال حدّثني أحمد
بن عبد الملك بن أبي السّمّال السّعديّ قال حدّثني أبو ظبيان الحمانيّ قال:
اجتمعت جماعة من الحيّ على شراب لهم، فتغنّى رجل منهم بشعر حسان:
إنّ التي عاطيتني فرددتها # قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاها حلب العصير فعاطني # بزجاجة أرخاهما للمفصل

فقال رجل من القوم: ما معنى قوله «إنّ التي عاطيتني» فجعلها
واحدة، ثم قال: «كلتاها حلب العصير» فجعلها ثنتين؟ فلم يعلم أحد منّا
الجواب. فقال رجل من القوم: امرأته طالق ثلاثا إن بات أو يسأل القاضي

عبيد الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر. قال أبو ظبيان: فحدّثني بعض أصحابنا السعديين قال: فأتيناه نتخطى إليه الأحياء حتى أتيناها و هو في/ مسجده يصلي بين العشاءين. فلما سمع حسنا أوجز في صلاته، ثم أقبل علينا و قال: ما حاجتكم؟ فبدأ رجل منا كان أحسننا بقيّة [2] فقال: نحن، أعزّ الله القاضي، قوم نزعنا إليك من طرف البصرة في [1] البريص: اسم غوطة دمشق. و بردى: نهر دمشق.

[2] أي أحسننا رأيا و فضلا. و إنما سمي ذلك بقيّة، لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده و أفضله.

حاجة مهمّة فيها بعض الشيء. فإن أذنت لنا قلنا. قال: قولوا. فذكر يمين الرجل و الشعر. فقال: أمّا قوله «إن التي ناولتني [1]» هي الخمرة. و قوله: «قتلت» يعني مزجت بالماء. و قوله: «كلتاها حلب العصير» يعني به الخمر و مزاجها، فالخمر عصير العنب، و الماء عصير السحاب؛ قال الله عزّ و جلّ: **وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَبَّاجًا** انصرفوا إذا شئتم.

غناؤه لحنا على مثال لحن لمخارق:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه قال: غنى مخارق يوما بحضرة الواصل:

حتى إذا الليل خبا ضوؤه # و غابت الجوزاء و المرزم [2]

/خرجت و الوطاء خفيّ كما # ينساب من مكمنه الأرقم

فاستملح الواصل الشعر و اللحن، فصنع في نحوه:

قالت إذا الليل دجا فأتنا # فجئتها حين دجا الليل

خفيّ وطاء الرّجل من حارس # و لو درى حلّ بي الويل

و لحنه فيه من الرّمل. و صنع فيه الناس ألحانا بعده: منها لعريب خفيف رمل، و منها ثقيل أوّل لا أعلم لمن هو؛ و سمعت ذكاء و محمد بن إبراهيم قريبا يغنيانه و ذكرا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء، و لا أدري لمن هو.

تحدّث إسحاق إليه بقصة أعرابيّ عاشق و غنى في شعره فوصله و وصل الأعرابيّ:

حدّثني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال: سرت إلى سرّمنراي بعد قدومي من الحجّ، فدخلت إلى الواصل فقال: بأي شيء أطرفنتني من أحاديث الأعراب و أشعارهم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين جلس إليّ فتى من الأعراب في بعض المنازل، فحدّثني فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظرا و حديثا و أدبا. فاستنشدته فأنشدني: سقى العلم الفرد الذي في ظلاله # غزالان مكحولان مؤتلفان

إذا أمتنا التّفّا بجيدي تواصل # و طرفاهما للرّيب مسترقان [3]

أرغتهما ختلا فلم أستطعهما # و رميا ففاتاني و قد قتلاني

ثم تنفّس تنفّسا ظننت أنه قد قطع حيازيمه. فقلت: مالك بأبي أنت؟ فقال: إن لي وراء هذين الجبلين شجنا، و قد حيل بيني و بين المرور به و

نذروا دمي، و أنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعلّلا بهما إذا قدم الحاجّ، ثم يحال بيني و بين ذلك. فقلت له: زدني مما قلت في ذلك. فأنشدني: /

إذا ما وردت الماء في بعض أهله # حضور فعرض بي كأنتك مازح

[1] الرواية المتقدمة في البيت: «... عاطيتني» .

[2] الجوزاء: برج في السماء، سميت بذلك لأنها معترضة في جوز السماء أي وسطها. و المرزمان: نجمان مع الشعريين.

[3] الاستراق: اختلاس النظر و السمع، و مثله التسرق و المسارقة. -

فإن سألت عني حضور فقل لها # به غبر [1] من دائه و هو صالح

فأمرني الواثق فكتبت له الشعيرين. فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا الشعيرين لحنا فاسمعه، فإن ارتضيته أظهرناه و إن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته. فغني لنا من وراء الستار، فكان في نهاية الجودة، و كذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً. فقلت له: أحسن و الله صانعه يا أمير المؤمنين ما شاء!. فقال: بحياتي؟ فقلت: و حياتك، / و حلفت له بما وثق به، و أمر لي برطل فشربته، ثم أخذ العود فعناه ثلاث مرات، و سقاني ثلاثة أرطال و أمر لي بثلاثين ألف درهم. فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع أيضا عندنا في الشعر الآخر، و أمر فغني به؛ فكانت حالي فيه مثل الحال في الأول. فلما استحسنته و حلفت له على جودته ثلاث مرات، سقاني ثلاثة أرطال و أمر لي بثلاثين ألف درهم. ثم قال لي: هل قضيت حق هديتك؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ فأطال الله بقاءك، و تمم نعمتك، و لا أفقدنيها منك و بك. ثم قال: لكنك لم تقض حق جليسك الأعرابي و لا سألتني معونته على أمره، و قد سبقت مسألتك و كتبت بخبره إلى صاحب الحجاز و أمرته بإحضاره، و خطبت المرأة له و حمل صداقها إلي قومها عنه من مالي. فقبلت يديه و قلت: السبق إلى المكارم لك، و أنت أولى بها من عبدك و من سائر الناس.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني:

منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدمة.

صوت

حتى إذا الليل خبا ضوأه # و غابت الجوزاء و المرزم

أقبلت و الوطاء خفي كما # ينساب من مكمنه الأرقم

ذكر يحيى المكي أن اللحن لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر، و ذكر الهشامي أنه منحول.

طرب شيخ لسمع مغنية فرمى بنفسه في الفرات:

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار و إسماعيل بن يونس و غيرهما قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كناسة قال: اصطحب شيخ مع شباب في سفينة في الفرات و معهم مغنية. فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جارية لبعضنا و هي مغنية، فأحببنا أن نسمع غناها فهبنك، فإن أذنت لنا فعلنا. قال: أنا أصعد إلى

طلّال[2]السفينة، فاصنعوا أنتم ما شئتم. فصعد، و أخذت الجارية عودها
فغنت: حتى إذا الصبح بدا ضوأه # و غابت الجوزاء و المرزم

أقبلت و الوطاء خفيّ كما # ينساب من مكمنه الأرقم

[1]عبر الشيء: بقيته.

[2]في الأصول: «طلّال السفينة» بالطاء المعجمة. و التصويب عن
كتب اللغة. و طلل السفينة: جلالها، و هو غطاء تغشى به كالسقف للبيت.

فطرب الشيخ و صاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات، و جعل يغوص في الفرات و يطفو و يقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فألقوا أنفسهم خلفه، فبعد لأي ما استخرجوه، و قالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إليكم عنّي! فإني و الله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون. و قال إسماعيل في خبره/فقلت له: ما أصابك؟ فقال: دبّ شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل و نزل في رأسي مثله، فلمّا وردا على قلبي لم أعقل ما عملت.

و أمّا ما في الخبر من الصنعة في: «قالت إذا الليل دجا» فإنّ لحن الواثق هو المشهور، و ما وجدت في كتب «الأغاني» غيره، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقريظ و ذكاء وجه الرّزة يغنيان فيه لحنًا من الثقيل الأوّل المذموم؛ فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه، و ذكرا جميعا أنّهما أخذاه/عن أحمد بن أبي العلاء.

علمه بالغناء و عدد أصواته و ذكر المشهور منها:

و أخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حمّاد بن إسحاق قال: كان الواثق أعلم الخلفاء بالغناء، و بلغت صنعته مائة صوت، و كان أحذق من عنّي بضرب العود. قال: ثم ذكرها فعُدّ منها: يفرح الناس بالسّماع و أبكي # أنا حزنا إذا سمعت السّماعا

و لها في الفؤاد صدع مقيم # مثل صدع الرّجاج أعيا الصّناعا

الشعر للعبّاس بن الأحنف. و الغناء للواثق خفيف ثقيل. و فيه لأبي دلف خفيف رمل.

و منها:

ألا أيّها النفس التي كادها الهوى # أ فأنت إذا رمت السّلوّ غريمي

أفيقي فقد أفنيت صبري أو اصبري # لما قد لقيتيه عليّ و دومي

الشعر و الغناء للواثق خفيف رمل.

و منها:

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله # غزالان مكحولان مؤتلفان

أرغتهما ختلا فلم أستطعهما # و رميا ففاتاني و قد قتلاني

/الغناء للوائق ثقيل أوّل. و فيه لإسحاق رمل و هو من غريب صنّعه،
يقال إنه صنّعه بالرّقة.

و منها:

كلّ يوم قطيعة و عتاب # ينقضي دهرنا و نحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا # دون ذا الخلق أم كذا الأحباب
فاصبر النفس لا تكونن جزوعا # إنما الحبّ حسرة و عذاب
فيه للوائق رمل، و لزرزور ثقيل أوّل، و لعريب هنج.

و منها:

و لم أر ليلي بعد موقف ساعة # بخيف منى ترمي جمار المحصّب

و ييدي الحصى منها إذا قذفت به # من البرد أطراف البنان المخصَّب
فأصبحت من ليلي الغداة كناظر # مع الصبح في أعقاب نجم مغرَّب
ألا إنما غادرت يا أمَّ مالك # صدى أينما تذهب به الريح يذهب

الصنعة في هذا الشعر ثقيل أوَّل و هو لحن الواثق فيما أرى. و نسبه
حبش، و هو قليل التحصيل، إلى ابن محرز في موضع، و إلى سليم في
موضع آخر، و إلى معبد في موضع ثالث.

و منها:

أمست و شاتك قد دبَّت عقاربها[1] # و قد رموك بعين الغشِّ و ابتدروا
ترك أعينهم ما في صدورهم # إنَّ الصدور يؤدِّي غيبها النظر

الشعر للمجنون. و الغناء للواثق ثاني ثقيل. و فيه لمثِّم ثقيل أوَّل. و
قد نسب لحن كل واحد منهما إلى الآخر.

/و منها:

عجبت لسعي الدهر بيني و بينها # فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا هجر ليلي قد بلغت بي المدى # و زدت على ما لم يكن بلغ الهجر

الغناء للواثق رمل. و فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى، و لابن سريج
ثقيل أوَّل بالبنصر، /و لعريب ثقيل أوَّل آخر.

و منها:

كأنَّ شخصي و شخصه حكيا # نظام نسرينتين في غصن
فليت ليلي و ليله أبدا # دام و دمننا به فلم نبين

الشعر أظنَّه لعليِّ بن هشام أو لمعاد[2]. و لحن الواثق فيه ثقيل أوَّل.
و فيه لعريب ثقيل أوَّل آخر. و فيه لأبي عيسى بن الرشيد و لمثِّم لحنان لم
يقع إليَّ جنسهما.

و منها:

أهابك إجلالا و ما بك قدرة # عليِّ و لكن ملء عين حبيبها
و ما فارقتك النفس يا ليل أنها # قلتك و لكن قلَّ منك نصيبها

لحن الواثق فيه ثقيل أوَّل مطلق في مجرى الوسطى. و فيه لغيره
لحن.

و منها[3]:

في فمي ماء و هل ين # طق من في فيه ماء!

أنا مملوك لمملو # ك عليه الرّقاء

[1]لو كان: «عقاربهم» لا تحدث الضمائر.

[2]مراد: شاعرة علي بن هشام و هي التي رثته لما قتله المأمون.
(راجع ص 304 من الجزء السابع من هذه الطبعة) .

[3]في الأصول: «و منه» .

كنت حرًا هاشميًا # فاسترقنتني الإماء
و سباني من له كا # ن على الكره السَّباء
/أحمد الله على ما # ساقه نحوي القضاء
ما بعيني دموع # أنفد الدمع البكاء

الغناء للوائح رمل.

و منها[1]:

أيّ عون على الهموم ثلاث # مترعات[2] من بعدهنّ ثلاث
بعدها أربع تتمة عشر # لا بطاء لكنهنّ حثاث

فيه رمل ينسب إلى الوائح و إلى متيم.

و منها[1]:

أيا عبرة العينين قد ظمئ الحدّ # فما لكما من أن تلمّا به بدّ
و يا مقلة قد صار يبغضها الكرى # كأن لم يكن من قبل بينهما ودّ
لئن كان طول العهد أحدث سلوة # فموعد بين العين و العبرة الوجد[3]
و ما أنا إلا كالذين تخرموا # على أنّ قلبي من قلوبهم فرد

الشعر و الغناء للوائح رمل. و فيه لأبي حشيشة هزج، ذكر ذلك
الهشاميّ الملقّب بالمسك، و أخبرني لحظة أنه للمسدود. و أخبرني لحظة
أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الوائح خفيف رمل و هو: سألته حويجة
فأعرضا # و علق القلب به و مرضا

فاستلّ منّي سيف عزم منتضى # فكان ما كان و كابرننا القضا

قال: و في هذا الشعر أيضا بعينه للوائح رمل، و لقلم الصالحية فيه
هزج. و قد غلط لحظة في هذا الشعر، و هو لسعيد بن حميد مشهور، و له
فيه خبر قد ذكرناه في موضعه[4].

غاضبه خادم له فقال فيه شعرا غنى فيه:

أخبرني عمّي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه[5] ابن حمدون عن
أبيه حمدون بن إسماعيل قال: كان الوائح يحبّ خادما له كان أهدي إليه من
مصر، فغاضبه يوما و هجره، فسمع الخادم يحدث/صباحا له [1] في الأصول:
«و منه» .

[2] كذا في ج. و في سائر الأصول: «متبعات» .

[3] الوجد: اللقاء.

[4] راجع الجزء السابع عشر من «الأغاني» ص 2-9 طبع بولاق.

[5] كذا في الأصول. و المعروف أن ابن حمدون خال علي بن محمد بن نصر لا جدّه. (راجع «الاستدراك الأول» في الجزء الخامس ص 537 من هذه الطبعة) .

بحديث أغضبه عليه، إلى أن قال له: و الله إنه ليجهد منذ أمس على أن أصلحه فما أفعل. فقال الواصل في ذلك: يا ذا الذي بعذابي ظلّ مفتخرا # هل أنت إلاّ مليك جار إذ قدرا

لو لا الهوى لتجازينا على قدر # و إن أفق مرّة منه فسوف ترى

قال: و غنّي الواصل و علّويه فيه لحنين، ذكر الهشاميّ أن لحن الواصل خفيف ثقيل، و في أغاني علّويه: لحنه في هذا الشعر خفيف رمل.

غنى في شعر لعلي بن الجهم:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني بن أبي العيّن عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سهل قال: كنّا وقوفا على رأس الواصل في أوّل مجالسه التي جلسها لمّا ولي الخلافة، فقال: من ينشدنا شعرا قصيرا مليحا؟ فحرصت على أن أعمل شيئا فلم يجئني، فأنشدته لعليّ بن الجهم: لو تنصّلت إلينا # لوهبنا لك ذنبك

ليتني أملك قلبي # مثلما تملك قلبك

أيها الواصل بالل # ه لقد ناصحت ربك

سيدي ما أبغض العيد # ش إذا فارقت قريك

أصبحت حجتك العلي # ا و حزب الله حزبك

/فاستحسنها و قال: لمن هذه؟ فقلت: لعبدك عليّ بن الجهم. فقال: خذ ألف دينار لك و له؛ و صنع فيها لحنا كنّا نغني به بعد ذلك.

يوم له مع المغنين بسر من رأى:

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني أبي قال: لما خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الواصل بسر من رأى، فكانت أموره كلها كأمر أبيه. فوجه إلى الجلساء و المغنين أن يبكروا إليه يوما حدّد لهم، و وجه إلى إسحاق، فحضر الجميع. فقال لهم الواصل: إني عزمتم على الصّبح، و لست أجلس على سرير حتى أختلط بكم و نكون كالشيء الواحد، فاجلسوا معي حلقة، و ليكن كلّ جليس إلى جانبه مغنّ، فجلسوا كذلك. فقال الواصل: أنا أبدأ؛ فأخذ عودا فغنى و شربوا و غنّي من بعده، حتى انتهى إلى إسحاق فأعطي العود فلم يأخذه. فقال: دعوه. ثم غنّوا دورا آخر. فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغنّ، و فعل هذا ثلاث مرّات. فوثب الواصل فجلس على سيره و أمر الناس فأدخلوا، فما قال لأحد منهم: اجلس. ثم قال: عليّ بإسحاق!. فلما رآه قال: يا خوزيّ يا كلب! أتترل لك و أغنّي و

ترتفع عني! أ ترى لو أنني قتلتك كان المعتصم يقيدني بك! ابطحوه! فبطح
فضرب ثلاثين مقرعة ضربا خفيفا، و حلف ألا يغني سائر يومه سواه. فاعتذر
و تكلمت الجماعة فيه، فأخذ العود و ما زال يغني حتى انقضى ذلك اليوم، و
عاد الواصل إلى مجلسه.

شعره في خادم يهواه:

وجدت في بعض الكتب عن ابن المعتز قال: كان الواصل يهوى خادما له
فقال فيه:

سأمنع قلبي من موّدة غادر # تعبّدي خبثا بمكر مكاشر
خطبت إليه الوصل خطبة راغب # فلاحظني زهوا بطرف مهاجر

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز: و للوائق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأوّل.

ألقي على غلمانه صوتا فأخذه عنه:

/أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدّثني عبد أمّ غلام الوائق قال: دعا بنا الوائق مع صلاة الغداة و هو يستاك فقال: خذوا هذا الصوت، و نحن عشرون غلاما كلنا يغني و يضرب، ثم ألقي علينا: أشكو إلى الله ما ألقي من الكمد # حسبي برّبي فلا أشكو إلى أحد فما زال يرّده حتى أخذناه عنه.

نسبة هذا الصوت

أشكو إلى الله ما ألقي من الكمد # حسبي برّبي فلا أشكو إلى أحد
أين الزمان الذي قد كنت ناعمة # مهلة بدنوي منك يا سندي
و أسأل الله يوما منك يفرحني # فقد كحلت جفون العين بالسّهد
شوقا إليك و ما تدرين ما لقيت # نفسي عليك و ما بالقلب من كمد

الغناء للوائق ثقيل أوّل بالبنصر. و فيه لعريب أيضا ثقيل أوّل بالوسطى.

كان إسحاق يصح له غناه:

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد المكيّ قال حدّثني أبي قال: كان الوائق يعرض صنّعه على إسحاق، فيصلح الشيء بعد الشيء ممّا يخفى على الوائق؛ فإذا صحّحه أخرجنا إلينا و سمعناه.

أمر مخارقا و علويه و عريب أن يعارضوا لحننا له:

حدّثنا جحظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني مخارق قال:

لما صنع الوائق لحنه في:

حوراء ممكورة^[1] منعمة # كأنما شفّ وجهها نرف

/و صنع لحنه في «سأذكر سرّيا طال ما كنت فيهم» أمرني و علويه و عريب أن يعارض صنّعه فيهما؛ ففعلنا و اجتهدنا ثم غنّينا. فضحك فقال: أمّا معكم أن نجد من يبغض إلينا صنّعتنا كما يبغض إسحاق إلينا «أيا منشور

الموتى» . قال حمّاد: هذا آخر لحن صنعه أبي. يعني الذي عارض به لحن
الواثق في «أيا منشتر الموتى» .

[1]الممكورة: المدمجة الخلق من النساء، و قيل: المستديرة الساقين.
و قوله: «كأنما شف وجهها نzf» يريد أنها رقيقة المحاسن و كأن دمها و
دم وجهها نzf. و المرأة أحسن ما تكون غب نفاسها لأنه يكون قد ذهب
تهيج الدم فتصير رقيقة المحاسن.

غناه إسحاق صوتا فتطير به:

أخبرني جحظة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخلت يوما إلى الواثق و هو مصطبح، فقال لي: غنّي يا إسحاق بحياتك عليك صوتا غريبا لم أسمعه منك حتى أسرّ به بقيّة يومي. فكان الله أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت: يا دار إن كان البلى قد محاك # فإنه يعجبني أن أراك

أبكي الذي قد كان لي مألفا # فيك فأتي الدار من أجل ذلك

-و الغناء في هذا اللحن للأبجر رمل بالوسطى عن ابن المكيّ و هو الصواب، و ذكر عمرو بن بانة أنه لسليم-قال فتبينت الكراهية في وجهه، و ندمت على ما فرط منّي. و تجلّد فشرب رطلا كان في يده، و عدلت عن الصوت إلى غيره. فكان و الله ذلك اليوم آخر جلوسي معه.

و ممّن حكي عنه أنه صنع في شعره و شعر غيره المنتصر

<غناه المنتصر: > فأني ذكرت ما روي عنه أنه غنّي فيه على سوء العهدة في ذلك و ضعف الصنعة، لئلا يشدّ عن الكتاب شيء قد روي و قد تداوله الناس. فمما ذكر عنه أنه غنّي فيه:

صوت

سقيت كأسا كشفت # عن ناظريّ الخمر

فنشّطتني و لقد # كنت حزينا خائرا

الشعر للمنتصر، و هو شعر ضعيف ركيك إلا أنه يغني فيه.

كان متخلفا في قول الشعر و متقدما في غيره و كان يغني

قبل الخلافة:

و حدّثني الصّوليّ عن أحمد بن يزيد المهلبّي عن أبيه قال: كان طبع المنتصر متخلفا في قول الشعر و كان متقدّما في كل شيء غيره؛ فكان إذا قال شعرا صنع فيه و أمر المغيّين بإظهاره، و كان حسن العلم بالغناء. فلمّا ولي الخلافة قطع ذلك و أمر بستر ما تقدّم منه. من ذلك صنعته في شعره و هو من الثقل الأول المذموم: سقيت كأسا كشفت # عن ناظريّ الخمر

قال: و من شعره الذي غنّي فيه و لحنه ثاني ثقيل:

صوت

متى ترفع الأيَّام من وضعه # و ينقاد لي دهر عليّ جموح
أعَلِّ نفسي بالرجاء و إنني # لأغدو على ما ساءني و أروح

قال: و كان أبي يستجيد هذين البيتين و يستحسنهما. و نذكرها هنا شيئاً من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أسوة ما فعلنا في نظرائه.

أراد الشرب علانية فجاء الناس ليروه فقال شعرا فتفرقوا:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني أبي قال: أراد المنتصر أن يشرب في الرّقاق، فوافى الناس من كل وجه ليروه و يخدموه؛ فوقف على شاطئ دجلة و أقبل على الناس فقال: لعمرى لقد أصحرت خيلنا # بأكناف دجلة للملعب

و الشعر «بأكناف دجلة للمصعب» و لكّته غيرّه لأنه تطيّر من ذكر المصعب-

فمن يك منّا بيت آمنا # و من يك من غيرنا يهرب

قال: فعلم أنه يريد الخلوة بالثّديّ و المغتّين، فانصرفوا، فلم يبق معه إلاّ من يصلح للأنس و الخدمة.

جفا يزيد المهلبى لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه و أكرمه:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلبىّ قال: كان أبي أخصّ الناس بالمنتصر، و كان يجالسه قبل مجالسته المتوكل. فدخل المتوكل يوماً على المنتصر على غفلة، فسمع كلامه فاستحسنه، فأخذه إليه و جعله في جلسائه. و كان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان، فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه؛ فعتب عليه لتأخّره عنه على ثقة بمودّة و أنس به. فلما أفضت إليه الخلافة استأذن عليه؛ فحجبه و أمر بأن يعتقل في الدار فحبس أكثر يومه. ثم أذن له فدخل و سلّم و قبّل الأرض بين يديه ثم قبّل يده، فأمره بالجلوس؛ ثم التفت إلى بنان بن عمرو و قال له: غنّ، و كان العود في يده؛ غدرت و لم أغدر و خنت و لم أخن # و رمت بديلا بي و لم أتبدّل

-قال: و الشعر للمنتصر-فغناه بنان. و علم أبي أنه أراد به بذلك فقام فقال: و الله ما اخترت/خدمة غيرك و لا صرت إليها إلاّ بعد إذنك. فقال: صدقت؛ إنما قلت هذا مازحاً؛ أتراني أتجاوز بك حكم الله عزّ و جلّ إذ يقول: **وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**. ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده: ألا يا قوم قد برح الخفاء # و بان الصبر منّي و العزاء

تعجّب صاحبي لضياح مثلي # و ليس لداء محروم دواء

جفاني سيّد قد كان برّاً # و لم أذنب فما هذا الجفاء

حللت بداره و علمت أتي # بدار لا يخيب بها الرجاء
فلما شاب رأسي في ذراه # حجت بعقب ما بعد اللقاء[1]
فإن[2] تنأى ستور الإذن عتًا # فما نأت المحبة و الثناء
[1] كذا في أ. و في سائر الأصول: «ما يعد الرخاء» و هو تحريف.
[2] في ح: «تثني» .

و إن يك كادني ظلما عدو # فعند البحث ينكشف الغطاء
 أ لم تر أنّ بالآفاق مئا # جماجم حشو أقبها الوفاء
 و قد وصف الزمان لنا زياد[1] # و قال مقالة فيها شفاء
 ألا يا ربّ مغموم سيحظى # بدولتنا و مسرور يساء
 أ منتصر الخلائف جدت فينا # كما جادت على الأرض السماء
 وسعت الناس عدلا فاستقاموا # بأحكام عليهم الضياء
 و ليس يفوتنا ما عشت خير # كفانا أن يطول لك البقاء

قال: فقال له المنتصر: و الله إنك لمن ذوي ثقتي و موضع اختياري، و لك عندي الزلفى، فطب نفسا. قال و وصلني بثلاثة آلاف دينار.

شعر الحسين بن الضحّاك فيه:

حدّثني الصّولي قال حدّثني عون بن محمد الكنديّ قال:

لما ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحّاك فهنّأه بالخلافة
 و أنشده: تجدّدت الدنيا بملك محمد # فأهلا و سهلا بالزمان المجدّد

هي الدولة الغرّاء راحت و بكرت # مشهّرة[2] بالرّشد في كل مشهد
 لعمرى لقد شدّت عرا الدّين بيعة # أعزّ بها الرحمن كلّ موحد
 هنتك أمير المؤمنين خلافة # جمعت بها أهواء أمة أحمد

قال: فأظهر إكرامه و السرور به، و قال له: إن في بقائك بهاء للملك،
 و قد ضعفت عن الحركة، فكاتبني بحاجاتك و لا تحمل على نفسك بكثرة
 الحركة. و وصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها دينا بلغه أنه عليه.

/قال: و قال الحسين بن الضحّاك فيه و قد ركب الظهور وراءه الناس،
 و هو آخر شعر قاله: ألا ليت شعري أبدر بدا # نهارا أم الملك المنتصر

إمام تضمّن أثوابه # على سرجه قمرا من بشر
 حمى الله دولة سلطانه # بجند القضاء و جند القدر
 فلا زال ما بقيت مدّة # يروح بها الدهر أو يبتكر

/قال: و عنى فيه بنان و عريب.

[1]يريد زياد ابن أبيه و هو معروف.

[2] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «مشمرة» .

شعر يزيد المهلبي فيه:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ قال: أوّل قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن ولي الخلافة: ليهنك ملك بالسعادة طائره #
موارده محمودة و مصادره

فأنت الذي كنّا مرّجى فلم نخب # كما يرتجى من واقع الغيب باكره

بمنتصر بالله تمّت أمورنا # و من ينتصر بالله فالله ناصره

فأمر المنتصر عريب أن تغنيّ نشيدا في أوّل الأبيات و تجعل البسيط في البيت الأخير؛ فعملته و غنّته به.

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد قال: صلى المنتصر بالناس في الأضحى سنة سبع و أربعين و مائتين؛ فأنشده أبي لَمَّا انصرف: ما استشرف الناس عيدا مثل عيدهم # مع الإمام الذي بالله ينتصر

غدا بجمع كجبح الليل يقدمه # وجه أغرّ كما يجلو الدّجى القمر

يؤمّمهم صادع بالحق أحكمه # حزم و علم بما يأتي و ما يذر

لو خيرّ الناس فاختاروا لأنفسهم # أحطّ منك لما نالوه ما قدروا

قال: فأمر له بألف دينار، و تقدّم إلى ابن المكيّ أن يغنيّ في الأبيات.

غناه بنان بن عمرو بشعر مروان فأمره ألا يغني في شعر آل أبي حفصة:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال حدّثني بنان بن عمرو المغنيّ قال: غنّيت يوما بين يدي المنتصر: هل تطمسون من السماء نجومها # بأكفكم أو تسترون هلالها

فقال لي: إيّاك و أن تغنيّ بحضرتي هذا الصوت و أشباهه، فما أحبّ أن أغنيّ إلا [1] في أشعار آل أبي حفصة خاصّة.

غناء المعتز بالله:

و ممن هذه سبيله في صنعة الغناء المعتزّ بالله:

فإني لم أجد له منها شيئا إلا ما ذكره الصّوليّ في أخباره؛ فأتيت بما حكاه للعله التي قدّمها من أبيّ كرهت أن يخلّ الكتاب بشيء قد دوّنه الناس و تعارفوه. فمما ذكر أنه غنىّ فيه:

صوت

لعمرى لقد أصحرت خيلنا # بأكناف دجلة للمصعب

فمن يك مئاً بيت آمنة # و من يك من غيرنا يهرب

[1]لعله: «فما أحب أن أغني في أشعار إلخ» بحذف «إلا» ؛ لأن هذا البيت من قصيدة مشهورة لمروان بن أبي حفصة مطلعها: طرقك زائرة فحي خيالها # بيضاء تخلط بالجمال دلالتها

الشعر لعدّي بن الرّقاع. و الغناء للمعتزّ خفيف رمل. و هذه الأبيات من قصيدة لعدّي يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان و المصعب بن الزّبير بطسّوج [1] مسكن، فقتل فيها مصعب بقرية من مسكن يقال لها دير الجائليق، و ذكرته الشعراء في هذه الأبيات: لعمري لقد أصحرت خيلنا # بأكناف دجلة للمصعب

/يهزون كلّ طويل القنا # ة لدن و معتدل الثّعلب [2]

فداؤك أمّي و أبناؤها # و إن شئت زدت عليها أبي

و ما قلتها رهبة إنما # يحلّ العقاب على المذنب

/إذا شئت نازلت مستقتلا # أزاحم كالجمل الأجر

فمن يك منّا بيت آمنة # و من يك من غيرنا يهرب

[1] الطسوج: القرية أو الناحية. و طسوج مسكن: بالعراق. و دير الجائليق يقع من طسوج مسكن غربي دجلة قرب بغداد من آخر السواد و أوّل أرض تكريت.

[2] الثّعلب هنا: رأس الرمح.

14- أخبار عديّ بن الرّقاع و نسبه

نسبه:

هو عديّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرّقاع بن عصر بن عكّ [1] بن شعل [2] بن معاوية بن الحارث و هو عاملة بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أد. و أمّ معاوية بن الحارث عاملة بنت وديعة من قضاة، و بها سمّوا عاملة.

و نسبه الناس إلي الرّقاع، و هو جدّ جدّه، لشهرته؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام.

شاعر أموي اختص بالوليد بن عبد الملك جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة:

و كان شاعرا مقدّما عند بني أميّة مدّاحا لهم خاصّا بالوليد بن عبد الملك. و له بنت شاعرة يقال لها سلمى، ذكر ذلك ابن النّطّاح. و جعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام. و كان منزله بدمشق. و هو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم. و قد تعرّض لجرير و ناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتمّ بينهما مهاجاة، إلا أنّ جريرا قد هجاه تعريضا في قصيدته: حيّ الهدملة [3] من ذات المواعيس

و لم يصرّح لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه و ألجمه و حمله على ظهره، فلم يصرّح بهجائه.

ما جرى بينه و بين جرير في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني أبو خليفة إجازة قال حدّثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو الغرّاف قال: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك و هو خليفة و عنده عديّ بن الرّقاع العامليّ. فقال الوليد لجرير: أ تعرف هذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. فقال الوليد: هذا عديّ بن الرّقاع. فقال جرير: فشرّ الثياب الرّقاع، قال: ممّن هو؟ قال: العامليّ. فقال جرير: هي التي يقول [فيها] الله عزّ و جلّ **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى تَاراً حَامِيَةً**. ثم قال: يقصّر باع العامليّ عن النّدى # و لكنّ أير العامليّ طويل

فقال له عديّ بن الرّقاع:

أ أمك كانت أخبرتك بطوله # أم انت امرؤ لم تدر كيف تقول

فقال لا! بل أدري كيف أقول. فوثب العامليّ إلى رجل الوليد فقبلها و قال: أجرني منه. فقال الوليد لجرير: لئن شتمته لأسرجنك و لأجمنك حتى يركبك فيعيّرك الشعراء بذلك. فكنى جرير عن اسمه فقال: [1] كذا في

الأصول. و في شرح «القاموس» مادة (رقع) : «عدي» . و في «المقتضب» لياقوت (ص 79) : «عدة» .

[2] كذا في شرح «القاموس» و «و الاشتقاق» لابن دريد و «المقتضب» . و في الأصول: «شغل» بالغين المعجمة، و هو تصحيف.
[3] الهدملة و المواعيس: موضعان. -

إني إذا الشاعر المغرور حزّني # جار لقبر على مّران [1] مرموس
 قد كان أشوس آباء فوزّنا # شغبا على الناس في أبنائه الشّوس [2]
 أقصر فإنّ نزارا لن يفاضلها [3] # فرع لئيم و أصل غير مغروس
 و ابن اللّبون إذا ما لّر في قرن # لم يستطع صولة البزل القناعيس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك و عنده عدّي بن الرّقاع العامليّ. فقال له الوليد: أ تعرف هذا؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا ابن الرّقاع. قال فشرّ الثياب الرّقاع، فممن هو؟ قال: من عاملة. قال: أ من التي قال الله تعالى فيها: **عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلِي نَارًا خَامِيَةً** !. فقال الوليد: و الله ليركبك! /لشاعرنا و مادحنا و الرائي لمواتنا تقول هذه المقالة!! يا غلام يا كاف [4] و لجام. فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يعفيه فأعفاه. فقال: و الله لئن هجوته لأفعلنّ و لأفعلنّ. فلم يصرح بهجائه و عرّض، فقال قصيدته التي أوّلها: حيّ الهدملة من ذات المواعيس

و قال فيها يعرّض به:

قد جرّبت عركتي في كلّ معترك # غلب الأسود فما بال الصّغابيس [5]

فضل جرير عليه كثيرا في مجلس بعض الخلفاء:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السّعديّ قال: ذكر كثير و عدّي بن الرّقاع العامليّ في مجلس بعض خلفاء بني أمية، فامتروا فيهما أيهما أشعر و في المجلس جرير. فقال جرير: لقد قال كثير بيتا هو أشهر و أعرف في الناس من عدّي بن الرّقاع نفسه؛ ثم أنشد قول كثير: أ أن زمّ أجمال و فارق جيرة # و صاح غراب البين أنت حزين

قال: فحلف الخليفة لئن كان عدّي بن الرّقاع أعرف في الناس من بيت كثير ليسرجنّ جريرا و ليلجمته و ليركبني عدّي بن الرّقاع على ظهره. فكتب إلى واليه بالمدينة: إذا فرغت من خطبتك فسل الناس من الذي يقول: أ أن زمّ أجمال و فارق جيرة # و صاح غراب البين أنت حزين

و عن نسب ابن الرّقاع. فلما فرغ الوالي من خطبته قال: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أسألکم من الذي يقول: أ أن زمّ أجمال و فارق جيرة

- [1] أراد قبر تميم بن مر يمّان على أربع مراحل من مكة إلى البصرة. و حربني: أغضبني، يقال: منه حرب الرجل يحرب حربا (من باب فرح) .
- [2] الشوس (بالتحريك) : التكبر و النظر بمؤخر العين.
- [3] كذا في «ديوانه» المخطوط. و في أكثر الأصول: «لن يفاخركم» . و في س: «لن يفاخرهم» .
- [4] الإكاف: برذعة الحمار.
- [5] الغلب: جمع أغلب و هو الغليظ الرقبة. و الضغابيس: جمع ضغبوس و هو الضعيف.

/قال: فابتدروا من كل وجه يقولون: كَثِيرٌ كَثِيرٌ. ثم قال: و أمرني أن أسأل عن نسب ابن الرِّقَاع؛ فقالوا: لا ندري؛ حتى قام أعرابيٌّ من مؤخَّر المسجد فقال: هو من عاملة.

نقد محمد بن المنجم بيتا من شعره:

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجم: ما أحد ذكر لي فأحبت أن أراه فإذا رأيته أمرت بصفعه إلا عديّ بن الرِّقَاع. قلت: و لم ذلك؟ قال: لقوله: و علمت حتى ما أسائل عالما # عن علم واحدة لكي أزدادها

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلما مرّ به شيء لا يحسنه أمرت بصفعه.

جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم:

حدّثني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال: كان عديّ بن الرِّقَاع ينزل بالشام، و كانت له بنت تقول الشعر. فأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه [1] و كان غائبا؛ فسمعت بنته و هي صغيرة لم تبلغ دور وعيدهم، فخرجت إليهم و أنشأت تقول: تجمّعت من كل أوب و بلدة # على واحد لا زلتهم قرن واحد فأفحمتهم:

كان من أوصف الشعراء للمطية:

و قال عبد الله بن مسلم: و ممّا ينفرد به و يقدّم فيه وصف المطية؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها.

استحسن أبو عمرو شعره:

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا محمد بن عبّاد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أعرض أو يعرض عليه رجل بحضرتي من شعر عديّ بن الرِّقَاع، و قرأت أو قرأ هذه الأبيات: /

لو لا الحياء و أنّ رأسي قد عسا [2] # فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

/و كأنها وسط النساء أعارها # عينه أحور من جاذر جاسم

و سنان أقصده التّعاس فرثقت # في عينه سنة و ليس بنائم

فقال أبو عمرو: أحسن و الله!. فقال رجل كان يحضر مجلسه أعرابيٌّ كأنه مدنيٌّ: أما و الله لو رأيته مشبوحا بين أربعة و قضبان الدّفلى [3] تأخذه

لكنت أشدّ له استحسانا. يعني إذا كان يغنيّ به على العود.

[1] ماتنه في الشعر: عارضه.

[2] عسا: اشتد.

[3] الدفلي: نبت مرّ زهره كالورد الأحمر و حمله كالخروب

استحسن أبو عبدة بيتا له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بن المغيرة قال: كان أبو عبدة يستحسن بيت عدّي بن الرّقاع:

وسنان أقصده النّعاس فرتّت # في عينه سنة و ليس بنائم

جدّا و يقول: ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر. و في هذا الشعر غناء، نسبته:

صوت

لو لا الحياء و أن رأسي قد عسا # فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

و كأنّها وسط النساء أعارها # عينيه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده النّعاس فرتّت # في عينه سنة و ليس بنائم

المم على طلل عفا متقادم # بين الدّؤيب [1] و بين غيب النّاعم

/عروضه من الكامل. الجاذر: جمع جؤذر و هي أولاد البقر الوحشيّة. و جاسم: موضع. و يروى في هذا الشعر «عاسم» مكان «جاسم». و الوسنان: النائم، و الوسن النوم، الواحدة منه سنة. و التّريق: الدنو من الشيء يريد أن يفعله، يقال: رتّت العقاب لصيدها إذا دنت منه، و ترنيقها أيضا أن تقصّر عن الخفقان بجناحيها. و يقال: طير مرّتقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوع و مدّت أجنحتها فلم تخفق و ترجّحت. و يقال للقوم إذا قصّروا في سيرهم، و للسابح إذا قصّر في الخفق بيديه و رجليه: قد رتّقوا ترنيقا. الشعر لعدّي بن الرّقاع. و الغناء لابن مسجح خفيف ثقيل أوّل بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، و فيه ثقيل أوّل بالبنصر ينسب إليه أيضا، و ذكر الهشاميّ أنه من منحول يحيى بن المكيّ إليه.

استحسن أبو عمرو شعره و استحسن مدني الغناء به:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد الله المعروف بالحنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال: كنت عند أبي و رجل يقرأ عليه شعر عدّي بن الرّقاع. فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها: لو لا الحياء و أن رأسي قد عسا # فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

قال أبي: أحسن و الله عدّي بن الرّقاع!. قال: و عنده شيخ مدنيّ جالس، فقال الشيخ: و الله لئن كان عدّي أحسن لما أساء أبو عبّاد. قال

أبي: و من هو أبو عبّاد؟ قال: معبد. و اللّٰه لو سمعت لحنه في هذا الشعر
لكان طربك أشدّ و استحسانك له أكثر. فجعل أبي يضحك.

[1] كذا في «معجم البلدان» في الكلام عن الذؤيب و غيب الناعم. و
في الأصول: «الركيك» و هو تحريف. و الذؤيب: ماء بنجد لبني دهمان بن
نصر بن معاوية. و ذكر ياقوت أن غيب الناعم موضع في شعر عدي بن
الرقاع، و ذكر البيت.

مدح عبدة بن عبد الرحمن حين عزله الوليد فجفاه الوليد ثم

رضي عنه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن جرير عن محمد بن سلام قال: /عزل الوليد بن عبد الملك عبدة بن عبد الرحمن عن الأردنّ و ضربه و حلقه و أقامه للناس و قال/ للمتوكّلين به: من أتاه متوجّعا و أثنى عليه فأتوني به. فأتى عدّي بن الرّقاع، و كان عبدة إليه محسنا، فوقف عليه و أنشأ يقول: فما عزلوك مسبوقا و لكن # إلى الخيرات سبّاقا جوادا

و كنت أخي و ما ولدتك أمّي # وصولا باذلا لي مسترادا

و قد هيضت لنكبتك القدامى # كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثب المتوكّلون به إليه، فأدخلوه إلى الوليد و أخبروه بما جرى. فتغيّظ عليه الوليد و قال له: أ تمدح رجلا قد فعلت به ما فعلت! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إليّ محسنا، و لي مؤثرا، و بي برّا؛ ففي أيّ وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم! فقال: صدقت و كرمت! فقد عفوت عنك و عنه لك! فخذه و انصرف. فانصرف به إلى منزله.

عدّه جرير أنسب الشعراء لشعر له:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال: قال نوح بن جرير لأبيه: يا أبت، من أنسب الشعراء؟ قال له: أ تعني ما قلت؟ قال: إني لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك. قال: ابن الرّقاع في قوله: لو لا الحباء و أنّ رأسي قد عسا # فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

الثلاثة الأبيات. ثم قال لي: ما كان يبالي أن لم يقل بعدها شيئا.

عجب جرير من توفيقه في تشبيهه دقيق:

أخبرني الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ قال: قال جرير: سمعت عدّي بن الرّقاع ينشد:

ترجي أغنّ كأنّ إبرة روقه [1]

/فرحمته من هذا التشبيه فقلت: بأيّ شيء يشبّهه ترى! فلما قال: قلم أصاب من الدّواة مدادها
رحمت نفسي منه

تابع روح بن زنباع ثم خالفه و تابع نائل بن قيس في نسبهم:
أخبرني اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبّيد الله عن ابن حبيب عن أبي
عبّدة قال: مال روح بن زنباع الجذاميّ إلى يزيد بن معاوية لمّا فصل بين
الخطبتين فقال: يا أمير المؤمنين، ألحقنا [1]الروق: القرن.

بإخوتنا من معدّ فإنّا معدّيون، و الله ما نحن من قصب الشام و لا من زعاف [1] اليمن. فقال يزيد: إن أجمع قومك على ذلك جعلناك حيث شئت. فبلغ ذلك عدّي بن الرّقاع فقال: إنّنا رضينا و إن غابت جماعتنا # ما قال سيّدنا روح بن زنباع

يرعى ثمانين ألفا كان مثلهم # ممّا يخالف أحيانا على الرّاعي

قال: فبلغ ذلك نائل بن قيس الجذاميّ، فجاء يركض فرسه حتى دخل المقصورة في الجمعة الثانية. فلمّا قام يزيد على المنبر، وثب فقال: أين الغادر الكاذب روح بن زنباع؟! فأشاروا إلى مجلسه. فأقبل عليه و على يزيد ثم قال: يا أمير المؤمنين، قد بلغني ما قال لك هذا، و ما نعرف شيئا منه و لا نقرّ به، و لكنّا قوم من قحطان يسعنا ما يسعهم و يعجز عنّا ما يعجز عنهم. فأمسك روح و رجع عن رأيه. فقال عدّي بن الرّقاع في ذلك: أضلال ليل ساقط أكنافه # في الناس أعذر أم ضلال نهار

قحطان والدنا الذي ندعى له # و أبو خزيمة خندف بن نزار

/أ نبيع والدنا الذي ندعى له # بأبي معاشر غائب متواري

تلك التجارة لا زكاء لمثلها # ذهب يباع بآنك [2] و إبار

/فقال له يزيد: غيّرت يا ابن الرّقاع. قال: إنّ نائلا و الله عليّ أعزّهما سخطا، و أنصحهما لي و لعشيرتي. قال أبو عبيدة: الإبار: جمع إبرة.

ما كان بينه و بين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم: أن الأحوص و ابن سريج قدما المدينة [3]، فنزلا في بعض الخانات ليصلحا من شأنهما، و قد قدم عدّي بن الرّقاع و كانت هذه حاله، فنزل عليهما. فلما كان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث؛ فقال عدّي بن الرّقاع لابن سريج: و الله لخروجنا كان إلى أمير المؤمنين أجدي علينا من المقام معك يا مولى بني نوفل. قال: و كيف ذلك؟ قال: لأنك توشك أن تلهينا فتشغلنا عمّا قصدنا له. فقال له ابن سريج: أو قلّة شكر أيضا!. فغضب عدّي و قال: أنك لتمنّ علينا أن نزلنا عليك؛ و إني أعاهد الله ألا يظلني و إباك سقف إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين. و خرج من عندهما. و قدم الوليد من باديته فأذن لهما فدخلا. و بلغه خبر ابن الرّقاع و ما جرى بينه و بين ابن سريج؛ فأمر بآبن سريج فأخفي [4] في بيت و دعا بعديّ فأدخله؛ فأنشده قصيدة امتدحه بها. فلما فرغ، أوما إلى بعض الخدم فأمر ابن سريج فغنى

في شعر عدّيّ بن الرّقاع يمدح الوليد: عرف الديار توّهّما فاعتادها # من بعد ما شمل البلى أبلادها[5]

[1] كذا في الأصول: و لعله «من رعان اليمن» أي جبالها أو «من زعانف اليمن» .

[2] الآنك: الرصاص.

[3] كذا في الأصول. و الأخرى أن تكون «دمشق» إذ المعروف أن دمشق كانت عاصمة ملك بني أمية التي كان يقصد إليها الرّواد و الوافدون و بها ينزلون.

[4] كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «فأدخل» .

[5] اعتادها: أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها. و شمل: عم. و الأبلاد: الآثار.

/فطرب عدِيّ و قال: لا و الله ما سمعت يا أمير المؤمنين بمثل هذا
قطّ و لا ظننت أن يكون مثله طيبا و حسنا. و لو لا أنه في مجلس أمير
المؤمنين لقلت طائف من الجنّ. أ يأذن لي أمير المؤمنين أن أقول؟ قال:
قل. قال: مثل هذا عند أمير المؤمنين و هو يبعث إلى ابن سريج يتخطى به
قبائل العرب فيقال: ابن سريج المغنّي مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين
إليه!. فضحك ثم قال للخادم: أخرجني فخرج. فلما رآه عدِيّ أطرق خجلا ثم
قال: المعذرة إلى الله و إليك يا أخي، فما ظننت أنك بهذه المنزلة، و إنك
لحقيق أن تحتمل على كل هفوة و خطيئة. فأمر لهم الوليد بمال سوّى بينهم
فيه، و نادهم يومئذ إلى الليل.

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر و سائر ما مضى في أخبار
عدي قبله من الأشعار التي فيها غناء:

صوت

عرف الدّار توّهما فاعتادها # من بعد ما شمل البلى أبلادها

إلا رواكد كلّهن قد اصطلى # حمراء أشعل أهلها إيقادها

عروضه من الكامل. الشعر لعديّ بن الرّقاع. و الغناء لابن محرز خفيف
ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أفحمة كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك:

أخبرني عيسى بن الحسين الرّواق قال حدّثني أحمد بن الهيثم بن
فراس قال حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عدِيّ قال:

أنشد عدِيّ بن الرّقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أوّلها:

عرف الدبار توّهما فاعتادها

و عنده كثير و قد كان يبلغه عن عدِيّ أنه يطعن على شعره و يقول:
هذا شعر حجازيّ مقرر إذا أصابه قرّ الشّام جمد و هلك. فأنشده إيّاها حتى
أتى على قوله:

/

و قصيدة قد بتّ أجمع بينها # حتى أقوم ميلها و سنادها[1]

فقال له كثير: لو كنت مطبوعا أو فصيحاً أو عالماً لم تأت فيها بميل و
لا سناد فتحتاج إلى أن تقومها. ثم أنشد:

نظر المثقّف في كعوب قناته # حتى يقيم ثقافه منأدها

فقال له كثير: لا جرم أنّ الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، و لأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها.

ثم أنشد:

و علمت حتى ما أسائل واحدا # عن علم واحدة لكي أزدادها

فقال كثير: كذبت و ربّ البيت الحرام! فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك. و ما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظنّ هذا بنفسك. فضحك الوليد و من حضر، و قطع بعديّ بن الرّقاع حتى ما نطق.

[1] يريد بالسناد هنا عيبا في الشعر. و السناد في اصطلاح العروضيين هو اختلاف الحرف الذي قبل الردف بالفتح و الكسر. و الردف هو حرف اللين الذي قبل الروي. (انظر الكلام عليه في «العقد الفريد» ج 3 ص 222-223 طبع بولاق، و «اللسان» مادة «سند») .

15- أخبار المعتز في الأغاني و مع المغنين و ما جرى هذا المجرى

شعره في جارية يهاها:

حدّثني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر[1] قال حدّثني جدّي حمدون بن إسماعيل قال: اصطحب المعتزّ في يوم ثلاثاء و نحن بين يديه ثم وثب فدخل، و اعترضته جارية كان يحبّها و لم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبّلها و خرج؛ فحدّثني بما كان و أنشدني لنفسه في ذلك:

صوت

إني قمرتك يا سؤلي و يا أمني # أمرا مطاعا بلا مطل و لا علل
حتّى متى يا حبيب النفس تمطلني # و قد قمرتك[2] مرّات فلم تف لي
يوم الثلاثاء يوم سوف أشكره # إذ زارني فيه من أهوي على عجل
فلم أنل منه شيئا غير قبلته # و كان ذلك عند أعظم الثقل

قال: و عمل فيه لحن خفيف و شربنا عليه سائر يومنا. الغناء في هذه الأبيات لعريب رمل عن الهشاميّ. و لأبي العبيس في الثالث و الرابع هزج.

طارحه بنان المغني في بيت من الشعر و تغنى فيه:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلبيّ قال حدّثني أبي قال: كان المعتزّ يشرب على بستان مملوء من التّمّام[3] و بين التّمّام شقائق النعمان، فدخل إليه يونس بن بغا و عليه قباء أخضر؛ فقال المعتزّ:

صوت

شبّهت حمرة خدّه في ثوبه # بشقائق النّعمان في التّمّام

ثم قال: أجزوا. فابتدر بنان المغنّي، و كان ربّما عبث بالبيت بعد البيت، فقال: و القدّ منه إذا بدا في قرطق[4] # كالغصن في لين و حسن قوام فقال له المعتزّ: فغنّ فيه الآن، فعمل فيه لحنا. لحن بنان في هذين البيتين من خفيف الثقيل الثاني و هو الماخوريّ.

[1] في الأصول: «محمد بن علي بن نصر». و قد تقدّم هذا الاسم غير مرة كما أثبتناه.

[2] كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «قصدتك» .

[3]النمام: نبت ورقة كالسذاب عطريّ قويّ الرائحة. سمي بذلك لسطوع رائحته.

[4]القرطق: قباء ذو طاق واحد (معرب) .

أخبر بوفاة أم يونس بن بغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال: شرب المعتزّ و يونس بن بغا بين يديه يسقيه و الجلساء و المغنّون بين يديه و قد أعدّ الخلع و الجوائز، إذ دخل بغا فقال: يا أمير المؤمنين، /والدة عبدك يونس في الموت و هي تحبّ أن تراه؛ فأذن له فخرج. و فتر المعتزّ و نعس بعده، و قام الجلساء و تفرّق المغنّون، إلى أن صليت المغرب، و عاد المعتزّ إلى مجلسه، و دخل يونس و بين يديه الشموع. فلما رآه المعتزّ دعا برطل فشربه و سقى يونس رطلا و غناه المغنّون، و عاد المجلس أحسن ما كان؛ فقال المعتزّ:

صوت

تغيب فلا أفرح # فليتك ما تبرح
و إن جئت عدّبتني # بأئك لا تسمح
فأصبحت ما بين ذب # ن لي كبد تجرح
على ذاك يا سيّدي # دنوك لي أصلح

ثم قال: غنّوا فيه، فجعلوا يفكّرون. فقال المعتزّ لسليمان بن القصار الطنبوريّ: ويلك! ألحان الطنبور أملح و أخفّ فغنّ فيه أنت؛ فغنّي فيه لحنا؛ فدفع إليه دنانير/الخريطة و هي مائة دينار مكّيّة و مائتان مكتوب على كلّ دينار منها «ضرب هذا الدينار بالجوسق بخريطة»[1] أمير المؤمنين المعتزّ بالله» ثم دعا بالخلع و الجوائز لسائر الناس، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس.

لحن سليمان بن القصار في هذه الأبيات رمل مطلق.

لما قتل بغا هنأه الناس بالظفر:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد السميع الهاشميّ قال حدّثني أبي قال: لمّا قتل بغا[2] دخلنا فهنأنا المعتزّ بالظفر، فاصطبح و معه يونس بن بغا، و ما رأينا قطّ وجهين اجتمعا أحسن من وجهيهما. فما مضت ثلاث ساعات حتى سكر، ثم خرج علينا المعتزّ فقال: ما إن ترى منظرا إن شئتة حسنا # إلا صريعا يهادى[3] بين سكرين

سكر الشراب و سكر من هوى رشأ # تخاله و الذي يهواه غصنين

[1]لعله: «لخريطة أمير المؤمنين» أي ضربت لخزائنه الخاصة.

[2]هو أحد قوَاد الأتراك المبرزين و قد اشترك في قتل المتوكل بدسيسة من ابنه المنتصر، و كان يتولى الحرس ليلة قتل فسهل للقتلة الدخول للقصر. خدم عدّة خلفاء في الدولة العباسية. و جفاه المعتز فوكل به وليدا المغربي فقتله غيلة و حمل رأسه إليه، فوهبه عشرة آلاف دينار و خلع عليه خلعة، و نصب رأسه بسامرا ثم ببغداد. (راجع الطبري القسم الثالث ص 1458-1461، 1694-1497).

[3]جاء فلان يهادي بين اثنين مهادة (بالبناء للمفعول) : جاء يتمايل.

ثم أمر فتعنى فيه بعض المغنّين.

قصة المعتز و يونس بن بغا مع ديراني:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخراسانيّ قال حدّثني الفضل بن العباس [1] بن المأمون قال: /كنت مع المعتزّ في الصيد، فانقطع عن الموكب و أنا و يونس بن بغا معه، و نحن بقرب قنطرة [2] و صيف، و كان هناك دير فيه ديرانيّ يعرفني و أعرفه، نظيف ظريف مليح الأدب و اللفظ. فشكا المعتزّ العطش. فقلت: يا أمير المؤمنين، في هذا الدير ديرانيّ أعرفه خفيف الروح لا يخلو من ماء بارد، أ فترى أن نميل إليه؟ قال نعم. فجئناه فأخرج لنا ماء بارداً، و سألني عن المعتزّ و يونس فقلت: فتیان من أبناء الجند؛ فقال: بل مفلتان من حور الجنّة.

فقلت له: هذا ليس في دينك. فقال: هو الآن في ديني. فضحك المعتزّ. فقال لي الدّيرانيّ: أ تأكلون شيئاً؟ قلت نعم. فأخرج شطيرات و خبزا و إداما نظيفا، فأكلنا أطيب أكل، و جاءنا بأطراف [3] أشنان. فاستظرفه المعتزّ و قال لي: قل له فيما بينك و بينه: من تحبّ أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له، فقال: «كلاهما [4] و تمرا» .

فضحك المعتزّ حتى مال على حائط الدّير. فقلت للدّيرانيّ: لا بدّ من أن تختار. فقال: الاختيار و الله في هذا دمار، و ما خلق الله عقلا يميّز بين هذين. و لحقهما الموكب، فارتاع الدّيرانيّ. /فقال له المعتزّ: بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه، فأبّي لمن ثمّ مولى و لمن هاهنا صديق. فمزحنا ساعة؛ ثم أمر له بخمسمائة [5] ألف درهم. فقال [6]: و الله ما أقبلها إلا على شرط. قال: و ما هو؟ قال: يجيب/ أمير المؤمنين دعوتي مع من أراد. قال: ذلك لك. فاتّعدنا ليوم جئناه فيه، فلم يبق غاية، و أقام للموكب كله ما احتاج إليه، و جاءنا بأولاد النصارى يخدموننا. و وصله المعتزّ يومئذ صلة سنّية؛ و لم يزل يعتاده و يقيم عنده.

ولي الخلافة و له سبع عشرة سنة، و شعره في ذلك:

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا عبد الله بن المعتزّ قال:

بوع للمعتزّ بالخلافة و له سبع عشرة سنة كاملة و أشهر. فلما انقضت البيعة قال: توخّدي الرحمن بالعزّ و العلا # فأصبحت فوق العالمين أميرا

[1] كذا في «مسالك الأبصار» (حـ 1 ص 282 طبع دار الكتب المصرية) و «معجم البلدان» في كلامهما عن دير مرمارو في «معجم

البلدان» : «دير مرماري» بياء-و في الأصول: «العباس بن المفضل بن المأمون» . و ذكر اليعقوبي في تاريخه أن المأمون خلف من الولد الذكور ستة عشر و ذكر منهم «العباس» و «الفضل» .

[2] كذا في ج و «مسالك الأبصار» . و في سائر الأصول: منظره وصيف» .

[3] كذا في ح. و في سائر الأصول: «بأظرف إنسان» و هو تحريف.

[4] في «مسالك الأبصار» : «فقال: كلاهما» بدون «و تمرا» . و «كلاهما و تمرا» مثل قائله عمرو بن حمران و قد مر به رجل أضر به العطش و السغوب و بين يديه زبد و تامك و تمر. فقال له الرجل: أطعمني من هذا الزبد و التامك. فقال عمرو: «نعم كلاهما و تمرا» فصارت مثلا في زيادة الإكرام. أي لك كلاهما و أزيد تمرا. و يروي «كليهما و تمرا» بالنصب على تقدير فعل محذوف أي أطعمك.

[5] في «مسالك الأبصار» : «بخمسين ألف درهم» .

[6] في الأصول: «فقبلها فقال... إلخ» بزيادة كلمة «فقبلها» . و ظاهر أنها من زيادات النسخ، إذ يابها سياق الكلام، و ليست موجودة في «مسالك الأبصار» .

هكذا ذكر الصّوليّ في قافية الشعر. و وجدته في أغاني بنان مرفوع القافية، و له فيه صنعة. و لعلّ المعترّ قال البيت، فأضاف بنان إليه آخر و جعل المخاطبة عن نفسه للمعترّ فقال:

صوت

توحدك الرحمن بالعز و العلا # فأنت على كل الأنام أمير

تقاتل عنك التّرك و الخزر كلّها # كأنهم أسد لهنّ زئير

الغناء لبنان[لحنان][1] خفيف ثقيل و خفيف رمل. و مما قاله المعترّ و غنّى فيه قوله-ذكر الصّوليّ أن عبد الله بن المعترّ أنشده إيّاه لأبيه:-

صوت

ألا حيّ الحبيب فدته نفسي # بكأس من مدامة خانقينا[2]

فإني قد بقيت مع الليالي # أفاسي الهمّ في يده سنيانا

الغناء فيه لعريب خفيف رمل، و لبنان هزج.

/و ممّن ذكر أن له صنعة من الخلفاء المعتمد.

غناء المعتمد:

قال محمد بن يحيى الصّوليّ ذكر عبد الله بن المعترّ عن القاسم بن زررور أن المعتمد ألقى عليه لحناً صنعه في هذا الشعر و هو: ليس الشّفيع الذي يأتيك مؤتيراً # مثل الشّفيع الذي يأتيك عريانا

الشعر للفرزدق. و الغناء للمعتمد، و لحنه فيه خفيف ثقيل. هذه حكاية الصّوليّ. و في غناء عريب: لها في هذا البيت خفيف ثقيل. و لا أعلم لمن هو منهما على صحة، إلا أنّ المشهور في أيدي الناس أنه لعريب. و لم أسمع للمعتمد غناء إلا من هذه الجهة التي ذكرتها.

[1]زيادة عن حـ.

[2]خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد.

16- ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره

لأن أخباره كثيرة جدًا، فكرهت أن أثبتها هاهنا في غناء مشكوك فيه، فذكرت نسبه و خبره في هذا الشعر خاصة، و أخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه

نسبه:

الفرزدق لقب غلب عليه. و اسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك [بن حنظلة بن مالك] بن زيد مناة بن تميم.

هو و جرير و الأخطل أشعر طبقات الإسلاميين:

و هو و جرير و الأخطل أشعر/طبقات الإسلاميين و المقدم في الطبقة الأولى منهم. و أخباره تذكر مفردة في موضع آخر يتسع لها، و نذكر هاهنا في هذا المعنى. فأخبرني خبره في ذلك جماعة. فممن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة، و أخبرني به أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، و أخبرني به محمد ابن العباس اليزيدي عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة و ابن الأعرابي، قال عمر بن شبة خاصة في خبره حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبي:

حديث الفرزدق و النوار و ذمه بني قيس و زهيرا و بني أم النسير لمعاونتهم إياها:

أن عبد الله بن الزبير تزوج تماضر بنت منظور بن زيان، و أمها مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة، فخاصم الفرزدق امرأته النوار إلى ابن الزبير. هكذا ذكر محمد بن يحيى و لم يذكر السبب في الخصومة، و ذكرها عمر بن شبة و لم يروها عن أحد، و ذكرها ابن حبيب عن أصحابه، و ذكرها أبو عسان دماذ عن أبي عبيدة: أن رجلا من بني أمية خطب النوار بنت أعين المجاشعية، فرضيته و جعلت أمرها إلى الفرزدق. فقال لها: أشهدي لي بذلك على نفسك شهودا ففعلت، و اجتمع الناس لذلك. فتكلم الفرزدق ثم قال: اشهدوا أنني قد تزوجتها و أصدقته كذا و كذا، فأنا ابن عمها/و أحق بها. فبلغ ذلك النوار فأبته و استترت من الفرزدق و جزعت و لجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقرى. فقال فيها:

بني عاصم لا تلجئوها فإنكم # ملاجئ للسوءات دسم العمائم [1]

بني عاصم لو كان حيا أبوكم # للام بنيه اليوم قيس بن عاصم

فقالوا: و الله لئن زدت على هذين البيتين لتقتلنك غيلة. فنافرته إلى عبد الله بن الزبير و أرادت الخروج إليه؛ فتحامى الناس كراءها. ثم إن رجلا

من بني عديّ يقال له زهير بن ثعلبة و قوما يعرفون ببني أمّ النّسير أكروها!
فقال الفرزدق:

[1]دسمت عمائمهم، أي و سخت و قدرت. -

و لو لا أن تقول بنو عديّ # أ ليست أمّ حنظلة النّوار

أتتكم يا بني ملكان عديّ # قواف لا تقسّمها[1]التّجار

يعني بالنّوار ها هنا بنت جلّ [2]بن عديّ بن عبد مناة و هي أمّ حنظلة بن مالك بن زيد مناة و هي إحدى جدّاته. و قال فيها أيضا: سرى بالنّوار عوهجيّ [3]يسوقه # عبيد قصير الشّبر [4]نائبي الأقارب

تؤمّ بلاد الأمن دائبة السّرى # إلى خير وال من لؤيّ بن غالب

فدونك عرسى [5]تبتغي نقض عقديّ # و إبطال حقيّ باليمين الكواذب

/و قال أيضا:

و لو لا أنّ أمّي من عديّ # و أني كاره سخط الرّباب

إذا لأنى الدواهي [6]من قريب # جزاء غير منصرف العقاب

و صلت على بني ملكان مئيّ # بجيش غير منتظر الإياب [7]

و قال لزهير أيضا:

لبئس العباء يحمله زهير # على أعجاز صرّمته [8]نوار

/لقد أهدت وليدتنا إليكم # عوائر [9]لا تقسّمها التّجار

و قال لبني أمّ التّسير:

لعمريّ لقد أردى النّوار و ساقها # إلى الغور أحلام خفاف عقولها

أطاعت بني أمّ التّسير فأصبحت # على قتب يعلو الفلاة دليها

و قد سخطت مئيّ النّوار الذي ارتضى # به قبلها الأزواج خاب رحيلها

[1]لعله يريد أن التّجار يروونها كلها في رحلاتهم لا ينقصون منها شيئا لوجودتها، فلا يختارون بعضها دون بعض لأنها كلها جيدة مختارة.

[2]كذا في «شرح القاموس» مادة «جلل» و «النقائض» ص 804 و في الأصول: «حل» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

[3]عوهجي: طويل العنق. يريد جملا.

[4]كذا في أ، م: و «النقائض». و قصير الشير: متقارب الخطو. و نائي الأقارب: غريب بعيد عن أهله. و في سائر الأصول: «السير» بالسّين المهملة و هو تصحيف.

[5]كذا في «النقائض»، و قد ورد فيها البيت هكذا:

فدونك عرسي تبغني نقض عهدي # و إبطال حقي بالمنى و الأكاذب

و في الأصول: «فدونك أرشا» و هو تحريف.

[6] كذا في «النقائض» . و في الأصول: «الزواهر» و هو تحريف.

[7] لعله يريد أنه يغزو و يحتل فلا يعود و لا ينتظر إياه.

[8] الصرمة: القطعة من الإبل نحو الثلاثين.

[9] عواثر: سوائر. يريد قصائده.

و إن امرأ أمسى تحبب زوجتي # كماش إلى أسد الشرى يستبيلها[1]
 و من دون أبوال الأسود بسالة # و بسطة أيد يمنع الصيم طولها
 و إن أمير المؤمنين لعالم # بتأويل ما أوصى العباد رسولها
 فدونهاها يا ابن الزبير فإنها # مولعة يوهي الحجارة قيلها

استشفعت النوار إلى ابن الزبير امرأته فاستشفع هو بابنه حمزة:

فلما قدمت مكة نزلت على بنت منظور بن زبّان، و استشفعت بها إلى
 زوجها عبد الله. و انضم الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزبير، و أمّه
 بنت منظور هذه، و مدحه فقال: /

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتي # إن المنوّه باسمه الموثوق

الأبيات. و قال فيه أيضا:

يا حمز هل لك في ذي حاجة عرضت[2] # أنضأه بمكان غير ممطور
 فأنت أحرى قريش أن تكون لها # و أنت بين أبي بكر و منظور
 بين الحواري و الصديق في شعب # نبتن في طيب الإسلام و الخير

هذه الأبيات كلّها من رواية أبي زيد خاصة. قالوا جميعا: و قال في
 النوار: هلمّي لابن عمك لا تكوني # كمختار على الفرس الحمارا
 و قال فيها أيضا:

تخاصمني النوار و غاب فيها # كرأس الصبّ يلتمس الجرادا

قال أبو زيد في خبره خاصة: فجعل أمر الفرزدق يضعف و أمر النوار
 يقوى. و قال الفرزدق: أمّا بنوه[3] فلم تقبل شفاعتهم # و شفعت بنت
 منظور بن زبّانا

صوت

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتترا # مثل الشفيع الذي يأتيك عربانا

-عنت في هذا البيت عريب خفيف ثقيل أول بالبنصر- فبلغ ابن الزبير
 هذا فدعا النوار فقال: إن شئت فرقت بينكما و قتلته فلا يهجوننا أبدا، و إن
 شئت سيرته إلى بلاد العدو. فقالت: ما أريد واحدة منهما. قال: فإنه ابن
 عمك و هو فيك راغب، أ فأزوجه إياك؟ قالت نعم. فزوجه إياها. فكان
 الفرزدق يقول: خرجنا متباعضين و رجعنا متحابين.

[1] كذا في ج: و «اللسان» مادة «بول» أي يأخذ بولها في يده. و في الأصول: «يستغليها» بالعين المعجمة، و هو تحريف.

[2] كذا في «ديوانه» . و في الأصول: «عرضت» بالعين المهملة. و غرض بالمكان: مل و ضجر. و الأنضاء: جمع نضو و هو المهزول من الإبل.

[3] كذا في ج و «النقائض» . و في سائر الأصول: «بنوك» .

هدده ابن الزبير و غيره جلاء قومه تميم عن البيت فقال في ذلك شعرا:

أخبرني أحمد قال حدّثني عمرو بن شبة قال قال عثمان بن سليمان:

شهدت الفرزدق يوم نازع الثّوار فتوجّه القضاء عليه، فأشفق من ذلك و تعرّض لابن الزّبير بكلام أغضبه، و كان ابن الزّبير حديدا. فقال له ابن الزّبير: أيا ألام الناس! و هل أنت و قومك إلا جالية العرب! و أمر به/ فأقيم. و أقبل علينا فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة و خمسين سنة فاستلبوه؛ و أجمعت العرب عليها لما انتهكت ما لم ينتهكه أحد قط فأجلتها من أرض تهامة. فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال: هيه! يعيرنا ابن الزّبير جلاءنا[1] عن البيت! اسمع! ثم قال:

فإن تغضب قريش ثم تغضب # فإنّ الأرض ترعاها[2] تميم

هم عدد النجوم و كلّ حيّ # سواهم لا تعدّ لهم نجوم

فلو لا بنت[3]مّر من نزار # لما صحّ المنابت و الأديم

بها كثر العديد و طاب منكم # و غيركم أحد[4]الزّيش هيم

فمهلا عن تدلّل من عززتم # بخولته و عزّ به الحميم

أعبد الله مهلا عن ذاتي # فإبّي لا الضعيف و لا السّئوم

و لكنّي صفاة لم تؤبّس[5] # تزلّ الطير عنها و العصوم[6]

/أنا ابن العاقر الخور[7]الصّفايا # بصوّر[8]حيث فتّحت العكوم[9]

و ذكر الزّبير بن بكار عن عمه أن عبد الله بن الزّبير لمّا حكم على الفرزدق قال: إنّما حكمت عليّ بهذا لأفارقها فتشبّ عليها؛ و أمر به فأقيم، و قال له ما قال في بني تميم. قال: ثم خرج عبد الله بن الزّبير إلى المسجد فرأى الفرزدق في بعض طرق مكة و قد بلغت أبياته التي قالها، فقبض ابن الزّبير على عنقه فكاد يدقّها، ثم قال: [1] في الأصول: «أ يعيرنا ابن الزبير بجلائنا» و هي لغة رديئة.

[2] كذا صححها الأستاذ الشنقيطي في نسخته. و في ج: «ترغيبها» و هو تصحيف عن «ترعيبها». و في سائر الأصول: «ترضاها» و هو تحريف.

[3] كذا صححها الأستاذ الشنقيطي. و في الأصول: «نبت» و هو

تصحيف.

[4]أخذ الريش: قصيره. و الهيم: العطاش. و لعله يكنى بذلك عن الضعف و الذلة.

[5]كذا في ج و نسخة الشنقيطي. و تؤبس: تكسر. و في سائر الأصول: «تؤنس» بالنون، و هو تصحيف.

[6]لعله جمع عصم (بالضم) الذي هو جمع عصماء. و العصم الطباء.

[7]كذا صحها الأستاذ الشنقيطي. و الخور: جمع خوّارة، و هي الغزيرة اللبن من النوق و الشاء، على غير قياس. و في ج: «الجول» .

و الجول: الجماعة من الإبل. و في سائر الأصول: «الخور» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

[8]صوَأر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام، و هو الماء الذي تعاقر عليه غالب بن صعصعة أبو الفرزدق و سحيم بن وثيل الرياحي، و كان قد عقر غالب ناقة و فرقها على بيوت الحي، و جاء إلى سحيم منها بجفنة، فغضب سحيم وردّها فقام و عقر ناقة؛ فعقر غالب أخرى و تعاقرا حتى أقصر سحيم.

[9]العكوم: جمع عكم، و هو العدل (بكسر العين) أو الكارة و هي وعاء الثياب و الطعام. لعله يريد أنه ينهب ما تحمله هذه النوق ثم يذبحها.

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا # و لو رضيت رمح استه [1] لاستقرت

قال الزبير: و هذا الشعر لجعفر بن الزبير.

ما كان بينه و بين ابن الزبير بعد ما قال له ما حاجتك بالنوار و قد كرهتك:

أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال أخبرنا إبراهيم بن حبيب السهيد قال: قال ابن الزبير للفرزدق: ما حاجتك بها و قد كرهتك! كن لها أكره و خلّ سبيلها. فخرج و هو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا ليثب عليها. فبلغ ذلك ابن الزبير فخرج و قد استهلّ هلال ذي الحجة و لبس ثياب الإحرام يريد البيت الحرام، فألفى الفرزدق بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه و قال: لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا # و لو رضيت رمح استه لاستقرت

قال الزبير: و هذا البيت لجعفر بن الزبير.

هجاه جعفر بن الزبير فنهاه أخوه عن ذلك:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال: لمّا قال الفرزدق في ابن الزبير:

أمّا بنوه فلم تقبل شفاعتهم # و شفّعت بنت منظور بن زبّانا

قال جعفر بن الزبير:

ألّا تلکم عرس الفرزدق جامحا # و لو رضيت رمح استه لاستقرت

فقال عبد الله بن الزبير: أ تجزرنّا كلبا [2] من كلاب بني تميم! لئن عدت لم أكلمك أبدا.

قال: و تماضر التي عنها الفرزدق أمّ حبيب و ثابت ابني عبد الله بن الزبير. و ماتت عند عبد الله، فتزوج أختها أمّ هاشم فولدت له هاشما و حمزة و عبّادا.

قال: و في أمّ هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزبير و يشكو طول مقامه: تروّحت الرّكبان يا أمّ هاشم # و هنّ مناخات لهنّ حين

و خيسن [3] حتى ليس فيهنّ نافع # لبيع و لا مركوبهن سمين

قال: و هذا يدلّ على أن النّوار كانت استعانت بأمّ هاشم لا بتماضر.

فلما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زياد فأعانه:

فما أذنت النوار لعبد الله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرة آلاف درهم. فسأل: هل بمكة أحد يعينه؟ فدلّ على سلم بن زياد، و كان ابن الزبير حبسه، فقال فيه: [1] رمح الاست: الكناية فيه واضحة.

[2] يقال: أجزرت القوام إذ أعطيتهم شاة يذبحونها. يريد: أتعرض أعراضنا للفرزدق ينهشها.

[3] خيسن: لم يسرّحن.

دعي مغلقي الأبواب دون فعالهم # و مَرِّي تَمَشِّي بي-هبلت-إلى سلم
إلى من يرى المعروف سهلا سبيله # و يفعل أفعال الكرام التي تنمي

/ثم دخل على سلم فأنشده. فقال له: هي لك و مثلها نفقتك، ثم أمر
له بعشرين ألفا فقبضها. فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عثمان
بن أبي العاصي الثقفي: أ تعطي عشرين ألفا و أنت محبوس! فقال: ألا
بكرت عرسي تلوم سفاهة # على ما مضى مني و تأمر بالبخل

فقلت لها و الجود مني سجيّة # و هل يمنع المعروف سوّاله مثلي
ذريني فإني غير تارك شيمتي # و لا مقصر عن السّماحة و البذل
و لا طارد ضيفي إذا جاء طارقا # فقد طرق الأضياف شيخي من قبلي
أ أبخل! إنّ البخل ليس بمخلد # و لا الجود يدنيني إلى الموت و القتل
أبيع بني حرب بآل خويلد[1] # و ما ذاك عند الله في البيع بالعدل
و أشري[2] ابن مروان الخليفة طائعا # بنجل بني العوّام! قبح من نجل
فإن تطهروا لي البخل آل خويلد # فما دلّكم دلي و لا شكلكم شكلي
و إن تقهروني حيث غابت عشيرتي # فمن عجب الأيام أن تقهروا مثلي

لم تحسن النوار عشرته فتزوّج عليها حدراء بنت زيق و مدحها و ذمّ النوار:

قال دماذ في خبره: ثم اصطلحا و رضيت به، و ساق إليها مهرها و
دخل بها و أحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها و هما عديلان في
محمل. فكانت لا تزال تشارّه و تخالفه، لأنها كانت سالحة حسنة الدّين و
كانت تكره كثيرا من أمره. فتزوّج عليها حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس
بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام بن
مرة بن زهل بن شيبان، فتزوّجها على مائة من الإبل. فقالت له النّوّار:
ويلك! تزوّجت أعرابيّة دقيقة السّاقين بوّالة على عقبيها على مائة بعير!
فقال الفرزدق يفضّلها عليها و يعيّرُها أنها كانت تربّيها أمة: /

لجارية بين السّليل عروقها # و بين أبي الصّهباء[3] من آل خالد
أحقّ بإغلاء المهور من التي # ربت و هي تنزو في حجور الولايد

و مدحها أيضا فقال:

/

عقيلة من بني شيبان ترفعها # دعائم للعلى من آل همّام

من آل مرّة بين المستضاء بهم # من رهط صيد مصاليت و حكّام
بين الأحوص[4] من كلب مركّبها # و بين قيس بن مسعود و بسطام

[1]خوبلد: هو الجد الثاني لابن الزبير.

[2]أشري: أبيع.

[3]أبو الصهباء: يعني بساطم بن قيس. و السليل: هو السليل بن قيس
أخو بسطام.

[4]الأحوص: عوف و عمرو و شريح و ربيعة، أولاد الأحوص بن جعفر
بن كلاب.

و قال أيضا يمدحها و يعرّض بالنّوار:

لعمري لأعرايية في مظلة [1] # تطلّ بأعلى [2] بيتها الرّيح تخفق

كأمّ غزال أو كدرّة غائص # إذا ما أنت مثل الغمامة تشرق

أحبّ إلينا من ضناك [3] صفّته # إذا وضعت عنها المراوح تعرق

فقال بعض [4] باهلة يجيبه:

أعوذ بالله من غول مغوّلة # كأنّ حافرها في الحدّ ظنوب [5]

تستروح الشاة من ميل إذا ذبحت # حبّ اللّحم كما يستروح الذّئب

هاجاه جرير بإغراء النّوار:

و أغضب الفرزدق النّوار بمدحه إيّاها، فقالت: و الله لأخزيتك يا فاسق!
و بعثت إلى جرير فجاءها؛ فقالت: أ لا ترى ما قال لي الفاسق! و شكّنت إليه.
فقال: /

فلا أنا معطي الحكم عن شفّ [6] منصب # و لا عن بنات الحنظليين راغب

و هنّ كماء المزن يشفى به الصّدى # و كانت ملاحا غيرهنّ المشارب

لقد كنت أهلا أن تسوق دياتكم [7] # إلى آل زيق أن يعيبك عائب

و ما عدلت ذات الصّليب [8] طعينة # عتبية و الرّدفان منها و حاجب

ألا ربّما لم نعط زيقا بحكمه # و أدّى إلينا الحكم و الغلّ [9] لأرب

[1] المظلة (بفتح الميم و كسرهما) : الخباء الكبير.

[2] في حـ و «النقائض» «بروقي بيتها» . و الروق من البيت: رواقه أي شقته التي دون الشقة العليا.

[3] الضناك (بكسر الضاد) : الضخمة من النساء. و الضفنة (بكسر الضاد و فتح الفاء و كسرهما و تشديد النون) : الحمقاء مع عظم خلق.

[4] هو عبد الله بن الحجاج بن عبد الله المعروف بالأصم الباهلي.

[5] في حـ و «النقائض» : «في حد ظنوب» . و الظنوب: حرف الساق اليابس من قدم. و بعده في «النقائض» : و ركبناها سلاح ما يقوم لها # إلا الشياطين في تلك الأعراب

[6] الشف (هاهنا) النقصان، و قد يكون الشف الفضل أيضا. («النقائض» ص 807) .

[7] أي لقد كنت أهلاً أن يعيبك عائب لأجل سوقك الديات إلى آل زيق.
و المراد بالديات المائة من الإبل التي ساقها الفرزدق مهراً إلى آل زيق.

[8] ذات الصليب: يريد بها حدراء، و ذلك أن أجدادها كانوا نصارى فغيره ذلك. و طعينة: امرأة. و الأصل في الطعينة المرأة تكون على البعير، ثم استعمل العرب الطعينة حتى صيروا المرأة طعينة بغير بعير. و عتيبة: يريد عتيبة بن الحارث بن شهاب بن عبد قيس بن كناس بن جعفر بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، و قد رأس و كان فارس مضر في زمانه. و حاجب: هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم. و الردفان هما: عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع، و عوف بن عتاب بن هرمي، و الردف: الذي يردف الملك يعادله في ركوبه و يجلس في مجلسه إذا قام من مجلسه. (عن «النقائض» ص 808 إلى 809 ببعض تصرف).

[9] كذا في «النقائض» و في الأصول: «و النعل» و هو تحريف. و لازم: لازم.

حوينا أبا زريق و زيقا و عمّه # و جدّه زيق قد حوتها المقانب[1]

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها:

أ لست إذ القعساء[2] أنسل[3] ظهرها # إلى آل بسطام بن قيس بخاطب

/ فنل مثلها من مثلهم ثم لمهم # بملكك من مال مراح و عازب

فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم # على دارميّ بين ليلي و غالب

و إني لأخشى إن خطبت إليهم # عليك التي لاقى يسار الكواعب

-يسار كان عبدا لبني غدانة، فأراد مولاته على نفسها، فنهته مرّة بعد مرة، و ألحّ فوعدته، فجاء فقالت له: إني أريد أن أبخرك فإن رائحتك متغيّرة؛ فوضعت تحته مجمرة و قد أعدّت له حديدة حادّة، فأدخلت يدها فقبضت على ذكره و هو يرى أن ذلك لشيء، فقطعته بالموسى؛ فقال: «صبرا على مجامر الكرام» فذهبت مثلا-عاد الشعر: و لو قبلوا منّي عطية سقته # إلى آل زريق من وصيف مقارب[4]

هم زوّجوا قبلي ضرارا و أنكحوا # لقيطا و هم أكفاؤنا في المناسب

و لو تنكح الشمس النجوم بناتها # إذا لنكحناهنّ قبل الكواكب

و قال جرير:

/

يا زريق أنكحت قينا باسته حمم # يا زريق وبحك من أنكحت يا زريق[5]

غاب المثني فلم يشهد نجيكما # و الحوفزان و لم يشهدك مفروق

أين الألى أنزلوا النعمان مقتسرا # أم أين أبناء شيبان الغرائق

يا ربّ قائلة بعد البناء بها # لا الصّهر راض و لا ابن القين معشوق

و قال الفرزدق[6] لجرير في هذا:

إن كان أنفك قد أعيأك محمله # فاركب أتانك ثم اخطب إلى زريق

/قال: و لامة الحجّاج و قال: أتزوّجت ابنة نصرانيّ على مائة ناقة؟! قال: و ما هي في جود الأمير! قال: فاشترى الإبل و ساقها.

رأى في طريقه إلى حدراء كبشا مذبوحا فتشاءم بموتها و

شعره حين أخبر بوفاتها:

فلما كان في بعض الطريق و معه أوفى بن خنزير أحد بني التميم بن شيبان بن ثعلبة دليله رأى كبشا مذبوحا، [1]المقانب: جمع مقنب، و هو

الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.

[2]القعساء من النساء: الداخلة الصلب العظيمة البطن. و إنما عني هاهنا أتانا. يعني أن بني كليب قالوا لجرير: مالك و قد حسنت حال أعيارك لا تأتي آل بسطام فتخطب إليهم كما فعل الفرزدق. («النقائض» ص 813) .

[3]كذا في «النقائض» . و أنسل ظهرها أي طرّت فسقط و برها القديم و نبت و بر جديد و ذلك لسمنها. و في الأصول: «أنحل ظهرها» .

[4]عطية: هو أبو جرير. و المقارب: الدون، و قيل: هو الوسط بين الجيد و الرديء.

[5]راجع هذا الشعر و شرحه في ترجمة جرير في الجزء الثامن من هذه الطبعة ص (85-86) .

[6]في الأصول: «و قال جرير للفرزدق» و قد صححها كما أثبتناها الأستاذ الشنقيطي في نسخته.

فقال: يا أوفى، هلكت و الله حدراء! قال: ما لك بذلك من علم! فلما بلغ قال له بعض قومها: هذا البيت فانزل، و أمّا حدراء فهلكت. و قد عرفنا الذي يصيبكم في دينكم من ميراثها و هو النصف فهو لك عندنا. فقال: لا و الله لا أرزأ منه قطميرا، و هذه صدقتها[1] فاقبضوها. فقال: يا بني دارم! و الله ما صاهرنا أكرم منكم. قال: و في هذه القصية يقول الفرزدق: عجت لحادينا المقّم سيره # بنا موجفات من كلال و ظلعا

ليديننا ممن إلينا لقاؤه # حبيب و من دار أردنا لتجمعا
و لو يعلم الغيب الذي من أماننا # لكّر بنا حادي المطي فأسرعا
يقولون زر حدراء و الثّرب دونها # و كيف بشيء وصله قد تقطعا
و ما مات عند ابن المراغة مثلها # و لا تبعته طاعنا حيث ودعا
يقول ابن خنزير بكيت و لم تكن # على امرأة عينا أحيك لتدمعا
و أهون رزء لامرئ غير جازع # رزية مرتجّ الروادف أفرعا

استعان الحجاج في مهر حدراء فعذله فشجع له عنبسة بن سعيد:

و قال ابن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه قال حدّثني حاجب بن زيد و أبو العرّاف قالا: تزوّج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدّين و هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام بن مّرة بن ذهل بن شيبان على حكم أبيها، فاحتكم مائة من الإبل. فدخل على الحجاج/فعذله فقال: أ تزوّجتها على حكمها و حكم أبيها مائة بعير و هي نصرانية و جئنا متعرّضا أن نسوقها عنك! اخرج ما لك عندنا شيء! فقال عنبسة بن سعيد بن العاصي و أراد نفعه: أيها الأمير، إنها من حواشي إبل الصدقة؛ فأمر له بها. فوثب عليه جرير فقال: يا زيق قد كنت من شيبان في حسب # يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق

أنكحت ويحك قينا باسته حمم # يا زيق ويحك هل بارت بك السّوق

ثم ذكر باقي القصيدة بمثل رواية دماذ.

أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها و شعر لجرير في ذلك:
قال ابن سلام: و أراد الفرزدق أن تحمل؛ فاعتلوا عليه و قالوا: ماتت، كراهة أن يهتك جرير أعراضهم. فقال جرير: /

و أقسم ما ماتت و لكّته التوى # بحدراء قوم لم يروك لها أهلا

رأوا أن صهر القين عار عليهم # و أن لبسطام على غالب فضلا
إذا هي حلّت مسحلان[2] و حاربت # بشيبان لاقى القوم من دونها شغلا

[1]الصدقة: المهر.

[2]مسحلان: موضع في بلاد بني يربوع.

و حدراء هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره. و من ذلك قوله:

صوت

عزفت بأعشاش[1] و ما كدت تعزف # و أنكرت من حدراء ما كنت تعرف

و لَجَّ بك الهجران حتى كأنما # ترى الموت في البيت الذي كنت تألف[2]

عروضه من الطويل. عزفت عن الشيء انصرفت عنه، عزف يعزف عزوفا. الشعر للفرزدق. و الغناء لسلسل، ثاني ثقيل بالوسطى. و فيه لحن للغريض من التثقيل الأوّل بالبنصر من رواية حبش.

قصة ما كان بينه و بين ابن أبي بكر بن حزم حين أنشده من شعر حسان في المسجد:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش و محمد بن العباس اليزيديّ قالَا حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدِ السُّكْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ وَ أَبُو غَسَّانٍ دِمَازٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ قَالَ الْيَرْبُوعِيُّ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصِ الزُّهْرِيِّ: قَدِمَ الْفَرَزْدَقُ الْمَدِينَةَ فِي إِمَارَةِ أَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ. قَالَ: فَإِنِّي وَ الْفَرَزْدَقُ وَ كَثِيرًا لَجُلُوسٍ فِي الْمَسْجِدِ نَتَنَاشِدُ الْأَشْعَارَ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا غَلَامٌ شَخْتٌ [3] أَدَمٌ فِي ثَوْبَيْنِ مَمْضَرَيْنِ (أَي مَصْبُوعَيْنِ بِصَفْرَةٍ غَيْرِ شَدِيدَةٍ) ثُمَّ قَصَدَ نَحُونَا حَتَّى جَاءَ إِلَيْنَا فَلَمْ يَسْلَمْ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ الْفَرَزْدَقُ؟ فَقُلْتُ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَرِيْشٍ: أ هَكَذَا تَقُولُ لِسَيِّدِ الْعَرَبِ وَ شَاعِرِهَا! فَقَالَ: لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ أَقْلُ هَذَا لَهُ. فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ: وَ مَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْأَنْصَارِ ثُمَّ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ثُمَّ أَنَا ابْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ. بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ أَشْعَرُ الْعَرَبِ وَ تَزْعُمُ مَضْرُوكًا لَكَ، وَ قَدْ قَالَ صَاحِبُنَا حَسَّانُ شَعْرًا فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِضَهُ عَلَيْكَ وَ أُؤَجِّلَكَ سَنَةً؛ فَإِنْ قُلْتَ مِثْلَهُ فَأَنْتَ أَشْعَرُ الْعَرَبِ وَ إِلَّا فَأَنْتَ كَذَّابٌ مُنْتَحِلٌ.

ثم أنشده قول حسان:

لنا الجففات الغرّ يلمعن بالصّحى # و أسيافنا يقطرن من نجدة دما

متى ما تزرنا من معدّ عصابة # و غسان نمنع حوضنا أن يهدّما

- قيل إن قوله: «و غسان» هاهنا قسم أقسم به، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع معدّ-

أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا # و قائلنا بالعرف إلا تكلمّا

ولدنا بني العنقاء و ابني محرّق # فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

/فأنشده القصيدة إلى آخرها و قال له: إني قد أّجّلتك فيها حولاً، ثم انصرف. و انصرف الفرزدق مغضباً يسحب رداءه ما يدري أيّ طريق يسلك، حتى خرج من المسجد. قال: فأقبل كثيرٌ عليّ فقال: قاتل الله الأنصاريّ! ما أفصح لهجته، و أوضح حجّته، و أجود شعره!. قال: فلم نزل في حديث الفرزدق و الأنصاريّ بقيّة يومنا. حتى إذا كان الغد خرجت من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس؛ و أتاني كثيرٌ فجلس معي. فإثّا لتتذاكر الفرزدق و نقول: ليت [1]أعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع بن حنظلة.

[2] في «النقائض» : «الذي كنت تيلف» و هي لغة تميم.

[3]الشخت: الدقيق الضامر أصلاً لا هزالاً.

شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حلّة أفواف[1] يمانية موشاة، له غدירתان، حتى/جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ قال: فنلنا منه و شتمناه. فقال: قاتله الله! ما رميت بمثله و لا سمعت بمثل شعره! فارقتكما فأتيت منزلي فأقبلت أصعد و أصوب في كل فن من الشعر، فلكأني مفحم أو لم أقل قط شعرا حتى نادى المنادي بالفجر، فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ذبابا[2]، ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أبا لبني- و قال سعدان[3]: أبا ليلي!- فجاش صدري كما يجيش المرجل، ثم عقلت ناقتي و توسدت ذراعها؛ فما قمت حتى قلت مائة و ثلاثة عشر بيتا. فبينما هو ينشدنا، إذ طلع علينا الأنصاري حتى انتهى إلينا فسلم ثم قال: أما إنني لم أتك لأعجلك عن الأجل الذي وقته لك، و لكنني أحببت ألا أراك إلا سألتك عما صنعت. فقال: اجلس، ثم أنشده: عزفت بأعشاش و ما كدت تعزف

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصاري كئيبا. فلما توارى طلع أبوه و هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في مشيخة من الأنصار، فسلموا علينا و قالوا: يا أبا فراس، قد عرفت حللنا و مكاننا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و وصيته بنا.

و قد بلغنا أنّ سفيها من سفهائنا تعرّض لك، فنسألك بالله لِمَا حفظت فينا وصية النبي صلى الله عليه و سلم و وهبتنا له و لم تفضحنا. قال إبراهيم بن محمد: فأقبلت أكلّمه أنا و كثير؛ فلما أكثرنا عليه قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي.

قال: و قد كان جرير قال:

ألا أيّها القلب الطروب المكلف # أفق ربّما ينأى هواك و يسعف
ظللت و قد خبرت أن لست جازعا # لربع بسلمانين[4] عينك تدرف

فجعل الفرزدق هذه القصيدة نقيضة لها.

نسبة ما في الخبر من الأصوات

منها:

صوت

لنا الجففات الغرّ يلمعن بالصّحى # و أسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بنى العنقاء و ابني محرّق # فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنا

عروضه من الطويل. الشعر لحسان بن ثابت. و الغناء لمعبد خفيف
ثقل أول بالبنصر عن عمرو بن بانه.

ما كان بين النابغة و حسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء:

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدّثني محمد بن سعد الكراني عن
أبي عبد الرحمن الثَّقفي، و أخبرني [1]الأفواف: جمع فوف (بالضم) و هو
القطن.

[2]ذباب (رواه الحزامي بكسر أوله و العمراني بضمه) : جبل بالمدينة.

[3]لم يتقدم في سند هذا الخبر شخص بهذا الاسم.

[4]سلمانان (بضم أوله و تكرير النون) : اسم موضع، تضاف إليه
البرقة المعروفة ببرقة سلمانين. (راجع «معجم البلدان» في سلمانين و
«برقة سلمانين») . -

أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب الصائغ عن ابن قتيبة: / أن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسّان بن ثابت و عنده الأعشى و قد أنشده شعره و أنشدته الخنساء قولها: قذى بعينك أم بالعين عوّار

حتى انتهت إلى قولها:

و إنّ صخرا لتأتمّ الهداة به # كأنه علم في رأسه ثار

و إنّ صخرا لمولانا و سيّدنا # و إنّ صخرا إذا نشتو لنخّار

فقال: لو لا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس! أنت و الله أشعر من كل ذات/مثانة[1]. قالت: و الله و من كلّ ذي خصيتين. فقال حسّان: أنا و الله أشعر منك و منها. قال: حيث تقول ما ذا؟ قال: حيث أقول: لنا الجفّات الغرّ يلمعن بالصّحى # و أسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء و ابني محرّق # فأكرم بنا خالا و أكرم بنا ابنما

فقال: إنك لشاعر لو لا أنك قلّلت عدد جفانك و فخرت بمن ولدت و لم تفخر بمن ولدك. و في رواية أخرى: فقال له: إنك قلت «الجفّات» فقلّلت العدد و لو قلت «الجفان» لكان أكثر. و قلت «يلمعن في الصّحى» و لو قلت «بيرقن بالدّجى». لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقا. و قلت «يقطرن من نجدة دما» فدلت على قلة القتل و لو قلت «يجرين» لكان أكثر لانصباب الدّم. و فخرت بمن ولدت و لم تفخر بمن ولدك. فقام حسّان منكسرا منقطعا.

مما يغني فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قوله:

صوت

تري الناس ما سرنا يسيرون خلفنا # و إن نحن أومأنا إلى الناس و وقّفوا

فيه رمل بالوسطى، يقال: إنه لابن سريج، و ذكر الهشاميّ أنه من منحول يحيى المكيّ.

انتحل بيتا لجميل:

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد الكلابيّ قال: وقف الفرزدق على جميل و الناس مجتمعون عليه و هو ينشد:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا # و إن نحن أومأنا إلى الناس ووقفوا

فأشروع إليه رأسه من وراء الناس و قال: أنا أحقّ بهذا البيت منك. قال:
أنشدك الله يا أبا فراس!. فمضى الفرزدق و انتحله.

[1]المثانة: المراد بها هنا موضع الولد من الأنثى.

عَرَّضَ هُوَ وَ كَثِيرٌ كُلُّ مَنْهُمَا لِلْآخِرِ أَنَّهُ سَرَقَ بَيْتًا مِنْ جَمِيلٍ:
 أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي الرَّبِيرُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ
 جَدِّي: أَنَّ الْفَرَزْدَقَ لَقِيَ كَثِيرًا فَقَالَ لَهُ: مَا أَشْعُرُكَ يَا كَثِيرٌ فِي قَوْلِكَ: أُرِيدُ
 لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا # تَمَثَّلَ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

فَعَرَّضَ لَهُ بِسَرَقَتِهِ إِيَّاهُ مِنْ جَمِيلٍ:

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا # تَمَثَّلَ لِي لَيْلَى عَلَى كُلِّ مَرْقَبٍ

فَقَالَ لَهُ كَثِيرٌ: أَنْتَ يَا فَرَزْدَقُ أَشْعُرُ مِنِّي فِي قَوْلِكَ:

تَرَى النَّاسَ مَا سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا # وَ إِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَوَقُّوْا

-قال: و هذا البيت لجميل سرقه الفرزدق-فقال الفرزدق لكثير: هل
 كانت أمك ترد البصرة؟ قال: لا! و لكن أبي كان نزبلا لأمك.

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّبِيرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ
 عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عِمْرَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ طَلْحَةَ
 بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: لَقِيَ الْفَرَزْدَقَ كَثِيرًا بِقَارِعَةِ الْبِلَاطِ وَ أَنَا وَ هُوَ
 نَمَشِي، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ: يَا أَبَا صَخْرٍ! أَنْتَ أَنْسَبُ الْعَرَبِ حَيْثُ تَقُولُ: /

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا # تَمَثَّلَ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

قال: و أنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

/

تَرَى النَّاسَ مَا سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا # وَ إِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَوَقُّوْا

-قال عبد العزيز: و هذان البيتان جميعا لجميل، سرق أحدهما الفرزدق،
 و سرق الآخر كثير-فقال له الفرزدق: يا أبا صخر، هل كانت أمك ترد
 البصرة؟ قال: لا! و لكن أبي كان كثيرا يردّها. قال طلحة: فو الذي نفسي بيده
 لقد تعجبت من كثير و جوابه، و ما رأيت أحدا قط أحمق منه؛ لقد دخلت
 عليه يوما في نفر من قريش، و كنا كثيرا نهزأ به، و كان يتشيع تشييعا قبيحا،
 فقلنا له: كيف تجدك يا أبا صخر؟ فقال: بخير. هل سمعتم الناس يقولون
 شيئا؟ قلت: نعم! يتحدثون أنك الدجال. قال: و الله إن قلت ذلك إني لأجد
 في عيني هذه ضعفا منذ أيام!.

و لجرير قصيدة يناقض بها هذه القصيدة في أولها غناء نسبته: ألا أيها
 القلب الطروب المكلف # أفق ربما ينأى هواك و يسعف

ظللت و قد خبّرت أن لست جازعا # لربع بسلمانين عينك تذرّف

الشعر لجرير. و الغناء لمحمد بن الأشعث الكوفيّ ثاني ثقيل بالبنصر،
عن عمرو بن بانه. و قال حبش: فيه ثقيل أوّل بالوسطى. و ليس ذلك
بصحيح.

رجع الحديث إلى سياقه حديث الفرزدق و النّوار:

تزوّج رهيمة بنت غنيم اليربوعية:

قال دماذ: و تزوّج الفرزدق على النّوار امرأة من اليرابيع، و هم بطن من النّمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد القينيّ، و قد انتسبوا فيهم. فقالت له النّوار: و ما عسى أن تكون القينيّة؟! فقال: /

أرتك[1] نجوم اللّيل و الشمس حيّة # زحام بنات الحارث بن عباد
نساء أبوهنّ الأعترّ و لم تكن # من الحثّ [2] في أجيالها و هداد[3]
و لم يكن الجوف [4] الغموض محلّها # و لا في الهجاريين رهط زياد
أبوها الذي أدنى النّعامه بعد ما # أبت وائل في الحرب غير تماد

- يعني بأبيها الذي أدنى النّعامه الحارث بن عباد، و أراد قوله: قرّبا
مربط النّعامه منّي

عدلت بها ميل النّوار فأصبحت # مقارنة لي بعد طول بعاد
و ليست و إن أنبات أنّي أحبّها # إلى دارميّات النّجار جياذ

و قال أبو عبيدة حدّثني أعين بن لبطة قال: تزوّج الفرزدق، مضارّة للنّوار، امرأة يقال لها رهيمة بنت غنيم بن درهم من اليرابيع، قوم من النّمر بن قاسط في بني الحارث بن عباد. و أمّها الحميضة [5] من بني الحارث. فنافرته الحميضة فاستعدت عليه. فأنكرها الفرزدق و قال: أنا منها بريء، و طلق ابنتها و قال: إن الحميضة كانت لي و لا بنتها # مثل الهراسه [6] بين النّعل و القدم

إذا أتت أهلها منّي مطلّقة # فلن أردّ عليها زفرة النّدم

/مضى الحديث. و لم أجد لأحد من الخلفاء الذين ذكرتهم و الذين لم أذكرهم، بعد الواثق، صنعة يعتدّ بها إلا المعتضد، فإنه صنع صنعة متقنة عجيبة، أبرّت [7] على صنعة سائر الخلفاء/سوى الواثق، و فضل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه. و إنما ذكرت صنعة من بينهما، لأنها قد رويت، فأما حقيقة الغناء الجيّد فليس بينهما مثلهما.

[1] في «ديوانه»: «أراك». و في «النقائض»: «سوف يريك النجم»

[2]الحت: قبيلة من كندة.

[3]هداد: حي من اليمن.

[4]الجوف: المطمئن من الأرض. و يحتمل أن يكون الغموض بفتح الغين صيغة مبالغة من غمض المكان إذا تطامن و خفي. و يحتمل أن يكون جمع غمض، و هو المكان المنخفض المطمئن. و إنما وصف المفرد بالجمع لإرادة الجنس، كما يقال الدينار الصفرة، و الدرهم البيض. و منه قول الفرزدق نفسه على رواية «الأغاني» كما تقدّم في صفحة 325 من هذا الجزء؛ و إبطال حقي باليمين الكواذب

[5]في «النقائض» ص 595: «الخميصة» بالخاء المعجمة و الصاد المهملة.

[6]الهراسة: واحدة الهراس، و هو شوك كأنه حسك.

[7]كذا في ج. «و أبرأت: علت. و في سائر الأصول: «أبرزت» و هو تحريف.

و ذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعة المعتضد فقرّظها، و قال: لم أجد لحنًا قديماً قد جمع من النغم ما جمعه لحن ابن محرز في شعر مسافر بن أبي عمرو و هو: يا من لقلب مقصر # ترك المنى لفواتها

فإنه جمع من النغم العشر ثمانيا، و لحن ابن محرز أيضا في شعر كثير: توهّمت بالخيف رسما محيلا # لعزّة تعرف منه الطلولا

و هو أيضا يجمع ثمانيا من النغم. و قد تلطّف بعض من له دربة و حذق بهذه الصناعة حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت الأخير متواليّة، و جمعها في صوت آخر غير متواليّة، و هو في شعر ابن هرمة: فإنك إذ أطمعتني منك بالرضا # و أياستني من بعد ذلك بالغضب

و أعجب من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله؛ فإنه صنع في رجز دريد بن الصّمّة «يا ليتني فيها جذع» لحنًا من الثقيل الأوّل يجمع النغم العشر، فأتى به مستوفى الصنعة محكم البناء، صحيح الأجزاء و القسمة، مشيع المفاصل، كثير الأدوار، لا حقا بجيد صنعة الأوائل. و إنما زاد فضله على من تقدّمه لأنه عمله في ضرب من الرجز /قصير جدًا، و استوفى فيه الصنعة كلّها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدّمه؛ إذ تلك عملت في أوزان تامّة و أعاريض طوال يتمكّن الصانع فيها من الصنعة و يقتدر على كثرة التصرف؛ و ليس هذا الوزن في تمكّنه من ذلك فيه مثل تلك.

نسبة هذا اللحن

صوت

يا ليتني فيها جذع # أخبّ فيها و أضع [1]

أفود وطفاء [2] الرّمع # كأنها شاة صدع [3]

الشعر لدريد بن الصّمّة. و الغناء للمعتضد، و لحنه ثقيل أوّل يجمع النغم العشر.

[1] الجذع: الصغير السن. و الخب و الوضع: نوعان من السير.

[2] الزمع: هنات شبه أظفار الغنم في الرسغ، في كل قائمة زمعتان كأنما خلقتا من قطع القرون؛ أو الزمعة: الشعرة المدلاة في مؤخر رجل الشاة و الطبي و الأرنب. و وطفاء: كثيرة الشعر سابغته. يريد فرسا هذه صفتها.

[3]الصدع من الأوعال و الظباء و الإبل و الحمر: الفتى الشاب القوي منها.

فهرس موضوعات الجزء التاسع

الموضوع الصفحة

- كثير عزة 5
 عبيد الله بن عبد الله بن طاهر 30
 مسافر بن أبي عمرو بن أمية 36
 -خبر عمارة بن الوليد و السبب الذي من أجله سحر 40
 -الأرمال الثلاثة المختارة 44
 ذكر امرئ القيس و نسبه و أخباره 55
 أخبار الأعشى و نسبه 75
 نسب عمرو بن سعيد بن زيد و أخباره 90
 أصوات معبد المسماة مدن معبد و تسمى أيضا حصون معبد 94
 ذكر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة و نسبه 96
 -صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن 105
 ذكر الشماخ و نسبه و خبره 109
 -صوت من مدن معبد 119
 ذكر قيس بن ذريح و نسبه و أخباره 124
 -صوت من مدن معبد في شعر عنتره 150
 -صوت من مدن معبد في شعر الحارث بن خالد المخزومي 153
 ذكر الحارث بن خالد و نسبه 155
 -نسبه أصوات معبد في قتيلة 162
 -سبعة ابن سريج 163
 أغاني الخلفاء و أولادهم و أولاد أولادهم 172
 ذكر عمر بن عبد العزيز و شيء من أخباره 175
 نسب الأشهب بن رميلة و أخباره 185

- عود إلى أخبار عمر بن عبد العزيز 188
- غناء الوليد بن يزيد 188
- غناء الواثق 189
- غناء المنتصر 205
- غناء المعتز بالله 208
- أخبار عديّ بن الرقاع و نسبه 210
- أخبار المعتز في الأغاني و مع المغنّين و ما جرى هذا المجرى 217
- ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره 221